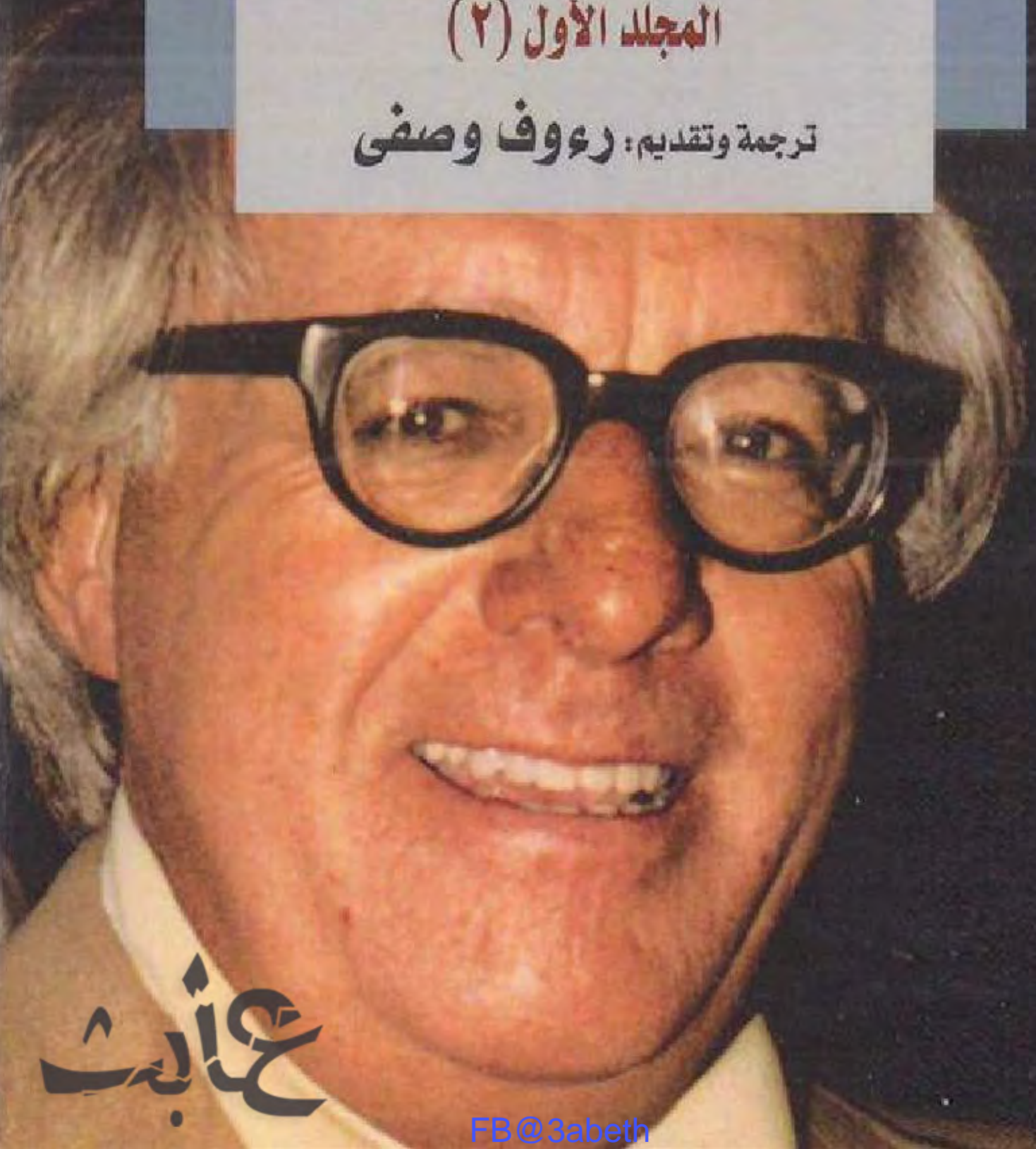


راى برادبورى القصص القصيرة

المجلد الأول (٢)

ترجمة وتقديم: رءوف وصفى



عائبة

رای برادبوری
القصص القصيرة
(المجلد الأول)
(٢)

ترجمة وتقديم : رءوف وصفی



<p>بطاقة فهرسة إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية إدارة الشؤون الفنية</p>	
<p>برادبوري، راي (١٩٢٠-٢٠١٢) القصص القصيرة؛ راي برادبوري؛ (المجلد الأول - ج ٢) ترجمة وتقديم: رؤف وصفي؛ ط ١، القاهرة: المركز القومي للترجمة، ٢٠١٤ ٣٧٢ ص، ٢٠ سم ١- القصص الأمريكية القصيرة ٢- القصص القصيرة (أ) وصفي، رؤف (مترجم ومقدم) (ب) العنوان</p>	<p>٨٢٣</p>
<p>رقم الإيداع ٢٠١٤/٥٩١٩ الترقيم الدولي (I.S.B.N. 978-977-718-683-4) طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية</p>	

تهدف إصدارات المركز القومي للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربي وتعريفه بها، والأفكار التي تتضمنها هي اجتهادات أصحابها في ثقافتهم، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المركز.

المحتويات

١٢-	الأرضيون	7
١٤-	موسم الكساد	40
١٥-	رحلة المليون عام	64
١٦-	الثعلب والغابة	85
١٧-	المشكال	121
١٨-	رائد الفضاء	142
١٩-	مؤسسة الدمى المتحركة	167
٢٠-	ليس ثمة ليل معين أو صباح محدد	184
٢١-	المدينة	207
٢٢-	بالونات النار	225
٢٣-	الليلة الأخيرة من عمر كوكب الأرض	261

270	٢٤- المروج الرهيبة
303	٢٥- الأمطار الأبدية
333	٢٦- الحريق العظيم
349	٢٧- الخواء المروع

الأرضيون

أياً كان من يطرق الباب، فإنه لم يشأ أن يتوقف،
فتحت السيدة (ت ت ت) الباب بعنف قائلة "ما الخطب؟".
قال الرجل الواقف عند الباب مندهشاً: "إنك تتحدثين الإنجليزية!".
قالت بحدة "إننى أتحدث ما أريد".
رد عليها قائلاً: "لغتك الإنجليزية رائعة!" كان الرجل يرتدى زياً رسمياً،
وكان يصحبه ثلاثة رجال يبدون فى عجلة كبيرة من أمرهم، كانوا جميعاً
مبتسمين وفى ثياب متسخة.
تساءلت السيدة (ت ت ت) بلهجة جافة "ماذا تريدون؟".
أجاب الرجل مبتسماً "أنت مريخة! بالتأكيد هذه الكلمة ليست
مألوفة لك، إنها مصطلح أرضى". أوماً الرجل لرفاقه واستطرد قائلاً: "...
نحن من كوكب الأرض، إننى الكابتن (وليامز)، لقد هبطنا على المريخ
منذ نحو الساعة.
إننا نمثل البعثة الثانية: كانت هناك بعثة أولى، ولكننا لا نعلم ما الذى
حدث لها، على أية حال، ها نحن أولاء هنا، وأنت أول مريخة تلتقى به!"

- ارتفع حاجباها فى دهشة وتساءلت "مريخى!"
- "ما أعنيه هو أنك تعيشين على الكوكب الرابع بعداً عن الشمس.
هل أنا محق؟"
- قالت بلهجة صارمة وهى تحقق فيهم: "هذا شيء معروف.
معلومة أولية".
- ضغط الكابتن (وليامز) بيده الوردية الممتلئة على صدره وقال
"نحن.. نحن من كوكب الأرض، أليس كذلك يا رجال؟" أجاب أفراد
الطاقم فى صوت واحد "هو كذلك يا سيدى".
- قالت السيدة (ت ت ت) بتؤدة "هذا الكوكب يسمى (تير)، إذا
أردتم استخدام الاسم الصحيح".
- ضحك الكابتن وعلامات الإرهاق تبدو عليه "تير (تير)! يا له من
اسم جميل!
- ولكن يا سيدتى الطيبة الفاضلة، كيف تتحدثين الإنجليزية بهذه
الطلاقة؟"
- قالت "إننى لا أتحدث وإنما أفكر، فتنقل أفكارى إليكم تخاطرياً!
نهاركم سعيداً".
- وصفت الباب فى وجوههم!
- ولم تمض سوى دقيقة، حتى عاد الطرق الشديد على الباب
من جديد.

- فتحت الباب بسرعة وعنف وصاحت "ماذا تريدون الآن؟".
- كان الكابتن (وليامز) لا يزال واقفاً هناك، محاولاً الابتسام بود على الرغم مما يبدو عليه من التحير. مد يده وقال " لا أظن أنك فهمتني...".
- قالت بسرعة وبحدة "فهمت ماذا؟".
- حدث فيها الكابتن بدهشة وقال: "نحن من كوكب الأرض".
- ردت عليه قائلة "ليس لدى وقت للنقاش. فعندى الكثير من الطبخ اليوم بالإضافة إلى التنظيف والخياطة وما إلى ذلك. من الواضح أنكم تريدون مقابلة زوجى السيد (ت ت ت)، إنه فى مكتبه بالطابق العلوى".
- قال الرجل الأرضى بارتباك وعيناه تطرفان "بكل تأكيد، فلنقابله مهما كلفنا الأمر".
- وصفقت الباب بشدة من جديد قائلة "إنه مشغول".
- فى هذه المرة كان غلق الباب متعديا لحدود الأدب والسلوك الحسن.
- صاح الرجل عندما صفقت الباب مرة أخرى، واندفع إلى الداخل وكأنه يريد أن يفاجئها "ليست هذه طريقة لمعاملة الزائرين!".
- صاحت "كيف تدخلون بيتى فوق أرضيتى النظيفة، وأحذيتكم متسخة بالطين. اخرجوا من هنا، وإذا أردتم أن تدخلوا بيتى، فعليكم غسل أحذيتكم أولاً".

نظر الكابتن (وليامز) بهلع إلى حذاءه المتسخ بالطين وقال "سيدتى! أعتقد أن هذا ليس الوقت المناسب لمثل تلك التفاهات. بل الأجدى أن نحتفل بهذه المناسبة".

ونظر إليها لمدة طويلة، وكأن نظراته سوف تجعلها تدرك الأمر بشكل أفضل. قالت محتدة: "إذا تسببتكم فى تقوض كعكى البلورى فى الفرن، فإننى سوف أضربكم بقطعة من الخشب!" ثم تطلعت إلى فرن صغير متقد. ذهبت ثم عادت بعد فترة قصيرة، ووجهها مضرج بالحمرة وبنينى عن الحلق، وعيناها شديداً الإصفرار. كانت سمراء وبشرتها ناعمة، نحيفة القوام وسريعة الحركة مثل حشرة. وكان صوتها بارداً وحاداً. قالت "انتظروا هنا، سوف أرى إذا كان السيد (ت ت ت) يمكنه أن يقابلكم لوقت قصير، ماذا كنتم تريدون؟".

- أخذ كابتن (وليامز) فى السباب ووجهه ممتقع من الحلق، وكأنها سوف تضربه على يده بمطرقة، قال بنفاد صبر "أخبريه أننا قدمنا من كوكب الأرض، وأن هذا لم يحدث من قبل!".

- رفعت يدها السمراء إلى أعلى وقالت: "ما هذا الذى لم يحدث من قبل. لا عليك. سوف أعود إليكم حالاً".

ثم راح صوت وقع أقدامها يدوى عبر المنزل المشيد من الحجارة. وفى الخارج كانت السماء المريخية الهائلة الزرقاء، حارة وساكنة وتبدو كمياه البحر الدافئة العميقة، أما الصحراء المريخية فقد كانت تمتد بلا نهاية،

وهى متقدمة كقدر صيني من عصر ما قبل التاريخ، وتتصاعد منها موجات من الحرارة الواضحة. وكانت ثمة مركبة فضائية صغيرة جاثمة فوق قمة تل قريب. وكانت هناك آثار أقدام ضخمة تتجه من المركبة الفضائية، حتى باب هذا المنزل الحجري.

عندئذ سمع الأرضيون أصوات شجار تأتي من الطابق العلوى. تبادل الرجال الأرضيون - الذين يقفون داخل المنزل - النظرات الحائرة، وينقلون أقدامهم فى ملل ويعبثون بأصابعهم ويمسكون بأحزماتهم المثبتة فوق أوراكم. كان ثمة صياح لرجل فى الطابق العلوى، وصوت امرأة ترد عليه، بعد انقضاء خمس عشرة دقيقة، شرع الأرضيون فى الدخول من باب المطبخ والخروج منه، دون أن يفعلوا شيئاً.

تسأل واحد منهم قائلاً: "هل مع أحد منكم سجائر؟".

أخرج أحدهم علبة من جيبه، وبدأوا فى إشعال السجائر، وأخذوا ينفثون موجات من الدخان الأبيض الشاحب. نظموا زيهم الرسمى، وعدلوا ياقاتهم. بينما أخذت الأصوات فى الطابق العلوى، تتحول إلى تمثمة وهمس. نظر قائد المجموعة إلى ساعة يده. وقال متعجباً "مرت خمس وعشرون دقيقة، لا أدري ما الذى يدبرانه. هناك فى الطابق العلوى؟" ثم ذهب إلى النافذة وتطلع منها إلى الخارج.

قال أحد أفراد الطاقم "يا له من يوم حار".

رد عليه أحد زملائه "نعم" إذ كان يشملهم دفء بعد الظهيرة.

خفقت الأصوات القادمة من الطابق العلوى إلى مجرد همهمة ثم
ساد الصمت.

لم يكن ثمة صوت واحد فى المنزل. وكل ما كان يسمعه الأرضيون،
صوت تنفسهم!

مرت ساعة كاملة من الصمت التام، ثم قال الكابتن (وليامز) "أرجو
ألا نكون قد تسببنا فى أية متاعب" وذهب وتطلع إلى داخل حجرة المعيشة.
كانت السيدة (ت ت ت) هناك، تسقى بعض الزهور التى تنمو فى
أصصها، فى منتصف الحجرة.

وعندما شاهدت الكابتن، قالت "أعرف أننى قد نسيت شيئاً ما.." ثم
خرجت من حجرة المعيشة متجهة إلى المطبخ وأردفت ".. إننى آسفة"
وأعطته قطعة من الورق ثم استطردت قائلة "... السيد (ت ت ت)
مشغول للغاية".

بعد ذلك التفتت إلى ما تقوم به من طهى ثم أضافت "على أية حال،
ليس السيد (ت ت ت) من ينبغى لكم أن تقابلوه، ولكن السيد (iii).
خذوا هذه الورقة إلى المزرعة التالية، بجانب القناة الزرقاء، وسوف
يساعدكم السيد (ii) فى الإجابة عن كل استفساراتكم".

قال الكابتن معترضاً وهو يزعم شفتيه الغليظتين باستياء: "لا نريد
أن نعرف أى شىء، إذ نحن نعرف كل شىء بالفعل!".

ردت عليه بصراحة ودون موارد "لديكم الورقة، ماذا تريدون أكثر من ذلك؟". ولم تنطق ببنت شفة بعد ذلك.

قال الكابتن وهو متردد في الذهاب. ووقف جامداً كما لو كان ينتظر شيئاً ما. كان يبدو كطفل يحدق في شجرة عيد الميلاد الخالية من التزيين.

ثم قال من جديد "حسناً، هيا بنا يا رجال" سار الرجال الأربعة إلى الخارج، في هذا اليوم الحار الساكن.

بعد نصف ساعة - بتوقيت الأرض - كان السيد (i) جالساً في حجرة مكتبه يرتشف مشروباً بلون النار الكهربائية من كوب معدني، عندما سمع أصواتاً في الممر الحجري بالخارج؛ أطل من النافذة وأمعن النظر في الرجال الأربعة في زيهم الرسمي الموحد، الذين تطلعوا إليه بعيون نصف مغمضة.

هتفوا قائلين "هل أنت السيد (i)؟".

أجاب بقوله "نعم أنا هو".

صاح الكابتن "أرسلنا إليك السيد (ت ت ت)".

تساءل السيد (ii) "لماذا فعل هذا؟".

"لأنه كان مشغولاً!".

قال السيد (i) ساخراً "حسناً! إن ذلك لمخجل. أظن أنه لا عمل لدى سوى الترفيه عن الأشخاص الذين لا يريد أن يزعج نفسه باستقبالهم بسبب مشاغله الكثيرة!".

صاح الكابتن "سيدي! ليس هذا بالأمر المهم الآن".

قال السيد (أأأ) "حسنًا إنه مهم بالنسبة إلى. إذ أمامي الكثير من القراءات. إن السيد (ت ت ت) لا يراعى مشاعر الآخرين، إنه غير متبصر. فهذه ليست المرة الأولى الذي يظهر فيها عدم اكتراثه بي. تمهل لعدة ثوان ثم أردف.. أرجو يا سيدي أن تكف عن التلويح بيديك، حتى أنتهى من حديثي. وانتبه جيداً لما أقول. فإن الناس عادة ينصتون إليّ عندما أتحدث، فإما أن تنصت بدمائة، وإما أن أتوقف عن الحديث تماماً".

كان الرجال الأربعة يتمثلون في وقفاتهم ويفتحون أفواههم من الإرهاق. انتفخت الأوردة في وجه الكابتن من شدة الغضب، مما جعل عينيه تدمعان قليلاً.

قال السيد (أأأ) وكأنه يلقي محاضرة "والآن. أتظنون أنه من اللياقة، أن يكون السيد (ت ت ت) سيئ التصرف إلى هذا الحد؟".

حدق الرجال الأربعة إلى أعلى في هذا الجو القائظ، ثم قال الكابتن "نحن من كوكب الأرض!".

قال السيد (أأأ) بعد أن أمعن التفكير طويلاً "أعتقد أن ما فعله السيد (ت ت ت)، بعيد تماماً عن الكياسة والتعذيب".

قال الكابتن "لقد جئنا في مركبة صاروخية فضائية! إنها رابضة هناك!".

"إنها ليست المرة الأولى التي يتصرف فيها السيد (ت ت ت) بهذا الشكل غير المعقول".

"لقد قطعنا مسافة هائلة من كوكب الأرض إلى هنا".

"إننى أفكر فى الاتصال به وتوبيخه".

"إننا أربعة أرضيين. أنا وطاقمى المكون من ثلاثة أفراد".

"أجل سوف أتصل به، هذا ما سأفعله بالتأكيد".

"كوكب الأرض. مركبة فضائية. رحلة. فضاء".

صاح السيد (أأ) قائلاً "سأتصل به وألقنه درساً قاسياً" واختفى من النافذة، كما تتوارى دمية من فوق مسرح العرائس. ثم لمدة دقيقة، سمعوا أصواتاً غاضبة ترتفع وتنخفض عبر جهاز اتصال غريب أو أى تركيب آلى آخر. وفى الأسفل، تطلع الكابتن وطاقمه باشتياق إلى مركبتهم الفضائية الجميلة الرابضة عند سفح التل خلفهم، وهى تبدو مصقولة ورائعة.

اندفع السيد (أأ) إلى النافذة من جديد وكان يبدو على وجهه علامات الانتصار وصاح قائلاً "لقد تحديته فى مبارزة علنية، أقسم بكل الآلهة! مبارزة!".

بدأ الكابتن يحاول من جديد بطريقة هادئة "يا سيد (أأ).....".

"سوف أرديه قتيلاً، هل سمعتم؟".

”يا سيد (أأ)، أريد أن أخبرك أننا قطعنا مسافة ستين مليون ميل”.

انتبه السيد (أأ) للكابتن لأول مرة وسأله ”من أين أنتم قادمون؟“.

افتتر ثغر الكابتن عن ابتسامة تنم عن الرضا. وهمس جانبياً لرفاقه
”الآن سوف نتوصل لشيء ما!“ وقال للسيد (أأ) ”لقد قطعنا مسافة
ستين مليون ميل من كوكب الأرض“.

تثاءب السيد (أأ) وقال ”إن المسافة خمسون مليون ميل فقط، في
هذا الوقت من العام“ ثم التقط سلاحاً مخيف الشكل ”حسناً، يجب على
أن أذهب الآن، عليكم أن تأخذوا هذه الورقة السخيفة، على الرغم من
أننى لا أعرف مدى نفعها لكم، واذهبوا إلى مدينة (أيوبر) الصغيرة،
فيما وراء ذلك التل. وابحثوا عن السيد (أى آى آى)، فهو المعنى بهذه
الأمور وليس السيد (ت ت ت)، الأحمق، الذى سوف أقتله اليوم، ولا أنا
بالطبع فهذه الأمور ليست من اختصاصى“.

قال الكابتن بلهجة ساخرة ”اختصاص، اختصاص! هل يجب أن
تكون ذا اختصاص معين، لتستقبل زائرين من كوكب الأرض؟“.

رد السيد (أأ) قائلاً ”لا تكن سخيلاً، فالجميع يدركون هذا الأمر“
ثم هبط الدرج بسرعة وقال بأعلى صوته ”... وداعاً“ وأسرع الخطى على
الطريق الحجرى، مثل زوج من أذرع الفرجار^(١).

(١) أداة بذراع ثابتة وأخرى متحركة تستعمل لقياس الأقطار الداخلية والخارجية. (المترجم).

وقف رواد الفضاء الأربعة مصدومين. وأخيراً قال الكابتن "سوف نجد شخصاً ما يصغى إلينا".

قال أحد أفراد الطاقم بصوت ينم عن الاكتئاب "ربما يمكننا أن نبتعد عن هذا الكوكب ثم نعود إليه من جديد بعد فترة من الزمن، وذلك بأن نقلع بالمركبة الفضائية ثم نهبط مرة أخرى. ومن ثم نعطيهم الفرصة لينظموا لنا حفل استقبال".

تمتم الكابتن وقد بدا عليه الإرهاق "ربما تكون هذه فكرة جيدة".

كانت المدينة الصغيرة تكتظ بالسكان الذين يندفعون داخلياً وخارجين من الأبواب، ويحيون بعضهم بعضاً، وهم يرتدون أقنعة ذهبية وأقنعة زرقاء وأقنعة قرمزية، ذات أشكال متنوعة بهيجة. أقنعة ذات شفاة فضية وحواجب برونزية. أقنعة مبتسمة وأخرى عابسة، وفق أهواء أصحابها.

أصبح رواد الفضاء الأربعة مبللين بسبب تصيب عرقهم خلال سيرهم الطويل، ثم توقفوا وسألوا فتاة صغيرة عن مكان منزل السيد (آى آى آى).

أشارت الفتاة الصغيرة إليهم برأسها وقالت: "هناك!!"

ركع الكابتن بحرص وتلفف على إحدى ساقيه، متطلعاً إلى وجهها الصغير الفاتن وقال "صغيرتى! أود أن أتحدث معك".

أجلسها فوق ركبته وأخذ راحتي يديها الصغيرتين بين يديه الكبيرتين، كما لو كان على وشك أن يقص عليها حكاية ما قبل النوم. أخذ يصوغ الكلمات في ذهنه بتؤدة قبل أن ينطق بها في صبر، وسعادة عندما كان يفكر في التفاصيل.

وأردف "حسنًا، هذا هو الأمر يا فتاتي الصغيرة. منذ ستة أشهر، جاءت مركبة فضاء أخرى إلى كوكب المريخ. وكان على متنها رائد فضاء يدعى (يورك)، ومساعدته، ونحن لا ندرى ما الذي حدث لهما. ربما تحطمت مركبتهما الفضائية. إذ إنهما قد جاءا في مركبة فضائية، مثلنا، يجب أن تشاهديها! فهي ضخمة! إننا نُمثل البعثة الثانية، التي تبعت البعثة الأولى. لقد جئنا عبر مسافة هائلة من كوكب الأرض...".

سحبت الفتاة الصغيرة يداً واحدة بلا مبالاة، ووضعت بها قناعاً ذهبياً خالياً من المشاعر على وجهها. ثم أخرجت لعبة على شكل عنكبوت ذهبي، وأسقطتها على تربة المريخ، بينما كان الكابتن يتحدث.. وتسقلت اللعبة ساق الفتاة حتى ركبتهما متبعة أوامرهما، وكانت الفتاة الصغيرة تنظر إلى اللعبة العنكبوت في برود من خلال فتحات قناعها الذهبي الخالي من المشاعر، عندئذ هزها الكابتن برفق لكي تصغي إلى قصته، وقال: "نحن من كوكب الأرض، هل تصدقينني؟".

قالت الفتاة الصغيرة "نعم" وأخذت تحديقاً في أصابع قدميها وهي تعبت في التراب، رد عليها الكابتن قائلاً "جيد..". ثم قرصها في ذراعها

بطريقة مرحة، ليجعلها تنتظر إليه، ثم استطرد " .. لقد قمنا بتشبيد مركبتنا الفضائية، هل تصدقن ذلك؟".

أجابت الفتاة وهي تضع إصبعها في فتحة أنفها "نعم".

و- أخرجى إصبعك من فتحة أنفك أيتها الفتاة الصغيرة - وأنا قائد هذه المركبة الفضائية، و...".

قاطعت الفتاة الصغيرة، وقالت وعيناها مغلقتان "لم يحدث من قبل في التاريخ أن أحداً عبر الفضاء في مركبة صاروخية ضخمة".
رائع. كيف عرفت ذلك؟".

قالت وهي تمسح بأحد أصابعها فوق ركبتيها "أوه، بواسطة التخاطر".

رد الكابتن منفعلاً "حسناً، ألا تشعرين أبداً بأن هذا موضوع مثير. هل أنت سعيدة؟".

ألقت الفتاة الصغيرة لعبتها - من جديد - فوق تربة المريح، وقالت "من الأفضل أن تذهبوا إلى السيد (آى آى آى) على الفور، سوف يسعده التحدث إليكم".

وركضت بعيداً، ووراءها العنكبوت اللعبة متبعاً أوامرها.

كان الكابتن يجلس القرفصاء وهو يتطلع إليها وهي تبتعد. وكانت عيناها مغرورقتين بالدموع، ثم نظر إلى يديه الفارغتين ومدهما في يأس،

وفغر فاه. ووقف الرجال الثلاثة الآخرون وقد انحسرت ظلالهم عند أقدامهم. وتصيب عرقهم الغزير فوق الطريق الحجري.

فتح السيد (آى آى آى) باب منزله. كان فى طريقه لإلقاء محاضرة، ولم يكن أمامه سوى دقيقة واحدة، وهى تكفى إذا أسرعوا بالدخول وإبلاغه بما يريدون..

قال الكابتن وهو محمر العينين ويبدو عليه الإرهاق "أرجو منك قليلاً من الاهتمام لما سوف أقوله: "إننا من كوكب الأرض، جئنا بواسطة مركبة فضائية. نحن أربعة رواد فضاء، القائد وأفراد الطاقم. إننا مرهقون ونتضور جوعاً ونريد مكاناً لكى ننام. ونريد شخصاً ما يعطينا مفتاح المدينة أو ما شابه تكريماً واحتفاء بنا. شخص ما ليصافحنا ويرحب بنا ويهئنا بهذا الإنجاز التاريخي. هذا هو كل ما فى الأمر".

كان السيد (آى آى آى) طويل القامة متباهياً نحيف الجسم، يضع بلورتين زرقاوين داكنتين فوق عينيه الصفراوين. انحنى فوق مكتبه وأخذ يقلب بعض الأوراق، بينما كان يرمقهم بين الفينة والفينة بنظرات ثاقبة للغاية. وأخذ ينقب فى أدراج مكتبه ثم قال "حسناً، لا أظن أن النماذج معى هنا. والآن، أين وضعت هذه النماذج؟" راح يفكر لهنيهة ثم أردف "... إنها فى مكان ما، فى مكان ما، أوه، ها هم أولاء! والآن! وسلم النماذج للكابتن بتذمر، قائلاً "بالطبع، عليكم أن توقعوا هذه النماذج".

قال الكابتن بدهشة "هل يجب علينا أن نخضع لهذه المهاترة؟".

رمقه السيد (آى آى آى) بنظرة جامدة "لقد قلت بأنكم قادمون من كوكب الأرض، أليس كذلك؟ حسناً، إذن يجب عليكم أن توقعوا على النماذج".

كتب الكابتن اسمه ثم قال "أتريد أن يقوم طاقمى بالتوقيع أيضاً؟". نظر السيد (آى آى آى) إلى الكابتن ثم إلى أفراد الطاقم الثلاثة الآخرين، ثم فجأة صاح فى سخرية "هم يوقعون! ياللعجب! هم يوقعون!" تساقطت الدموع من عينيه. وضرب ركبته وانحنى ليجعل ضحكته المدوية تنطلق من فمه المفتوح. ثم استند إلى حافة المكتب، وأخذ يردد "هم يوقعون!" وهو يضحك ملء شديقه.

تسأل رواد الفضاء الأربعة "ما المضحك فى الأمر؟".

تنهد السيد (آى آى آى) وقال بعد أن تعب من كثرة الضحك "هم يوقعون! إنه أمر مضحك للغاية. على أن أبلغ السيد (إكس إكس إكس) بهذا ثم تفحص النموذج الذى تم استيفاءه وهو لا يزال يضحك واستطرد قائلاً "كل شئ يبدو على ما يرام ومتفقاً مع القواعد والنظم وأوماً برأسه وأردف "وحتى إتفاق (موت الفجاءة)^(٢)، إذا كان اتخاذ قرار نهائى ضرورياً فى هذه الحالة ثم أفتر ثغره عن ضحكة خافتة.

تسأل الكابتن "اتفاق على ماذا؟".

(٢) موت لا ألم معه ولا نزع. (المترجم).

"لا تتحدث، لدى شيء ما من أجلك، ها هو ذا، خذ هذا المفتاح".

تورد وجه الكابتن وقال: "إنه لشرف عظيم".

صاح السيد (آى آى آى) بحدة "ليس هذا مفتاح المدينة أيها الأحمق، إنه مجرد مفتاح للمنزل، اذهبوا عبر هذا الرواق، وافتحوا الباب الكبير، بهذا المفتاح وادلفوا إلى الداخل وأغلقوا الباب بإحكام خلفكم. يمكنكم قضاء هذه الليلة هناك، وفي الصباح سوف أرسل السيد (إكس إكس إكس) لمقابلتكم".

أخذ الكابتن المفتاح فى يده بريية. ووقف ينظر إلى الأرضية، ولم يتحرك أفراد طاقمه، وبدوا كما لو أن الدماء أفرغت من شرايينهم حمى الرحلة الطويلة وأصبحوا مجوفين من داخلهم.

تساءل السيد (آى آى آى) "ما الخطب؟ ماذا بكم؟ ما الذى تنتظرونه؟ ما الذى تريدونه؟" اقترب منهم وحدث فى وجه الكابتن وهو يحنى رأسه وقال: "أخبرنى يا هذا، ماذا ألم بكم؟".

قال الكابتن مقترحاً "لا أظن أنه يمكنك... أعنى، أنك تحاول أو تفكر فى...".

ثم تردد وأردف قائلاً "... لقد كانت مهمتنا شاقة، وجئنا من مسافة شاسعة عبر الفضاء، ألا يجب أن تصافحنا وتقول لقد أبلتكم البلاء الحسن. ألا تعتقد...؟" وتلاشى صوته.

مد السيد (أى أى أى) يده المتوترة وقال: "تهنئتى"، ثم ابتسم فى برود وكرر الكلمة "تهنئتى". بعدها استدار وغادرهم، وهو يقول: "يجب على أن أذهب الآن، وعليكم استخدام المفتاح".

ولم ينظر إليهم من جديد، كما لو كانوا قد ذابوا خلال الأرضية، تحرك السيد (أى أى أى) فى أرجاء الغرفة، وهو يضع أوراقاً فى حقيبة صغيرة. وظل فى الغرفة لمدة خمس دقائق أخرى، لم يتحدث خلالها مع الرجال الأربعة الوقورين الصامتين، الذين يقفون مطأطئي الرؤوس، وأرجلهم الثقيلة محنية من الإرهاق، والضوء يتضاعل فى عيونهم الناعسة. وعندما خرج السيد (أى أى أى) من الباب، كان يتفحص أظافر يديه..

سار رواد الفضاء الأربعة فى الرواق الداخلى بخطى متثاقلة، فى ضوء ذلك الوقت من بعد الظهر المظجرة والساكن، وصلوا أخيراً إلى باب كبير من الفضة المصقولة وفتحوه بالمفتاح الفضى. دلفوا إلى الداخل وأغلقوا الباب خلفهم، واستداروا فوجدوا أنفسهم فى قاعة متسعة يغمرها ضوء شمس بعد الظهر، كان هناك رجال ونساء يجلسون إلى موائد أو يقفون وهم يتجاذبون أطراف الحديث. وبمجرد سماعهم لصوت الباب يفتح ثم يغلق، انتبهوا إلى رواد الفضاء الأربعة المرتدين أزياء رسمية.

تقدم أحد المريخين إلى الأمام وانحنى لهم قائلاً "أنا السيد (يو يو يو)".

قال الكابتن ببساطة: "وأنا الكابتن (جوناثان وليامز) من نيويورك فى كوكب الأرض".

حينئذ ضجت القاعة بالأصوات العالية، وكأنما حدث انفجار ما.

اهتزت الموائد والمقاعد بسبب الصيحات والصرخات، واندفع الحاضرون إلى الأمام في اتجاه رواد الفضاء الأربعة، ولوحوا بأيديهم وصرخوا من فرط سعادتهم وقلبوا الموائد والمقاعد، كانوا يحتشدون في مرج. وحملوا رواد الفضاء الأربعة برفق فوق أكتافهم وداروا بهم بسرعة عبر القاعة ست مرات، وهم يشكلون دائرة رائعة مكتملة، وهم يقفزون ويرتدون ويغتون.

أحس الأرضيون بالدهشة البالغة، حتى أنهم ظلوا صامتين وهم محمولون على أكتاف المريخين لنحو الدقيقة، قبل أن يشرعوا في الضحك والضحك لبعضهم البعض.

“هاى! هكذا يجب أن تكون الأمور!”.

“هذه هى الحياة! يالللوعة يا رفاق! ياي! يوه! ووبى!”^(٣).

غمز الرجال الأرضيون لبعضهم البعض وهم يرفعون أيديهم ليصفقوا فى الهواء، “هاى!”.

رد عليهم الحشد قائلاً “ياللبهجة!”.

أنزل الجميع رواد الفضاء فوق مائدة، وتوقف الصراخ. كاد الكابتن أن يذرف الدموع، وقال من بين عبراته “شكراً لكم، هذا رائع، رائع”.

(٣) صيحات مرحة تدل على الاستحسان والبهجة. (المترجم).

قال السيد (يو يو يو) "أخبرونا عن أنفسكم".

تنحنح الكابتن وأخذ يتحدث، وراح الحشد يتأوه مع كل كلمة يسمعوها ثم قام الكابتن بالتعريف بأفراد طاقمه، وقال كل منهم خطبة قصيرة، وشعروا بالإحراج من التصفيق المدوي وصياح الاستحسان من الحشد.

ربت السيد (يو يو يو) على كتف الكابتن وقال: "يا له من أمر رائع أن نرى شخصاً آخر من كوكب الأرض.. فأنا من كوكب الأرض أيضاً!".
"يا إلهي، كيف يمكن أن يكون هذا الأمر؟".

"يوجد العديد من سكان الأرض هنا".

بدا الكابتن مذهولاً وهو يقول "أنت؟ من كوكب الأرض؟ هل يمكن أن يكون هذا معقولاً؟ هل جئت في مركبة فضائية؟ هل كانت الرحلات الفضائية معروفة منذ قرون مضت؟" وضمت لعدة ثوان ثم استطرده متسائلاً في إحباط "من أي دولة أنت؟".

"(تويرول). لقد جئت منذ سنوات مضت، بقوة الروح في جسدي".

ردد الكابتن الكلمة من غير فهم "(تويرول)! لم أسمع بدولة بهذا الاسم من قبل! وماذا تعني بقولك، بقوة الروح في جسدي؟".

"والآنسة (آر آر آر) تلك التي تقف هناك، من كوكب الأرض أيضاً، أليس كذلك يا أنسة (آر آر آر)؟".

أومأت الآنسة (آر آر آر) برأسها وضحكت بغرابة.

وأيضاً السيد (دبليو دبليو دبليو) والسيد (كيو كيو كيو) والسيد (فى فى فى)!. قال شخص آخر من الحشد، مقدماً نفسه أنا من كوكب المشتري.

وقال شخص ثان وعيناه تومضان فى خبث وأنا من كوكب زحل. تتمم الكابتن فى دهشة وعيناه تطرفان "كوكب المشتري وكوكب زحل".

عندئذ ساد السكون التام، ووقف البعض وجلس البعض الآخر إلى الموائد، التى كانت فارغة بغرابة على الرغم من أنها تبدو مثل تلك الموائد الكبيرة التى تقام عليها الولائم الفاخرة.

كانت عيونهم الصفراء تتوهج، وثمة ظلال تحت العظم الوجنى^(٤) الغائر فى الوجوه. ولاحظ الكابتن للمرة الأولى، أنه ليس ثمة نوافذ فى القاعة، وأن الضوء ينبعث من خلال الجدران، ولم يكن هناك سوى باب واحد.

تراجع الكابتن مجفلاً وهو يقول "إنه أمر محير، أين تقع دولة (تويرول) فوق كوكب الأرض؟ هل هى قريبة من أمريكا؟".

"وما هى أمريكا؟".

بوغت الكابتن وتسأل "لم تسمع بأمريكا! وتقول بأنك من كوكب الأرض، ومع هذا لا تعرف أمريكا!".

(٤) عظام صغيرة على كل جانب من التجويف الوجهى وتشكل ما يسمى بالوجنة. (المترجم).

توتر جسم السيد (يو يو يو) وقال غاضباً "كوكب الأرض يمتلئ
بالبهار، ولا شئ سوى البحار. وليس هناك يابسة. أنا من كوكب
الأرض، وأعرف هذا جيداً".

بوغت الكابتن وقال فى دهشة بالغة "لحظة من فضلك! إنك تبدو
كمريخى عادى، نفس العيون الصفراء والبشرة البنية".

قالت الأنسة (أر أر أر) بتفاخر: "إن كوكب الأرض ممتلئ بالغابات.
وأنا من دولة (أورى) فوق كوكب الأرض، ذات الحضارة المعتمدة
على الفضة".

عندئذ أدار الكابتن رأسه، وتطلع إلى السيد (يو يو يو) ثم إلى
السيد (دبليو دبليو دبليو) والسيد (زد زد زد) والسيد (إن إن إن)
والسيد (إتش إتش إتش) والسيد (بى بى بى)، وشاهد بوضوح عيونهم
الصفراء الكامدة وهى تتسع، فى الضوء، وتركز فى المرئيات التى حولها
أحياناً وتبدو حائرة تائهة فى أحيان أخرى أخذ يرتجف. وأخيراً
التفت إلى رجاله وتطلع إليهم وعلى وجهه أمارات الاكتئاب واليأس،
وقال "هل تدركون ما هذا؟".

تسألوا "ماذا يا سيدى؟".

أجابهم الكابتن قائلاً بصوت ينم عن الضجر والإعياء: "هذا ليس
احتفالاً بنا ولا وليمة تقام على شرفنا، وهؤلاء ليسوا ممثلين للحكومة
المريخية. كما أنها ليست حفلاً مفاجئاً، انظروا إلى عيونهم، وأنصتوا
إليهم لتتبينوا الأمر".

حبس رواد الفضاء أنفاسهم، ولم يكن ثمة حركة فى القاعة المغلقة، سوى دوران العيون فى محاجرها.

بدا صوت الكابتن وكأنه يأتى من مكان بعيد وهو يقول "لقد أدركت الآن، لماذا أعطونا ورقة وجعلونا نذهب من شخص إلى آخر، حتى قابلنا السيد (آى آى آى) الذى أرسلنا عبر الرولف ومعنا مفتاح لنفتح به بابا ثم نغلقه، حتى نصل إلى هذا المكان".

تساءل رواد الفضاء قائلين: "وما هذا المكان يا سيدى؟".

تنهد الكابتن وهو يجيب: "إنها مصحة عقلية".

عند حلول الليل، خيم الصمت فى أرجاء القاعة المعتمدة، إلا من ضوء خافت ينبعث من مصدر خفى فى الجدران الشفافة للقاعة. وجلس رواد الفضاء الأربعة حول مائدة خشبية، يتهامسون وهم يحنون وجوههم الشاحبة الهزيلة، وكان الرجال والنساء يجلسون القرفصاء فوق أرضية القاعة. وكانت ثمة تحركات للبعض فى الجوانب المظلمة، رجال ونساء منقردين يلوحون بأيديهم.

وكل نصف ساعة يذهب أحد أفراد الطاقم، ليحاول فتح الباب الفضى، ثم يعود بخفى حنين إلى المائدة "لا فائدة ترجى يا سيدى، لقد أحكموا تماماً غلق باب القاعة علينا".

قال أحد أفراد الطاقم بصوت غارق فى الكآبة: "إنهم يعتقدون أننا مجانين بالفعل، أليس كذلك يا سيدى؟".

رد الكابتن قائلاً "بالتأكيد، لهذا لم يكن ثمة حفل استقبال عند وصولنا، للترحيب بنا، وظنوا - حسب اعتقادهم - أننا نعاني من حالة ذهان الهوس والاكتئاب الدوري^(٥) وأشار إلى كل الراقدين نياماً من حولهم، والذين يبدوون كأشكال مظلمة.

وأضاف قائلاً " .. إنهم جميعاً مصابون بجنون العظمة^(٦)! يا له من ترحاب ذلك الذي استقبلنا به! لقد خيل إلى لوهلة.. وتوقف عن الحديث لعدة ثوان وتألقت عيناه ثم خبتتا، واستطرد قائلاً " .. إننا كوفئنا بما نستحقه من مراسم الاستقبال، كل هذا الصراخ والغناء وإلقاء الخطب، كان رائعاً وقت حدوثه. أليس كذلك؟".

تساءل أحد أفراد الطاقم قائلاً: "سيدى! كم من الوقت سيبقوننا سجناء فى هذه القاعة؟".

أجاب الكابتن بشروء "حتى نثبت أننا لسنا مجانين بالذهان".
"إن هذا أمر سهل".
"أرجو ذلك".

"لا تبدو متأكداً كل التأكيد يا سيدى".

(٥) مرض عقلى خطير يتناوب على المريض فيه حالات الهوس بالمرح ثم حالات الاكتئاب. (المترجم).

(٦) يتميز بالخوف أو عدم الثقة بالآخرين بشكل غير طبيعى. (المترجم).

"الواقع أننى لست متأكدًا، انظروا إلى ذلك الركن".

كان ثمة رجل وحيد يجلس القرفصاء فى زاوية مظلمة، وأخذ ينفث لهبًا أزرق تشكل فى هيئة امرأة صغيرة عارية، راحت تنساب فى هواء القاعة بخفة محاطة بالأبخنة المضاءة بلون أزرق مخضر، تهمس وتتهدد.

وأشار الكابتن إلى ركن آخر فى القاعة، حيث كانت تقف امرأة هناك، تبدل شكلها، فتارة تطمر فى عمود بلورى، وتارة أخرى تنوب فى تمثال ذهبى، وأخيرًا تتخذ هيئة صولجان من خشب الأرز المصقول ثم تعود امرأة عادية من جديد.

وطوال فترة منتصف الليل، كان الرجال والنساء فى القاعة، ينفثون لهبًا رفيعًا ومتأرجحًا، ويتبدلون من شكل إلى آخر، ويتغيرون، لأن الليل كان وقت التغير والمعاناة، همس أحد أفراد الطاقم إنهم سحرة ومشعوذون!

رد عليه الكابتن مؤكدًا: "كلا! إن ما نشاهده مجرد هلوسة، لقد نقلوا لنا اختلالهم العقلى حتى نرى هلاوسهم أيضًا، عن طريق التخاطر، أو بالأحرى الإيحاء الذاتى^(٧) والتخاطر".

تسائل واحد من أفراد الطاقم: "سيدي! وهل هذا الأمر يقلقك؟".

(٧) عملية تقبل شخص ذاتيًا لأفكار معينة. (المترجم).

أجاب الكابتن بسرعة "بالطبع. إذا بدت الهلوس حقيقية فى أعيننا إلى هذا الحد، أو لأى شخص آخر. لو كانت الهلوس تمسك بنا وتوقعنا شركها وتبدو وكأنها حقيقية، فلا عجب إذن أنهم يسيئون الفهم ويظنوننا مرضى بجنون الذهان. وإذا كان بمقدور هذا الرجل أن ينقث دُخاناً أزرق رقيقاً على هيئة امرأة، بإمكانها أن تذب فى عمود بلورى. فمن الطبيعى لأى مريض عادى أن يعتقد أننا قد أنتجنا مركبتنا الفضائية بواسطة عقولنا، وأنها مجرد هلوس!".

تأوه أفراد الطاقم الواقفون فى الظلمة قائلين "أوه".

وفى كل مكان يحيط بهم فى القاعة المترامية الأطراف، انبثقت اللهب الأزرق، وتوهج ثم خفت وتلاشى، وتخللت أسنان الرجال النائمين شياطين صغيرة من الرمال الحمراء. وأصبحت النساء أفاعى صقيلة وملساء، وعبق الجو بروائح زواحف وحيوانات.

فى الصباح التالى، نهض الجميع وتحركوا فى نشاط عبر القاعة، وكانت تبدو عليهم السعادة وأنهم يمارسون حياتهم بطريقة طبيعية، ولم يكن ثمة لهب أو شياطين فى القاعة، وانتظر الكابتن وأفراد طاقمه بجانب الباب الفضى، يحدوهم الأمل أنه سوف يفتح فى وقت ما.

وصل السيد (إكس إكس إكس) بعد نحو أربع ساعات، كان لدى رواد الفضاء رغبة فى أنه خلف الباب يتلصص عليهم، لمدة حوالى ثلاث ساعات على الأقل، قبل أن يدلف إلى الداخل، أشار إليهم لكى يتبعوه ثم قادهم إلى مكتبه. كان مرحاً ومبتسماً، إذا كان التعبير الذى يظهر على

القناع الذى يرتديه صادقاً. ذلك أن القناع رسم عليه ثلاث ابتسامات وليست واحدة فقط. وخلف القناع كان صوته لا يعبر عن طبيب نفسى مبتسم إلى هذا الحد.

قال السيد (إكس إكس إكس) "ما مشكلتكم؟".

أجاب الكابتن قائلاً: "إنكم تظنون أننا مجانين، ولكننا لسنا كذلك!".

أشار الطبيب النفسى بعصا صغيرة كان يمسك بها إليهم فى اتجاه الكابتن وقال:

"على العكس، أنا لا أعتقد أن كلكم مجانين، كلا، أنت فقط يا سيدى. أما الآخرون فإنهم مجرد هلاوس ثانوية".

ضرب الكابتن بيده على ركبته وقال "إذن هذا هو حقيقة الأمر. لهذا ضحك السيد (أى أى أى) عندما اقترحت عليه أن يوقع رجالى أيضاً على الأوراق!".

ضحك الطبيب النفسى من خلف القناع المرسوم عليه الفم المبتسم "دعاية رائعة. ماذا كنت أقول؟ أجل، تذكرت. كنت أقول: هلاوس ثانوية، تأتى إلى النساء والأفامى تزحف خارجة من أذانهن. وعندما أعالجهن، تختفى الأفامى".

"سنكون سعداء لو قمت بعلاجنا. هيا ابدأ على الفور".

بدت الدهشة على وجه السيد (إكس إكس إكس) وقال: "أمر غريب! لا يريد الكثيرون أن يعالجوا، لأن العلاج عنيف الأثر".

"هيا قم بعلاجنا، وأنا على ثقة بأنك سوف تجدنا كلنا عقلاء!".

تنهد السيد (إكس إكس إكس) وقال "دعنى أتفحص أوراقك لأتأكد أنها مستوفاة للقيام بعملية (العلاج)". ثم أخذ يتفحص ملفا واستطرد قائلا "... أجل. كما تعرف أنه فى الحالات التى مثل حالتك، تحتاج إلى علاج خاص. إن الأشخاص فى تلك القاعة حالاتهم أبسط، ولكن عندما تتفاقم حالتك إلى هذا الحد، وتتحول إلى هلاوس أولية وثانوية، سمعية وشمية ولفظية، بالإضافة إلى تخیلات حسية وبصرية، إذن قد صارت الحالة بالغة السوء. عندئذ يجب علينا أن نلجأ إلى (القتل الرحيم)^(٨)".

قفز الكابتن هادراً وصرخ "أسمعنى جيداً يا هذا، لقد طفح الكيل بنا! وتحملنا بما فيه الكفاية! اختبرنا، وانقر على ركبنا كما يفعل الأطباء النفسيون، افحص قلوبنا، أخضعنا للتجارب، واطرح علينا ما تشاء من أسئلة!".

"تكلم كما تشاء".

تحدث الكابتن بحماسة لنحو الساعة. وأنصت إليه الطبيب النفسى باهتمام.

استغرق الطبيب النفسى فى التفكير ثم قال بدهشة: "غير معقول. إننى لم أسمع من قبل، تخیلات بهذه التفاصيل الدقيقة!".

(٨) قتل من يشكو من مرض عضال - لا أمل فى الشفاء منه - دون أن يشعر بآلم. (المترجم).

صرخ الكابتن "اللعة! سوف تريك المركبة الفضائية التي جاءت بنا إلى هنا".

"كم أتمنى أن أراها. هل يمكنك أن تجعلها تتجلى في هذه الحجرة".
قال الكابتن بسخرية "أوه، بالطبع إنها في ذلك الملف الذي تمسك به تحت الحرف (ر)".

تفحص السيد (إكس إكس إكس) الملف بإمعان ثم أغلقه بتؤدة ثم قال للكابتن: "لماذا طلبت مني أن أنظر في الملف، لا يوجد شيء هنا".
"بالطبع لا يوجد شيء، أيها الأحمق! كنت أمزح معك، أياحق للرجل المجنون أن يمزح؟".

"لقد صادفت الكثيرين ممن يملكون حساً غريباً للمزاح. والآن، خذني إلى مركبتك الفضائية، إنني أود رؤيتها".

كان الوقت ظهراً، والجو شديد الحرارة، عندما وصلوا إلى المركبة الفضائية قال الطبيب النفسي "حسناً" وسار إلى المركبة الفضائية وطرق بيده على هيكلها، فانطلق منه صوت كالرنين الخافت ثم تساءل بخبث "هل أستطيع الدخول؟".
"نعم بالتأكيد".

دلف السيد (إكس إكس إكس) إلى داخل المركبة الفضائية وغاب وقتاً طويلاً، بينما كان الكابتن ينتظر قضم جزءاً من سيجاره ليتمكن من إشعاله وقال:

"يا له من أمر يثير الحنق الشديد. عندما أعود إلى وطنى وأبلغ الناس بالآهات يهتموا بكوكب المريخ، فإنه مجرد مكان يمتلئ بالترهات والشكوك التى لا أساس لها من الصحة!".

قال أحد أفراد الطاقم الفضائى.

"سيدى! أعتقد أن نسبة كبيرة من سكان المريخ مجانين. ويبدو أن هذا هو السبب الرئيسى لإثارة الشكوك لديهم".
"ومع ذلك، فإن هذا الأمر مثير للإزعاج الشديد".

خرج الطبيب النفسى من داخل المركبة الفضائية، بعد نصف ساعة قضائها فى التجول خلسة، والطرق والإصغاء والشم والتذوق، لما فى الداخل.

صاح الكابتن بصوت عال وكأَن الطبيب النفسى أصم "والآن هل تصدقنى؟".

أغمض الطبيب النفسى عينيه وحك أنفه ثم قال: "إن هذا أكثر النماذج تفرداً للهلاوس الحسية والإيحاء الذاتى، إننى لم أقابل مثله فى حياتى. لقد تجولت فى (مركبتك الفضائية) كما تطلق عليها "توقف عن الكلام وطرق الهيكل ثم استطرد قائلاً "... لقد سمعت صوت القرع. إذن هى تخیلات سمعية" واستنشق الهواء بعمق وأضاف "... وشممتها. فهى إذن هلاوس شمعية، أحدثها تخاطر حسى" وقبل الهيكل وأردف "... لقد تذوقتها، وهذا بالتأكيد تخیلات تذوقية!".

وشد على يد الكابتن قائلاً: "هل يمكنني أن أهنتك؟ فأنت مجنون ذهان عبقرى! لقد صنعت وهماً مكتملاً للغاية! لقد جعلت تخيلاتك الذهنية عن مناحي الحياة، تبرز واضحة لعقول الآخرين عن طريق التخاطر، ولم تجعل الهالوس تضعف حسياً، لأمر يكاد أن يكون مستحيلاً! إن المحتجزين فى القاعة، عادة يركزون على التخيلات البصرية والسمعية معاً، أما أنت فقد جمعت كل التخيلات فى توازن رائع! إن جنونك الذهاني رائع وكامل!".

امتقع وجه الكابتن وقال "جنونى!".

"أجل، أجل، يا له من جنون محبب للنفس وملهم للإعجاب. لقد شاهدت داخل المركبة الفضائية المزعومة، معدناً ومطاطاً وأجهزة تعديل الجاذبية وطعام، وملابس ووقود وأسلحة وسلالم ومسامير ملوابة وصواميل وملاعق وعشرة آلاف الأشياء المختلفة، تفحصتها فى داخل المركبة، ولم يحدث قط أننى شاهدت من قبل مثل هذه التعقيدات والتركيبات، حتى كانت هناك ظلال تحت الأسرة الضيقة وتحت كل شئ! يا لها من قوة تركيز للإرادة، وهى باقية مهما اختلف وقت وكيفية تفحصها، إن لها رائحة وصلادة وتنوفاً وصوتاً! دعنى أعانقك مهنئاً!".

وأخيراً، رجع خطوة إلى الوراء واستطرد قائلاً: "... سأكتب هذا فى أعظم كتبى وأبحاثى الدراسية! وسأتحدث عنها فى الأكاديمية المريخية فى الشهر القادم! أنظر إليك! لقد تمكنت حتى من تغيير لون عينيك من الأصفر إلى الأزرق، ولون بشرتك إلى الأحمر الوردى بدلاً من البنى.

وكذلك هذه الملابس التي ترتديها، وحتى يدك أصبح بها خمسة أصابع بدلاً من ستة! تحول بيولوجي في البنية والتركيب، عن طريق اختلال في التوازن النفسي! وأصدقاؤك الثلاثة...".

وأخرج من جيبه مسدساً صغيراً بالطبع حالك ميتوس منها وغير قابلة للشفاء. أيها الرجل المسكين والرائع سوف تكون أكثر سعادة وأنت ميت، هل لديك كلمات أخيرة قبل أن تودع هذه الحياة؟.

"توقف، بالله عليك! لا تطلق النار!".

"أيها الكائن التعس، سأخلصك من يؤسك، الذي أدى بك إلى تخيل هذه المركبة الفضائية وهؤلاء الرجال الثلاثة. سوف يكون مشهداً أخاذاً للغاية، عندما أراقب أصدقاؤك الثلاثة ومركبتك الفضائية، وهم يختفون، بمجرد أن أقتلك، وسأصوغ بحثاً منمقاً ومفصلاً عن تبديد وانحلال المشاهد العصابية^(٩)، كما رأيتها اليوم هنا".

"إننى من كوكب الأرض! واسمى (جوناثان وليامز) وهؤلاء...".

قال السيد (إكس إكس إكس) مهدئاً "أجل، إننى أعرف" وأطلق النار من مسدسه، سقط الكابتن بعد أن أصابته الرصاصة في قلبه، وصرخ الرجال الثلاثة الآخرون، حدق السيد (إكس إكس إكس) بهم وقال بدهشة "ياللعجب! هل مازلت موجودين؟ إن هذا أمر شديد الغرابة!

(٩) اضطرابات عقلية تؤدي إلى الاكتئاب ومخاوف غير عقلانية. (المترجم).

هلاوس متجسدة فى الزمان والمكان! "وصوت مسدسه نحوهم قائلاً
"حسناً، سوف تختفون الآن".

صرخ الرجال الثلاثة بقمة انفعالهم "لا".

قال السيد (إكس إكس إكس) متعجباً "صرخة استغاثة حتى بعد
موت المريض".

ثم أطلق النار على رواد الفضاء الثلاثة.

سقطوا على رمال المريخ موتى..

رفسهم السيد (إكس إكس إكس) بقدمه، ثم دق على هيكل المركبة
الفضائية صاح وهو يطلق النار مراراً وتكراراً على أجساد رواد الفضاء
"ما زالت موجودة وما زالوا موجودين" ثم تراجع خطوات إلى الوراء،
وسقط القناع المبتسم من فوق وجهه.

تغير الوجه الصغير للطبيب النفسى، وفغر فاه، ووقع المسدس من
بين أصابعه. كانت عيناه كئيبتين وخاويتين. رفع يديه إلى أعلى فى الهواء
ولوح بهما فى حركة دائرية غير كاملة. وأخذ يتحسس أجساد رواد
الفضاء الأربعة بتوتر وحيرة، واللعب يملأ فمه. أخذ يتمتم بكلمات
محمومة غير مفهومة وذات نبرة منخفضة ثم همس "هلاوس! تنوقية
وبصرية وشمية وسمعية" ولوح بيديه وجحظت عيناه، وبدأ الزبد الخفيف
يتساقط من فمه.

صرخ فى الأجساد الملقاة على تربة المريخ "اغربوا عن وجهى!"

ثم صاح فى المركبة الفضائية "أغربى عن وجهى!".

راح يتفحص يديه المرتعدتين، وهمس بجنون "لقد أصابتنى العدوى وأصبحت ملوثاً. تخاطر، وتنويم مغناطيسى، إنتهى الآن مجنون وملوث، وأشهد هلاوس بكل أشكالها الحسية، توقف عن الكلام، وأخذ يبحث حوله بيديه الفاقدين للإحساس والقدرة على الحركة الطبيعية - عند المسدس الذى سقط منه وقال "ليس هناك سوى علاج واحد لحالتى وطريقة واحدة فقط، لجعل هذه الهلاوس تذهب عني، وتختفى".

نوى صوت طليقة أخرى وسقط السيد (إكس إكس إكس) ميتاً.. تمددت الأجساد الأربعة لزواد الفضاء تحت أشعة الشمس، وسقط السيد (إكس إكس إكس) حيث كان يقف، ومازالت المركبة الفضائية مستندة إلى التل الصغير المغمور بأشعة الشمس، ولم تختف.

وعندما عثر سكان المدينة على المركبة الفضائية عند غروب الشمس، تعجبوا عن ماهيتها، ولكن لم يتوصل أحد إلى إجابة مقنعة، ومن ثم بيعت إلى أحد بائعى الخردة، حيث تم تفكيكها لتباع كقطع خردة معدنية، تساقطت الأمطار طوال تلك الليلة، وفى اليوم التالى كان الجو معتدلاً ودافئاً.

موسم الكساد

أوماً (سام باركهيل) برأسه وهو ممسك بالمكنسة، وأخذ يكتس الرمل المريخى الأزرق إلى بعيد وقال: "ها نحن أولاء هنا.. نعم يا سيدتى، انظرى إلى هذا.." وأشار إلى شيء ما وأردف: "انظرى إلى هذه اللافطة"، "سجق (سام)!".. أليست جميلة يا (إلما)؟".

قالت زوجته: "بلى إنها جميلة يا (سام)".

"ياه! ما أجمل هذا التغيير بالنسبة إلى.. هلا يرانى فتیان البعثة الرابعة الآن.. كم أنا سعيد بالقيام بعمل تجارى بنفسى بينما بقية الرجال مازالوا يهيمنون بون عمل فى كل مكان حولنا.. سوف نكسب آلاف الدولارات يا (إلما)".

نظرت إليه زوجته طويلاً فى صمت ثم قالت أخيراً: "مهما يكون قد حدث للكابتن (ويلدر)؟.. هذا الكابتن الذى قتل الرجل الذى اعتقد أنه سوف يجهز على كل إنسان أرضى هنا، ترى ماذا كان اسمه؟".

"إنه ذلك المعتوه (سبندر).. لقد كان شخصاً متميزاً للغاية.. أوه، الكابتن (ويلدر)؟.. لقد سافر فى سفينة فضاء إلى كوكب المشترى

كما سمعت.. لقد رقوه للتخلص منه بإرساله إلى هناك.. وأظن أنه كان مغرمًا بشكل مخبول بالمريخ أيضًا.. كما أنه شديد الغضب والهيّاج كما تعرفين.. والأرجح أنه سيعود من المشتري ويلوتو في غضون عشرين عامًا، هذا بالطبع إذا كان محظوظًا للغاية.. وهذا هو ما لاقاه من جراء إطلاق العنان للسانه وانتقاد الآخرين.. وبينما يتجمد هو هناك حتى الموت، انظري إلى وأنا موجود في هذا المكان!"

كان هذا المكان ملتقى طرق حيث يتقاطع عنده طريقان سريعان القادمين والذاهبين وسط الظلام الحالك.. وهنا أقام (سام باركهيل) كشكه المصنوع من الألومنيوم بواسطة دق مسامير البرشام.. وهو مبنى يتميز بألوانه الصارخة وضوئه الأبيض وصندوق الموسيقى الذي يعزف أنغامه بوضع عملة نقدية فيه.. انحنى لضبط قطعة من الزجاج المكسور كان قد وضعها في الممر الرئيسي.. وكان قد جمع كسر بعض الزجاج من مبان مريخية قديمة في الجبال.

قال بعد دقائق من الصمت: "سوف ننتج أجمل سجق في الكوكبين معًا!.. وساكون أول رجل على أرض المريخ ينصب كشكًا لبيع السجق!.. هنا يوجد أفضل بصل وشطة ومسطردة!.. لا تستطيعين أن تقولى إننى لست ذكيًا.. ها هنا الطرق الرئيسية، وهناك المدينة المهجورة الميتة والرواسب المعدنية.. وكل مركبات المستوطنة الأرضية رقم ١٠١ سوف تمر من هنا طوال ٢٤ ساعة يوميًا!.. ترى هل أحسنت اختيار المكان أم لا؟"

لم ترد عليه زوجته واكتفت بالتحديق فى أظافر يديها.. ثم قالت أخيراً: "هل تعتقد أن سفن الفضاء الجديدة.. نحو عشرة آلاف منها.. التى تنقل العمال، سوف تمر فى رحلتها بالمريخ هنا؟".

قال بصوت عال: "بعد شهر على ما أظن.. لكن لماذا شكك غريب هكذا؟".

"أنا لا أثق بأولئك الأرضيين، ولن أصدق إلا عندما أرى عشرة آلاف سفينة فضاء تصل إلى هنا وعلى متنها مائة ألف مكسيكى وصينى".

قال وهو يضغط على كلماته: "زبان.. مائة ألف زبون جائع.. إننا محظوظان".

ردت زوجته بتؤدة وهى تحلق فى السماء: "ولكن هذا إذا لم تكن هناك أية حرب ذرية.. أنا لا أثق بأية قنابل ذرية.. وهناك الكثير منها على الأرض الآن، ولا يستطيع أحد أن يعرف عددها".

قال (سام) وهو يواصل كنس الأرض: "آه".

بطرف عينيها لاحظت ومضة زرقاء خاطفة.. شىء ما سبغ فى الهواء بخفة خلفهما.. وسمع زوجته تقول: "(سام).. جاء صديق إليك لرؤيتك".

لف (سام) حول نفسه ليرى القناع أو الشخص المرتدى قناعاً يسبغ فى الريح.. وأمسك (سام) بمكنسته كسلاح وهو يقول: "إذن لقد عدت مرة أخرى".

أوماً القناع أو الشخص المقنع برأسه.. كان قناعاً مقطوعاً من لوح زجاجي أزرق ومركب فوق عنق رفيع، ومن تحته حبال سائبة متحركة من حرير أصفر رفيع.. ومن الخيوط الحريريّة ظهرت يدان فضيتان معشقتان في بعضهما البعض.. وكان فم القناع عبارة عن شق تصدر منه الآن أصوات موسيقية بينما يرتفع وينخفض القناع واليدان والحبال المتصلة بهما.

قال الصوت الصادر من وراء القناع: "سيد (باركهيل).. لقد عدت لأحدث معك من جديد".

صاح (سام): "لا أظن أنني قلت إنني لا أريدك هنا بالقرب مني!.. والآن انصرف وإلا سأصيبك بالمرض".

"لقد أصبت بالفعل بالمرض.. وأنا واحد من قليلين نجوا منه.. لقد كنت مريضاً لوقت طويل جداً".

"أنا أقول لك انصرف واختبئ في الجبال، فهذا هو المكان الذي تنتمي إليه والذي يجب أن تكون فيه.. لا أعرف لماذا جئت تزعجني هنا؟.. ومرتين فجأة في يوم واحد؟".

"نحن لا نريد إلحاق أي أذى بك".

قال (سام) وهو يتراجع إلى الوراء: "لكنني أريد إلحاق الأذى بك!.. أنا لا أحب الغرباء، ولا أحب المريخين.. لم أر مريضاً من قبل.. لأن ذلك ليس طبيعياً..

وطوال كل تلك السنوات كنتم مختبئين يا قوم، وفجأة أراكم كلكم تستأسدون على.. والآن اتركني لشأني".

قال القناع الأزرق: "لقد جننا لسبب مهم جداً".

"إذا كان هذا الموضوع هذه الأرض، فاعلم أنها أرضي.. لقد بنيت كشك السجق هذا بيديّ هاتين".

"الموضوع بشكل ما يتعلق بالأرض".

قال (سام): "انظر إلىّ جيداً.. أنا من مدينة نيويورك، وقد جنّت من مكان به عشرة ملايين شخص آخر مثلي بالضبط.. أنتم المريخيون مجرد عشرين أو ثلاثين شخصاً بقيتم بدون أي مدن لتعيشوا فيها وتتحركون هنا وهناك بين الجبال.. بدون قادة أو قوانين.. والآن جنّتم إلىّ لتقولوا لي: إن هذه أرضكم.. حسناً، المنطق يقول إنه على القديم أن يُفسح مكاناً للجديد.. هذا هو قانون الأخذ والعطاء.. وأنا معي مسدس هنا.. بعد أن انصرفت هذا الصباح، أخرجته وحشوته بالطلقات".

قال القناع الأزرق الكئيب: "نحن المريخيون نتواصل بالتخاطر الفكري.. ونحن على اتصال بإحدى مدنتكم على البحر الميت.. هل سمعت الراديو اليوم؟".

"لا، لأن الراديو الذي لدىّ انكسر".

"إذن أنت لا تعرف ما حدث.. هناك أخبار مهمة جداً.. الأمر يتعلق بالأرض و....".

لوحث إحدى يديه الفضيتين.. وظهرت فيها ماسورة برونزية.

دعنى أريك شيئاً معى.

صرخ (سام باركهيل): "مسدس".

بعد لحظة واحدة نزع (سام) مسدسه من جرابه المثبت بظهره وأطلق الرصاص على الضباب والحبال والقناع الأزرق.

حافظ القناع على اتزانه للحظة، ثم بدا كخيمة صغيرة بالسيرك تنتزع خوابير تثبيتها من الأرض وتتهاوى فى طبقات متتالية على بعضها البعض.. وسمع صوت حفيف الحرير.. وهبط القناع والمخالب الفضية التى رنت على الممر الحجرى.. وتمدد القناع فوق كومة صغيرة من المواد والعظام البيضاء الساكنة.

وقف (سام) وهو يشهق، وهرولت زوجته ناحية الكومة الجاثمة على الأرض.

قالت وهى تنحنى: "هذا ليس سلاحاً بالمرّة" .. وأمسكت بالماسورة البرونزية وأردفت: "لقد كان يريد أن يريك رسالة ما .. إنها مكتوبة كلها برموز شفرية تبدو كثعابين زرقاء .. لا أفهم شيئاً منها .. هل يمكنك أنت؟".

قال (سام): "لا، هذه الكتابة المريخية المصورة ليست شيئاً على الإطلاق، ألقها بعيداً" .. ونظر حوله بسرعة وأردف: "لعل هناك آخرين! .. علينا أن نخفيه عن الأنظار .. أحضرى إلى الجاروف!".

"جاروف؟.. وماذا تتوى أن تفعل به؟".

"بالتأكيد لكى أدفن المريخى!".

"ما كان يجب أن تطلق عليه النار".

"نعم، لقد كانت غلطة.. والآن هيا بسرعة!".

ويهدوء أحضرت إليه الجاروف.

فى تمام الساعة الثامنة عاد إلى مهمة كنس مدخل كشك السجق وهو مضطرب ومهموم.. ووقفت زوجته شاردة الذهن ومطوية الذراعين فى المدخل المضىء للكشك.

قال وهو ينظر إليها: "أسف لما حدث".. ثم نظر إلى بعيد وأردف:
"أنت تعرفين أن هذا قضاء وقدر".

قالت زوجته بأسى: "نعم، أعرف ذلك".

"لقد فرغت للغاية عندما رأيته يُخرج هذا السلاح".
"أى سلاح تقصده؟".

"حسنًا.. لقد ظننته كذلك.. أنا أسف!.. نعم، أسف جدًا!.. تُرى كم مرة سأقول لك هذا؟".

قالت (إلما): "صه".. ووضعت إصبعها على شفتيها وكررت: "صه".

قال: "أنا لا أبالى.. إن معى مؤسسة المستوطنات الأرضية بأكملها تدعمنى!.. وهؤلاء المريخيون لن يجروا على.....".

هتفت (إلما): "انظر".

نظر هو إلى قاع البحر الميت.. وسقطت المكنسة من يده.. التقطها من جديد وفغر فاه.. وتساقطت من فمه بعض قطرات من اللعاب في الهواء، ووجد بدنه يرتجف.. وقال: "(إلما).. (إلما)!"

قالت (إلما): "ها هم قادمون الآن يا (سام)".

عبر قاع البحر القديم كانت اثنتا عشرة سفينة رملية مريخية طويلة زرقاء الأشعة تطفو كأشباح زرقاء.. تندفع كدخان أزرق.

"سفن رملية!.. لكن لم تعد هناك أى منها الآن يا (إلما)".

"لكنها تبدو كسفن رملية فعلاً".

"ولكن كما تعلمين فقد صادرتها السلطات الأرضية كلها!.. ثم حطموها تماماً وباعوا بعضها بالمزاد العلني!.. أنا الوحيد في كل تلك المنطقة الذى معه واحدة منها وأعرف كيف أقودها".

قالت وهى تومئ برأسها ناحية البحر الميت: "لكن ليس بعد الآن يا عزيزتى".

"هيا بنا.. لابد أن نغادر هذا المكان فوراً!".

قالت بتؤدة: "لماذا؟.. وبدأت منبهرة بالسفن المريخية الرائعة".

"هيا يا عزيزى.. سوف يقتلوننى!.. هيا إلى مركبتينا وبسرعة؟!".

لم تتحرك (إلما) ولذلك اضطر إلى أن يجرها إلى خلف الكشك حيث تقف المركبتان.. مركبته التي استخدمها باستمرار حتى شهر مضى، والسفينة الرملية المريخية التي اشتراها في مزاد مفتوح وهو مبتهج خلال الأسابيع الثلاثة الماضية في نقل الإمدادات الغذائية ذهاباً وإياباً عبر قاع البحر الزجاجي. ونظر إلى مركبته الآن وتذكر.. كان محركها مفكوكاً على الأرض حيث كان يعبث به لإصلاحه طوال اليومين السابقين.

قالت (إلما): "المركبة من الواضح أنها لن تعمل أبدا بحالتها هذه".

"لكن ما زال لدينا السفينة الرملية.. هيا بنا إليها!"

"وأتركك لكي تقود هذه السفينة الرملية؟.. لا، لا يمكن هذا!"

دفعها إلى داخل السفينة ووثب خلفها ولف بيده دفعة السفينة وترك الشراع الأزرق المتألق لكي يتحرك بتأثير الريح.

كانت النجوم تسطع من بعيد فوقهما، والسفن المريخية الزرقاء تشق طريقها خلال الرمال التي تصدر هسيساً خافتاً.

في البداية لم تتحرك سفينته، ثم تذكر مرساة الرمال ونزعها بسرعة.. وهتف: "هيا انطلقى!"

دفعت الرياح السفينة الرملية بحيث انطلقت وهي تدوى على طول قاع البحر الميت فوق بلورات مدفونة منذ زمن طويل، بعيداً عن الأعمدة الطليقة، وبعيداً عن أرض صفة تحميل مهجورة من الرخام والنحاس،

بعيداً عن مدن بيضاء مئة تنتشر فيها أشكال ثلجية كالتماثيل أو كقطع الشطرنج، وبعيداً عن التلال الأرجوانية الخفيفة الممتدة تحت سفوح الجبال إلى مسافة كبيرة.. وبدأت أشكال السفن المريخية تتراجع، غير أنها ما لبثت أن زادت من سرعتها حتى سايرت سفينة (سام).

صاح (سام): "يا إلهي!.. أعتقد أنني أثبت لهم براعتي.. وسوف اتصل بشركة الصواريخ.. إنهم سوف يوفرون لي الحماية اللازمة!.. أنا سريع جداً كما ترى".

قالت (إلما) بتعب: "كان بمقدورهم أن يوقفوك إذا أرادوا.. إنهم فقط لم يريدوا الدخول في متاعب".

ضحك وقال: "دعك من هذا الكلام.. فلماذا يتركونني أهرب؟.. لا، إنهم لم يكونوا مسرعين بدرجة كافية، هذا هو كل ما في الأمر".

مالت (إلما) برأسها إلى خلفه وقالت بتؤدة: "هل هم هكذا حقاً؟".

لم يلتفت إلى الوراء وشعر بريح باردة تهب عليه.. كان خائفاً من الانتفات.. بيد أنه شعر بشيء ما في المقعد الذي بجواره.. شيء واه وضئيل كنفس المرء في صباح يوم بارد.. شيء أزرق اللون كدخان خشب شجرة الجوز وقت الشفق.. شيء يشبه رباطاً أو شريطاً أبيض قديماً.. شيء يشبه سقوط الثلج.. شيء يشبه طبقة الصقيع التي تتكون على أوراق نباتات البردي الهشة في الشتاء.

سمع صوتاً كصوت تحطم لوح زجاجي رفيع.. ثم ضحك.. ثم سكون.. عندئذ التفت جانباً.

كانت هناك شابة جالسة على مقعد الدفة بهدوء.. ومعصمها رفيفان كخيطين جليدين.. وعيناها صافيتان كقمرين وفي نفس الوقت كبيرتان وبيضاوان وثابتتا النظرة.. وهبت الريح عليها وتموجت كما لو كانت صورة منعكسة على ماء بارد.. ومن حول جسمها الضئيل تنتشر غلالات حريرية عبارة عن خرق المطر الأزرق.

بدأت كلامها بقولها: "ارجع".

قال (سام) بخوف: "لا".. كان وقتها يشعر كمن يرعبه وجود دبور فضيع عالق في الهواء.. ويتذبذب بين الخوف والكراهية.. وأردف: "والآن اخرجى من سفينتى!"

قال الطيف الجالس بجواره: "هذه ليست سفينتك.. إنها قديمة قديم كوكبنا.. لقد أبحرت في بحور الرمال منذ عشرة آلاف عام عندما كانت البحار قد تبددت وأصبحت أرصفة التحميل وأحواض السفن خالية.. ثم جئت أنت وأخذتها.. أو بالأحرى سرقتها.. والآن استدر بها وعد إلى مكان تقاطع الطرق.. إننا محتاجون إلى التحدث إليك.. فقد طرأ أمر مهم جداً".

قال (سام) بإصرار: "انزلى من سفينتى!".. وأخرج المسدس من جرابه بقوة حيث صرّ جلد الجراب.. ووجه المسدس بعناية وقال: "أقفزى من السفينة قبل أن أعد إلى ثلاثة....".

صاحت الفتاة: "لا تفعل هذا!.. أنا لن أؤذيك.. ولن يؤذيك الآخرون أيضاً.. لقد جئنا إلى هنا مسالمين!"

قال (سام) كمن يتحدث ألياً: "واحد".

قالت (إلما): "(سام)!.. ما هذا؟".

قالت الفتاة: "أنصت إلي".

قال (سام) بثبات وهو يُعمر زناد المسدس: "اثنان".

صاحت (إلما): "(سام)، بالله عليك اهدأ".

قال (سام): "ثلاثة".

قالت الفتاة: "إننا فقط نريد....". ولم تتح لها الفرصة لإكمال

كلامها فقد انطلقت رصاصة من المسدس.

فى ضوء الشمس يذوب الثلج وتتبخّر بلورات الجليد إلى بخار أو إلى لا شيء.. وفى ضوء النار، يتراقص البخار ثم لا يلبث أن يتلاشى.. وداخل قلب البركان، تنفجر أشياء هشة ثم تختفى.. أما الفتاة فقد انتثرت وسط إطلاق النار وحرارة الموقف وهول الصدمة التى اقترنت بذلك، فقد انتثرت كوشاح رقيق، ذابت كتمثال بلورى ثلجى صغير.. وكل ما تبقى منها بضع قطع من كسف الثلج والدخان الذى سرعان ما تبدد فى الريح.. وأصبح مقعد الدفة خالياً.

أعاد (سام) المسدس إلى جرابه ولم ينظر إلى زوجته.. وبعد مزيد من السفر لمدة دقيقة قالت وهى تهمس إلى بحر الرمال فضى اللون كالقمر: "(سام)، أوقف هذه السفينة".

نظر إليها وشحب وجهه وقال: "لا، لا تطلبى منى ذلك.. ليس بعد كل هذا الوقت.. وطبعاً أنت لن تضغطى على أكثر من ذلك".

نظرت إلى يده التى يوجد المسدس تحتها وقالت: "أظن أنك ستفعل ذلك.. أنت ستفعل ذلك بالفعل".

هز رأسه من جانب إلى آخر ويده متشبثة بقوة بمقود السفينة: "(إلما).. هذا هراء.. سوف نكون فى البلدة بعد دقيقة.. سوف نصبح فى أمان!".

قالت زوجته وهى ممددة بهدوء فى السفينة: "نعم".

"(إلما).. أصغى إلى قليلاً".

"لا يوجد أى شىء يمكن أن أسمعه منك يا (سام)".

"(إلما)!!".

مرت بهما بسرعة مدينة من التماثيل الثلجية كقطع الشطرنج.. ويسبب يأسه وغضبه أطلق ست رصاصات على أبراج بلورات الجليد.. وذابت المدينة فى الحال إلى شلال من الزجاج القديم والكوارتز المتشظى إلى قطع صغيرة.. سقطت الأبراج كقطعة صابون مثقبة تصدعت.. لم يعد لها أثر الآن.. وضحك وأطلق النار مرة أخرى، ومرة أخرى.. ووقتها احترقت قطعة شطرنج أخيرة وطارت شظاياها بسرعة هائلة بين النجوم.

”سوف أريهم مدى قوتي!.. سوف أرى كل إنسان!“.

قالت وهي ممددة فى الظلال: ”هيا.. أرنا قوتك يا (سام)!“.

حشا (سام) مسدسه بالرصاص وقال: ”ها هى ذى أقبلت مدينة

أخرى.. راقبيني وأنا أحطمها“.

لاحت السفن الشبحية الزرقاء عالياً فى الأفق من خلفهما.. وهي تقترب حثيثاً منهما.. فى البداية لم يرها، كان فقط يدرى بوجود صوت صفير وبوى هائل كما لو كان صادراً عن فولاذ ورمال.. كان ذلك صوت المقدمات الحادة لسفن الرمال وهي تخترق أعماق البحار الرملية، وأعلامها الحمراء والزرقاء مفرودة بالكامل. وكان هناك فى تلك السفن الخفيفة الزرقاء صور زرقاء معتمة ورجال مقنعون ورجال ذوو وجوه فضية ورجال عيونهم كنجوم زرقاء، ورجال بأذان ذهبية مقوسة، ورجال بخدود كأوراق مفضضة وشفاه كالياقوت المسنن، رجال أذرعهم مطوية، رجال يطاردونه.. رجال مريخيون.

واحد، اثنان، ثلاثة.. عدّ (سام).. وفى الحال أحذقت السفن به..

وصاح: ”(إلما)، (إلما)، (إلما).. لا أستطيع أن أصددهم“.

لم تتطق (إلما) بكلمة واحدة أو تصعد من مكان تمدها، وأطلق (سام) النار ثمانى مرات.. إحدى السفن الرملية تمزقت أشلاء وتناثرت حطامها، الشراع والجسم الزمردى، نقاط الهيكل البرونزية، الدفة البيضاء كوجه القمر... إلخ، مكونة صوراً منفصلة عليها..

الرجال المقنعون كلهم غاصوا فى الرمال وتناثروا فى لهب برتقالى ثم فى دخان كثيف.. غير أن السفن الأخرى أحاطت به تماماً.

صرخ قائلاً: "لا أستطيع مواجهة كل هذا العدد يا (إلما)!!.. سوف يقتلوننى!".

أطاح بالمرساة من يده، إذ لم يكن لها فائدة.. وتهاوى الشراع إلى أسفل متكوراً على نفسه بصوت مكتوم.. وتوقفت السفينة كما خمدت الريح.. وانتهى السفر. وبقي المريح ساكناً بينما أحاطت السفن المريخية المهية الضخمة بهما ودارت حولهما ببطء.

سمع صوتاً من مقعد عال فى مكان ما يقول: "أيها الأرضى".. وتحرك قناع فضى.. ولعت شفتان حمراوا الحافة وهما تنطقان بتلك الكلمتين.

قال (سام): "أنا لم أفعل أى شىء!". ثم نظر إلى كل الوجوه.. ثمة مائة وجه يحيطون به.. لم يكن هناك أى مريخين باقين على المريح - مائة وواحد، مائة وخمسون إجمالياً.. ومعظمهم كانوا هنا فوق البحار الميتة داخل سفنهم التى بعثت من جديد.. بجوار مدنهم الشطرنجية الميتة، وأحدها قد إنهار لتوه كزهريّة هشة اصطدمت بحصاة. وومضت الأقنعة الفضية.

قال وهو يهبط من سفينته مدافعاً عن نفسه ومستعظفاً تلك الكائنات: "لقد كان ذلك خطأ منى، وأنا أعترف به".. وجثمت زوجته خلفه فى أعماق

عنبر السفينة كما لو كانت امرأة ميتة.. وأردف: "لقد جئت إلى المريخ مثل أى رجل أعمال أمين ومغامر.. وأخذت بعض مواد ملقاة لصاروخ تحطم هنا وبنيت لنفسى كشكاً صغيراً، لم تروه من قبل، على بقعة الأرض عند تقاطع الطرق، وأنتم تعرفونها بالطبع. وعليكم أن تعترفوا بأن هذا المبنى رائع حقاً".

وضحك (سام) ثم حدق حوله وأضاف: "وهذا المريخي - أعرف أنه كان صديقاً لكم - أتى إلى هنا، ولكن موته كان حادثاً قضاء وقدرًا.. نعم أؤكد لكم ذلك".

كل ما أردت عمله أن يكون لى كشك لبيع السجق، الكشك الوحيد على المريخ، أول وأهم كشك سجق على الإطلاق.. أنتم تفهمون بالطبع ما أنكم عنه.. كان سيقدم خدمة بيع السجق الفاخر هناك، بالفلفل الحار والبصل مع عصير البرتقال".

لم تتحرك الأقنعة الفضية، وإنما اتقدت فى ضوء القمر.. ولعت عيون صفراء وهى تحرق فى (سام).. وشعر بتشنج فى معدته وجفاف شديد به كما لو أنها تحولت إلى حجر.. وألقى مسدسه على الرمال وقال: "أنا أستسلم".

قال المريخيون كلهم فى نفس اللحظة: "التقط مسدسك".

"ماذا؟.. ماذا قلتم؟".

لوحت يد مزينة بالجواهر من مقدمة السفينة الزرقاء وسمع صوتاً: "مسدسك.. التقطه، وابعده فى مكان ما".

لم يصدق ما سمعه، وأسرع بالتقاط المسدس من على الرمال.

قال الصوت: "والآن.. استدر بسفينتك وعد إلى كشكك".

"الآن؟.. ولكن...".

قال الصوت: "نعم الآن.. إننا لن نؤذك.. لقد هربت قبل أن نتمكن

من شرح الأمر لك.. هيا".

فى تلك اللحظة استدارت السفن الضخمة بخفة ورشاقة كنبات

"أشواك القمر".. أشرعتها الجناحية خفقت بصوت يشبه هتاف أو تهليل

رقيق فى الهواء.. ولعت الأقنعة واستدارت وانطلقت مختفية فى ظلالها.

هرول (سام) إلى داخل السفينة وهتف: "(إلما)!.. انهضى يا (إلما)..".

سوف نعود".

وكان متأثراً للغاية وهو ينطق الكلمات بارتياح شديد..

وأردف: "إنهم لن يؤذونى أو يقتلونى يا (إلما).." هيا انهضى يا حبيبتى..

انهضى".

حدقت (إلما) ببطء فيما حولها وقالت: "ما الذى حدث؟". وكانت

السفينة فى ذلك الوقت تسابق الريح من جديد. تمالكت روعها كما

لو كانت تحلم وعادت إلى مقعدها وتهالكت عليه ككومة من الحجارة

وهى لا تنطق بكلمة واحدة.

انزلقت الرمال تحت السفينة.. وبعد نصف ساعة كانا قد عادا إلى

تقاطع الطرق، واستقرت السفن وخرج كل من على متونها.

وقف القائد أمام (سام) و(إلما)، وقناع مصنوع من برونز مصقول وعيناه ليستا سوى شقين لونهما أزرق داكن، وفمه عبارة عن شق تنساب منه الكلمات عبر الريح.

قال الصوت: "جهّز كشكك" .. ولوحت يد داخل قفاز ماسي وأردف الصوت: "جهّز مأكولاتك والمشروبات الغريبة التي عندك، لأن الليلة ستكون حقاً ليلة عظيمة!".

قال (سام): "هل تعنى .. هل ستتركوتنى أبقي هنا؟".

"نعم، وما الغرابة في ذلك يا رجل؟".

"أقصد أستم تشعرون بالغضب مني بعد ما حدث؟".

كان القناع صلباً ومنحوتاً وبارداً وغير مرئي.

قال الصوت بهدوء: "جهّز أطعمتك ومأكولاتك .. وخذ هذا".

"وما هذا بحق السماء؟"

حذق (سام) بدهشة في المخطوط الرقيق الفضي الملفوف الذي أعطاه إليه، والمرسوم عليه بعض الأشكال الثعبانية باللغة الهيروغليفية.

قال القائد: "هذا صك هبتنا لك من كل تلك الأراضي الممتدة من الجبال الفضية إلى التلال الزرقاء .. من البحر المالح الميت هناك إلى الوديان البعيدة الممتلئة بأحجار القمر والزمرد".

قال (سام) وهو لا يصدق ما يسمعه: "كل هذا .. لى أنا؟"

"نعم لك أنت".

"غير معقول!.. مئة ألف ميل من الأرض؟"

"نعم لك أنت".

"هل سمعت ذلك يا (إلما)؟"

كانت (إلما) جالسة على الأرض سائدة إلى كشك السجق الألومنيومي وعيناها مغلقتان.

سأل (سام) وهو يحاول النظر داخل الشقوق المعدنية لعيونهم: "ولكن.. لماذا؟.. نعم، لماذا تعطونني كل هذا؟"

قال الصوت: "هذا ليس كل شيء.. خذ هذا أيضاً.. ومدت له اليد ست مخطوطات ملفوفة أخرى مبين بها الأسماء وقطع الأرض الموهوبة. ضم (سام) المخطوطات في قبضته بقوة وقال: "ولكن لماذا؟.. هذه نصف أراضى المريخ!.. أنا أملك نصف أراضى المريخ!.. وهن المخطوطات تجاه (إلما) وهو مستغرق في الضحك وهتف: "(إلما) هل تسمعيننى يا امرأة؟"

قالت (إلما) وهى تنظر فى السماء: "أسمعك".. ويدت كما لو كانت تبحث عن شيء ما.. وبدأ انتباهها يتزايد الآن.

قال (سام) للقناع البرونزى: "شكراً لك.. شكراً لك على كل شيء". قال القناع: "لا تنس أن الليلة هي الليلة الكبيرة.. يجب أن تكون مستعداً".

"سوف أكون مستعداً بالتأكيد.. لكن ماذا تدبرون بالضبط؟.. هل هي مفاجأة؟.. هل ستأتى الصواريخ إلى هنا مبكراً عما اعتقدنا، مثلاً بحوالى شهر، من الأرض؟.. عشرة آلاف صاروخ نقل المستوطنين والمعدنيين والعمال وزوجاتهم.. كل أولئك البالغ عددهم مئة ألف؟.. أليس ذلك مدهشاً يا (إلما)؟.. وكما ترين فقد قلت لك ذلك.. قلت لك إن تلك البلدة لن يكون بها فقط عشرة آلاف شخص، إذ سوف يأتى خمسون ألفاً فى الشهر القادم، وفى الشهر الذى بعده يأتى منه ألف آخرون.. وقبل نهاية العام سوف يكون هنا خمسة ملايين من الأرضيين.. ولن يكون هناك سوى بكشك السجق هذا على الطريق السريع المزدحم بالمرور ناحية المناجم".

أخذ القناع يتحرك بخفة مع الريح وقال: "سوف تترك الآن.. استعد.. الأرض كلها لك".

وتحت ضوء القمر الساطع، استدارت السفن القديمة، كقوارق معدنية لبعض الزهور القديمة.. كريشات زرقاء لبعض الطيور.. كغراشات زرقاء مشعة ضخمة وهادئة.. استدارت ثم انسابت فوق الرمال المتحركة، والأقنعة تلمع وتضوى.. حتى اختفى عن ناظره آخر لعان لها وآخر لون أزرق لها.

"(إلما).. لماذا فعلوا ذلك لنا؟.. لماذا لم يقتلوني؟.. ألا يعرفون أى شىء؟.. ما الخطأ الذى فعلوه؟.. (إلما)، هل تفهمين كل ذلك؟".

ثم هز كتفيه واستطرد: "على أية حال أنا أملك نصف المريخ".

كانت تراقب السماء فى تلك الليلة منتظرة شيئاً ما .

قال لها أخيراً: "هيا يا حبيبتي، علينا أن ننظف ونرتب المكان..
يجب تسخين كل ما لدينا من سجق، وندفئ القرص والبطائر ونجهز
الفلفل الحار والشطة ونقشر البصل ونخرطه ونعد فاتحات الشهية..
ونضع مناديل المائدة فى ماسكاتها.. يجب أن ننظف كل شىء!".. ثم
رقص رقصة غريبة وضرب الأرض بكعبيه وقال: "يا إلهى.. كم أنا
سعيد.. نعم، أنا فى قمة السعادة"..
وأخذ يغنى بنغمات خاطئة ونشاز
أغنية "هذا يوم سعدى!".

سخن السجق وقطع القرص والبطائر وخرط البصل وهو فى حالة
من النشوة والهياج.

وقال لزوجته: "فكرى معى يا (إلما).. المريخيون قالوا مفاجأة.. هذا
لا يعنى سوى شىء واحد يا (إلما).. هؤلاء المئة ألف شخص سوف
يحضرون مبكراً عن الميعاد المحدد.. سيحضرون الليلة من دون كل
الليالى!.. سوف يكون عندنا طوفان من الزبائن!.. سوف نعمل لساعات
طويلة كل يوم لأيام عديدة.. ناهيك عن السائحين الذين يقودون سياراتهم
فى الجوار للتمتع برؤية المناظر.. (إلما)، فكرى فى النقود التى
سنجمعها!".

خرج ونظر إلى السماء، لكنه لم ير شيئاً.. وقال وهو يتنفس الهواء
البارد بسرور وهو رافع ذراعيه ويضرب على صدره: "لعلهم سوف
يظهرون بعد دقيقة.. أه.. نحن فى انتظارهم!".

لم تقل (إلما) شيئاً.. وأخذت تخرط البطاطس بهدوء لعمل الشرائح
المقلية بغمرها فى الزيت المغلى، وعيناها دائماً على السماء.
بعد نصف ساعة قالت: "(سام)، ها هم أولاء، انظر.. ونظر معها
إلى السماء..

إنها الأرض بعظمتها ومجدها!.. ارتفعت الأرض كلها بلونها
الأخضر الجميل، كحجر مقطوع بعناية فائقة، فوق التلال البعيدة.
همس فى سعادة: "الأرض الطيبة العظيمة.. الأرض الرائعة
العجوز.. هيا، أرسلنى إلى من عندك من الجوعى الذين يتضورون من
شدة الجوع.. أرسلنى إلى شيئاً ما.. شيئاً ما.. ترى كيف سيسير الأمر
عندك؟.. هيا أيتها الأرض العظيمة، أسرعى إلى بالجوعى.. هنا محل
(سام باركهيل).. كل أصابع السجق ساخنة وجاهزة والشطة جاهزة..
كل شىء جميل ونظيف ورائع.. هيا، هيا أيتها الأرض.. أرسلنى إلى
سوارىخك ومن عليها!"

خرج لكى يلقى نظرة على المكان.. كان المحل قابلاً هناك كبيضضة
طازجة وضعت لتوها على قاع بحر ميت.. كمركز للضوء والدفء الوحيد
لنات الأميال من الأراضى الجرداء المحيطة.. بدا كقلب ينبض بمفرده
فى جسد هائل معتم.. وشعر بالفخر والثقة وأخذ يحدق فيه بعينين
مبالتين بالدموع.

قال من بين روائح طبخ السجق والفطائر والقرص والزبد الوافر:
"إن هذا لابد أن يجعل المرء متواضعاً.. يا أيتها النجوم التى فى السماء
ويدي من إصاعتك وابتهجى.. ترى من سيكون أول المشتريين؟"

قالت (إلما): "(سام).. فقد تغيرت الأرض في السماء المعتمدة.. لقد اتقدت السماء ناراً!.. وبدا أن جزءاً منها تمزق إلى ملايين الشظايا، كما لو أن صورة متكونة من مكعبات كثيرة متلاصقة قد انفجرت.. اتقدت السماء بوهج مروع هائل لمدة دقيقة، إلى ثلاثة أمثال حجمها العادي، ثم لم تلبث أن عادت إلى طبيعتها.

نظر (سام) إلى النار الخضراء في السماء وسألها: "ما هذا يا (إلما)؟"

قالت (إلما) وهي تحتضن يديها: "الأرض".

"لا يمكن أن تكون هذه الأرض.. إنها ليست الأرض!.. لا، ليس هذا الانفجار من الأرض.. لا يمكن هذا".

قالت (إلما) وهي تنظر إليه نظرة ذات مغزى: "تقصد أنها لا يمكن أن تكون الأرض.. نعم، هذه ليست هي الأرض.. لا، هذه ليست الأرض.. هل هذا هو ما تعنيه؟".

قال وهو ينتحب: "ليست الأرض.. أوه، لا.. لا يمكن حدوث هذا".

وقف هناك ويداه مرتختان بجواره وفمه مفتوح من فرط الدهشة وعيناه مفتوحتان ومكتئبتان.. وبقي ساكناً لا يتحرك أبداً.

نادت عليه: "(سام).. ولأول مرة منذ أيام لمعت عيناها وأردفت: "(سام)".

غير أنه وقف ناظرًا إلى أعلى ومحددًا في السماء.

قالت: "حسنًا" .. ثم نظرت حولها لمدة دقيقة أو نحو ذلك في صمت .. ثم فردت بنشاط فوطة مبللة حول ذراعها .. وقالت: "افتح المزيد من الأنوار .. شغل الموسيقى .. افتح كل الأبواب .. سوف تتدفق علينا مجموعة كبيرة من الزبائن خلال المليون عام القادمة .. علينا أن نستعد لهم يا سيدى".

ظل (سام) واقفًا لا يتكلم كالمذهول.

قالت (إلما): "يا لها من بقعة جميلة لبناء محل للسجق" .. ثم مدت يدها.

والتقطت سلاكة للأسنان من برطمان وأدخلتها بين سنتيها الأماميتين .. وأردفت: "سوف أطلعك على سر صغير يا (سام) .. ثم مالت تجاهه وقالت هامسة: "إن هذا يبدو كما لو أننا مقبلان على موسم كساد طويل للغاية".

رحلة المليون عام

بطريقة ما بدأت الأم مناقشة الفكرة التي مفادها أنه ربما تتمتع العائلة كلها برحلة لصيد الأسماك. بيد أن هذه لم تكن كلمات الأم، وكان (تيموثى) يعلم ذلك، بل كانت كلمات الأب، وقد استخدمتها الأم - بوسيلة ما - نيابة عنه.

أخذ الأب يمشى متثاقلاً فوق ركام من الحصى المريحى ثم وافق على الفكرة.

وعندئذ وبشكل مفاجئ، بدأت الجلبة والصراخ، وبسرعة مذهلة تم جمع معدات التخميم وطويت فى أكياس وحاويات. وارتدت الأم رى الرحلات المكون من بنطال ضيق مستقيم موصول بصدار يشبه المريلة، وبلوزة فضفاضة تمتد إلى الخصر.

وحشا الأب غليونه عن آخره بالتبغ بأيد مرتجفة، وعيناه تتطلعان إلى سماء المريح، واندفع الصبيان الثلاثة صائحين إلى الزورق البخارى، ولم يكن أى منهم يلقى بالاً للأم أو الأب، باستثناء (تيموثى).

ضغط الأب على مفتاح تشغيل الزورق، الذي اهتز وصدر عنه صوت طنين ارتفع إلى عنان السماء، ثم راح ينطلق إلى الأمام، دافعاً الماء خلفه، عندئذ شعرت كل العائلة بالابتهاج وصاحوا "مرحى".

جلس (تيموثى) فى مؤخرة القارب مع الابن وأصابعه الصغيرة تستقر فوق أصابع الأب المكسوة بالشعر. وأخذ يراقب انحناءات القناة التى يمخرون عبابها، وبعد فترة تجاوز الزورق ذلك المكان الوعر، الذى هبط فيه صاروخهم بعد رحلة طويلة من كوكب الأرض.

وراح (تيموثى) يتذكر آخر ليلة قضائها على كوكب الأرض قبل الرحيل، والاندفاع والحث على الإسراع، والصاروخ الذى وجده الأب فى مكان ما، وبطريقة ما لم يفصح عنها، والحديث عن قضاء أجازة فوق المريخ. يا لها من مسافة طويلة يجب أن يقطعوها لقضاء أجازة، لكن (تيموثى) لم يقل شيئاً، نظراً لوجود أخويه الصغيرين، لقد جاءوا إلى المريخ وما هو ذا أول عمل يقومون به فوق الكوكب الأحمر، أو هكذا يدعون، الذهاب لصيد الأسماك.

التمعت عينا الأب بنظرات مرحة، بينما كان الزورق يمخر عباب القناة، وهى نظرات لم يدر (تيموثى) سبباً لها. إذ كانت تشتمل على نالق قوى وربما نوع من الارتياح، وكان من نتيجتها أن التجاعيد العميقة التى ترسم على وجه أبيه، بدت وكأنها تضحك بدلاً من أن تقلق أو تبكى!

وفى هذا المكان على الشاطئ، اختفى الصاروخ الذى أخذ يبرد، عند أحد المنحنيات.

وهنا أخذ (روبرت) يرش مياه القناة بيده، التي بدت وكأنها سرطان بحر صغير، يتقاذز في المياه المضطربة، ثم قال: "إلى أى مدى نحن ذاهبون؟".

فقال الشاب وهو يتتهد "إلى مليون عام".

أصدر (روبرت) صوتاً يعبر به عن التعجب والاستغراب والاندعاش.
أشارت الأم إلى لسان من اليابسة داخل في القناة، وقالت:
"انظروا أيها الأولاد، ها هي ذى مدينة مريخية ميتة!".

نظروا إلى المدينة بتوقع متقد، ولكن كان من الواضح أنها مقفرة ليس بها أى كائن حي أو ميت، وبدت وكأنها فى سبات عميق فى ثنايا الصمت الحار لصيف المريخ.

تطلع الأب إلى المدينة، وكأنه كان سعيداً بأنها ميتة لا حياة فيها.
كانت المدينة عبارة عن امتداد غير محدود من الصخور الحمراء الوردية، التي ترقد فوق مرتفع من الرمال، وكان لها عدد من الأعمدة المتناثرة هنا وهناك، وضريح مهجور واحد، ثم مساحة هائلة أخرى من الرمال. ولا شئ غير هذا عبر أميال، وثمة صحراء بيضاء حول القناة، وصحراء زرقاء بعدها.

عندئذ بدأ طائر يحلق عالياً، كان أشبه بحجر صغير ألقى عبر بحيرة زرقاء، فارتطم بها وسقط عميقاً ثم اختفى. ارتسمت فى عيني الأب نظرات توحى بالخوف، بمجرد أن شاهد الطائر وقال "ظننته صاروخاً".

تأمل (تيموثى) السماء التى كانت تبدو كمحيط عميق، محاولاً أن يرى كوكب الأرض والحرب التى نشبت هناك، والمدن المدمرة والبشر الذين كانوا يقتلون بعضهم بعضاً منذ مولده. ولكنه لم ير شيئاً على الرغم من محاولاته المتعددة. فقد كانت الحرب على كوكب الأرض أشبه بمعركة هتلى الموت بين طائرتين مقاتلتين فى فضاء ما بين أعمدة كاتدرائية^(١) ضخمة وشاهقة الارتفاع، وهى معركة لا معنى لها أيضاً.

مسح (ويليام توماس) بيده على جبهته، وعندئذ أحس بلمسة يد أبه على ذراعه، وكأنها رتيلاء^(٢) صغيرة، فانتابته رعشة خفيفة وابتسم لأببه بتكلف قائلاً: "كيف تسير الأمور يا (تيموثى)؟".

أجاب (تيموثى) بقوله: "على ما يرام يا أبى".

لم يكن (تيموثى) يدرك - بشكل واضح - ما الذى يدور فى عالم البالغين من حوله، وبالذات والده، ذلك الرجل ذو الأنف الضخم الشبيه بمنقار الصقر المعقوف، الذى لوحته الشمس وأخذ جلده يقشر، والعينان الزرقاوان المتقدتان، كأنهما كرتان من العقيق، اللتان تلعب بهما بعد انتهاء اليوم الدراسى فى الصيف، هناك بعيداً فوق كوكب الأرض. والساقان غليظتا البنية تبدوان كعمودين، فى هذا السروال القصفاضى القصير الذى يصل إلى ما دون الركبة.

(١) كنيسة مركزية ضخمة. (المترجم).

(٢) عنكبوت استوائى ضخم. (المترجم).

قال (تيموثى): "أبى! ماذا تحدث باهتمام هكذا؟".

رد الأب متنهداً: "كنت أبحث عن المنطق الأرضى، الفطرة السليمة الحكومة الرشيدة، السلام، وتحمل المسؤولية".

قال الابن كل هذا هناك فوق كوكب الأرض، يا أبى؟".

قال الأب "كلا، لم أجدها فوق كوكب الأرض، إذ لم تعد هناك بعد. بل لعلها لن تكون هناك أبداً بعد الآن. وربما أننا كنا نخدع أنفسنا عندما اعتقدنا أنها فوق كوكب الأرض".

قال (تيموثى) متعجباً: "حقاً؟".

أشار الأب بيده إليه قائلاً: "انظر إلى هذه السمكة".

وحينئذ تعالت ضجة عالية ومتواصلة - وكأنها السُّبْران^(٣) - من كل الأولاد الثلاثة، بينما كانوا يؤرجحون القارب، وهم يديرون رقابهم الرقيقة ليتمكنوا من الرؤية. وصدرت عنهم صيحات تعبير عن المتعة والدهشة والفرح الغامر والمفاجأة والابتهاج، إذ ظهرت سمكة ذات حلقة فضية، وأخذت تسبح بالقرب من قاربهم، وهى تتنوج فى حركتها، وكانت تبدو مثل زهرة سوسن، وسرعان ما اتجهت إلى فتات الطعام التى تتناثر على سطح مياه القناة، لكى تلتهمه.

(٣) أعلى أصوات السلم الموسيقى. (المنترجم).

نظر الأب إلى السمكة. وقال بصوت عميق وهادئ "إنها مثل
الحرب، الذي يتشب فوق المياه وينساب عبرها، كالنار في الهشيم،
لا تبقى ولا تذر، ثم تعقد الاتفاقات بين الدول، وبعد وقت قصير..
يلقى كوكب الأرض".

قالت الأم محذرة: "ويليام!"

قال الأب "آسف".

ظلوا جالسين في القارب في هدوء، وهم يشعرون بأن مياه القناة
تنساب باردة باعتدال وناعمة وكأنها لوح من الزجاج. وساد السكون
إلا من طنين محرك القارب، وتدفق الماء السلس وأشعة الشمس
وهي تتخلل طبقة الهواء الجوى الرقيقة^(١).

صاح (مايكل) "متى نرى المريخين؟".

قال الأب "خلال وقت قصير للغاية كما أعتقد. ربما هذه الليلة".

قالت الأم "أوه، ولكن ليس هناك مريخيون، فقد انقرض
نفسهم!".

ولكن سرعان ما قال الأب: "كلا، لم يحدث هذا. وأعدكم بأننى
سوف أريكم بعض المريخين".

(١) يتكون الهواء الجوى لكوكب المريخ من طبقة رقيقة من ثانى أكسيد الكربون، (المترجم).

قطب (تيموثى) جبينه عندما سمع هذا. ولكنه لم يقل شيئاً، فكل الأمور أصبحت الآن منحرفة عن كل ما هو عادى وطبيعى ومتوقع. الأجازات وصيد الأسماك والتنقل بنظره بين الناس.

أما الأولاد الآخرون، فقد كانوا منهكين بالفعل فى جعل أيديهم الصغيرة مثل Shelves، وأخذوا يحدقون أسفلها باتجاه ضفاف القناة الحجرية التى يبلغ طولها نحو سبعة أقدام^(٥)، باحثين عن المريخين.

تسائل (مايكل) "كيف يبدو؟".

بدا الأب وكأنه على وشك الضحك وقال: "لا تقلق، سوف تتعرف عليهم عندما تراهم".

ورأى (تيموثى) اختلاجاً فى وجنتيه ينبئ عن عاطفته الجياشة.

كانت الأم رشيقة ورقيقة ويكسو رأسها شعر ذهبى تتطاير خصله فى شكل تاج أصفر اللون، وعيناها بلون المياه العميقة للقناة التى تجرى فى الظل بلون يكاد أن يكون أرجوانياً وتتناثر فيهما بقع كهرمانية اللون.. وبوسعك أن ترى أفكارها تسبح فى عينيها مثل الأسماك - بعضها لامع وبعضها معتم، وبعضها سريع وبعضها بطيء متأن، مثلما حدث عندما نظرت إلى حيث كان كوكب الأرض، ليست أكثر من لون ولا شيء أكثر من ذلك.. وكانت جالسة فى مقدمة قاربها وإحدى يديها

(٥) القدم يساوى نحو ٣٠ سنتيمتراً، (المترجم).

مرتاحة على جانب شفتها والأخرى مستقرة على حجر بنطلونها القصير
الذي اللون الأزرق الداكن.. وعلى رقبتها الناعمة خط سفعتة الشمس
تظهر المكان الذي كانت فيه فتحة بلوزتها، والذي أصبح يبدو مثل
زهرة بيضاء.

استمرت تنظر إلى الأمام لتري ما هناك، غير أنها لم تتمكن من
رأيتها بوضوح كاف؛ ولذلك نظرت خلفها إلى زوجها ومن خلال الصورة
المنعكسة من عينييه رأت المستقبل.. وحيث إنه وضع جزءاً من نفسه
الراسخة عاقدة العزم في تلك الصورة المنعكسة فقد ارتاح وجهها
وتقبلت الأمر واستدارت وعرفت فجأة ما الذي كانت تبحث عنه.

نظر (تيموثي) أيضاً، لكن كل ما رآه كان قناة رفيعة تشبه خطاً
بقلم رصاص بنفسجي اللون تشق طريقها خلال واد واسع ضحل محوط
بنلال متأكلة منخفضة تستمر في طريقها حتى الأفق عند حافة السماء..
والخبرق مدناً تقعقع كالخنافس الموضوعة في جمجمة جافة يتم هزها..
سنة أو سنتين مدينة تحلم بأحلام أيام الصيف الحارة وأحلام ليالي
السيف الباردة.

لقد جاءوا إلى هذه النزهة بعد أن قطعوا ملايين الأميال^(٦) لصيد
السمك.. ولكن كان هناك مدفع على متن الصاروخ.. بينما كانت هذه
أجهزة، ولكن لماذا كل هذا الطعام الذي يتجاوز ما يكفي أعواماً وأعواماً..

(٦) الميل يساوي حوالي ١,٦ كيلو متر. (المترجم).

المختفى فى الخلف بالقرب من الصاروخ؟ إنها مجرد أجازة، وتحت ستار هذه الأجازة لم تكن هناك ضحكات رقيقة وإنما ضحكات جافة وربما مرعبة.. ولم يستطع (تيموثى) رفع هذا الستار، بينما كان الصبيان الآخرون مشغولين فى حدود عمريهما البالغين ٨، ١٠ أعوام على الترتيب.

وضع (روبرت) ذقنه مثلث الشكل على يديه وهدق فى القناة قائلاً: "لا يوجد أى مريخين بعد.. غير معقول".. وكان الأب قد أحضر جهازاً لاسلكياً ذرياً معه مربوطاً بمعصمه ويعمل بطريقة قديمة جداً: "فأنت تضغطه على عظمك بالقرب من أذنك وعندئذ يهتز متكلماً معك أو مغنياً لك!.. والآن كان الأب ينصت إليه ووجهه يبدو مثل أحد تلك المدن المريخية المتداعية.. مستسلماً ومنهاراً ويكاد يكون ميتاً.

ثم أعطاه إلى أمى لكى تسمعه.. وسرعان ما سقطت شفيتها.. وبدأ (تيموثى) يسأل: "ماذا...؟"، لكنه لم ينه قط ما أراد قوله.. لأنه فى تلك اللحظة وقع انفجاران مروعان ترتج لهما العظام تلاهما ست من الاهتزازات العنيفة الأقل حدة.

هز أبى رأسه بحركة متشنجة وهو ينظر إلى أعلى ورفع سرعة القارب فى الحال.. ووثب القارب وارتج وانطلق برشاقة إلى الأمام.. وأرعب ذلك (روبرت) الذى بادر بإطلاق صيحات هلع، بيد أن ذلك نفسه أسعد (مايكل) كثيراً الذى تعلق بساقى أمه وهو يلاحظ الماء يسقط كالشلال بجوار أنفه!

استدار أبى بالقارب وقل من سرعته وغطس به فى قناة فرعية صغيرة وانطلق تحت رصيف صخرى متقوض قديم تفوح منه رائحة لحم السرطانات.. اصطدم القارب بالرصيف بقوة جعلتهم يتطايرون إلى الأمام، لكن لم يصب أحد منهم.. وانعطف أبى بالفعل لكى يرى ما إذا كانت الموجات الناشئة فى القناة كافية لإخفاء مسارها أم لا.. كانت موجات الماء تتحرك بالعرض وترتطم بالصخور ثم لا تلبث أن تتراجع لكى تقابل بعضها بعضاً وتستقر ثم تبقرقش تحت ضوء الشمس.

أنصت أبى باهتمام وفعلنا كلنا مثله.. وترددت أصداء أنفاس أبى المضربات لقبضات اليد فى صخور الرصيف الباردة المبللة.. وفى الظل راقبت عينا أمى اللامعتين أبى لمعرفة ما الذى ينويه بالضبط..

استرخى أبى وأخرج نفساً طويلاً من صدره وضحك لنفسه وغمغم قائلاً: "بالطبع إنه الصاروخ.. ياه.. لقد تعبت أعصابى.. نعم الصاروخ".

قال (مايكل): "ما الذى حدث يا أبى.. ما الذى حدث؟".

قال (تيموثى) وهو يحاول أن يبدو واقعياً: "لا شيء.. لقد فجرنا صاروخنا.. لقد سمعت من قبل أن صواريخ تنفجر.. وصاروخنا أيضاً الفجر هو الآخر".

وسأل (مايكل): "ولكن لماذا فجرنا صاروخنا.. هل تسمعنى يا أبى؟".

قال (تيموثى): "إن ذلك جزء من اللعبة يا غبى!".

سر (مايكل) و(روبرت) من كلمة "اللعبة".

- لقد عدله أبى بحيث ينفجر ولا يعرف أحد أين هبطنا أو ذهبنا..
هذا فى حالة تتبعهم لنا.. أرايتما؟

- "أوه يا بنى!.. إن هذا سرا".

ثم اعترف الأب للأم بقوله: "إننى خائف من صاروخى نفسه..
لقد تعبت أعصابى جداً.. عموماً من الغباء أن نتصور أنه سوف تكون
هناك صواريخ أخرى.. باستثناء واحد فقط، هذا طبعاً إذا تحرك
(ادوارد) وزوجته بسفينتهما الفضائية".

وضع الأب جهازه اللاسلكى البالغ الصغر على أذنه من جديد..
وبعد دقيقتين تدلت يده مثلما يخفض المرء علماً أو راية.. وقال للأم
"لقد انتهى الأمر أخيراً.. لقد انفصل الجهاز عن الشعاع الذرى.. وكذلك
انفصلت كل محطة أخرى بالكوكب.. لقد تناقص عددها إلى اثنتين
فى السنوات القليلة الماضية، والآن أصبح الهواء صامتاً تماماً..
ولعله سيظل كذلك".

قال (روبرت): "والى متى؟".

أجاب أبى: "ربما سيسمع ذلك أحفاد أحفادك مرة أخرى".

جلس أبى هناك بينما ظل أولاده متخبطين ومرتبكين من جراء خوفه
وانهزامه وتكيفه مع حياته الجديدة ورضاه بها.

وأخيراً، وضع القارب فى القناة من جديد وواصلوا الإبحار فى
الاتجاه الذى اتخذوه من البداية.. وكاد النهار ينتهى، وبالفعل كانت

الشمس وقتنذ قد هبطت من السماء فوق المياه، وتراعت أمامهم من بعيد
سلسلة من المدن الساكنة سكون الأموات.

تحدث أبى بهنوء ورقة شديدين إلى أبنائه.. فى الماضى كثيراً ما
كان حاد الطباع وحذراً فى التكلم ومتباعداً عن أولاده، لكنه الآن يربت
على رؤوسهم حتى لو كان يحدثهم بكلمة واحدة.. وشعروا كلهم بذلك.

"(مايك)، اختر مدينة منها".. فقال (مايكل): "ماذا تقول يا أبى؟".
- "أقول اختر الآن مدينة من تلك المدن التى نمر بها.. أى واحدة
منها كيفما تشاء".

قال (مايكل): "حسناً يا أبى.. ولكن كيف أختار أحدها؟".
- "اختر الواحدة التى تحبها أكثر.. وأنت أيضاً يا (روبرت)
ورا (تيم).. كل واحد منكما يختار المدينة التى يحبها أكثر من غيرها".

قال (مايكل): "أنا أريد مدينة يوجد بها مريخيون".
قال أبوه: "سوف أحقق لك رغبتك، أعدك بذلك".. وكانت شفاته
تحدثان مع الأولاد، بينما كانت عيناه مركبتين على أهمهم.

مروا بجوار ست مدن فى مدة عشرين دقيقة.. ولم يقل الأب شيئاً
جديداً عن الانفجارات، بل بدا أكثر اهتماماً بالمرح مع أولاده واللهو
معهم وإسعادهم من أى شىء آخر.

أحب (مايكل) أول مدينة مروا بها، لكن الجميع اعترضوا على ذلك
لشكهم فى مدى دقة التصورات السريعة الأولى.. المدينة الثانية لم يحبها

أحد، وكانت عبارة عن مستعمرة للأرضيين مبنية من الخشب الذى تقوض الآن إلى ما يشبه نشارة خشب تقريباً.. المدينة الثالثة أحبها (تيموثى) لأنها كانت مترامية الأطراف.. المدينتان الرابعة والخامسة كانتا صغيرتين للغاية.. أما المدينة السادسة فقد لاقت قبولاً من الجميع بمن فيهم الأم التى شاركت أولادها فى تعبيرات دهشتهم مثل "أوه" و"ياه" و"انظروا هنا" و"انظروا هناك" و"ياللعجب هذا غير معقول!" وهكذا!

كان هناك فى تلك المدينة حوالى خمسين أو ستين مبنى عملاقاً مازال قائماً.. والشوارع متربة ولكن ممهدة.. ويمكنك أن ترى بها نافورة أو نافورتين مازالتا تطلقان رشاشاً من الماء فى الساحات العامة وتعملان بقوة الطرد المركزى.. كانت هذه هى كل مظاهر الحياة بالمدينة.. مجرد ماء متطاير فى فترة أواخر وقت العصر قبل حلول الظلام.

هتف الجميع: "نعم، هذه هى المدينة التى نريدها".. عندئذ وجه الأب القارب إلى الرصيف الصخرى، وأوقفه ثم قفز منه إلى اليابسة.

- "ها نحن أولاء قد وصلنا.. هذه هى مدينتنا.. هذا هو المكان الذى سوف نعيش فيه من الآن فصاعداً!"

قال (مايكل) وهو كان غير مصدق: "من الآن فصاعداً؟".. ثم هب واقفاً ونظر حوله وخلفه، حيث كان يجثم الصاروخ الذى جاءوا به من كوكب الأرض وأضاف: "ماذا بشأن الصاروخ؟.. وماذا بشأن (مينيسوتا)؟"^(٧).

(٧) إحدى الولايات المتحدة الأمريكية، (المترجم).

قال الأب: "هنا!"^(٨) ثم لمس جهاز اللاسلكى الصغير بشعر (مايكل) الأشقر وقال له: "أنتصت جيداً" .. وأنصت (مايكل) قليلاً وقال "لا أسمع شيئاً بالمرّة".

- "هذا صحيح .. لا شىء، لن تسمع شيئاً مطلقاً بعد ذلك .. إننا لم نعد فى مدينة (متيابوليس) .. لن نرى هنا أية صواريخ، بل لن نرى كوكب الأرض أبداً مرة أخرى".

تأثر (مايكل) بهذا الإيحاء المهلك وبدأ يبكى بكاء حاراً .. وبادر أبوه بقوله: "انتظر لحظة يا بنى .. سوف أعطيك يا (مايكل) الكثير لتعويضك عن ذلك".

توقف (مايكل) عن البكاء وقال متعجباً: "ماذا؟" .. لكنه كان جاهزاً لمواصلة البكاء لو كان كلام أبيه التالى محبطاً مثل سابقه.

- "سوف أعطيك هذه المدينة يا (مايكل). إنها ستصبح ملككم .." فقال (مايكل): "لى أنا؟".

- "لك ولد (روبرت) و(تيموثى) .. سوف تصبح هذه المدينة ملكاً لكم جميعاً".

وثب (تيموثى) من القارب وقال: "انظروا يا شباب .. كل هذا الذى أمامكم سوف يكون ملكاً لنا" .. كان يعرف كيفية التعامل مع أبيه حيث

(٨) صيحة يقصد بها حصر الانتباه. (المترجم)

يلعب اللعبة معه بطريقة صحيحة.. ولاحقاً بعد أن انتهى الأمر واستقرت الأمور ابتعد بمفرده وظل يبكي لمدة عشر دقائق.. لكن الأمر مازال حتى الآن لعبة، مازال مجرد نزهة عائلة فى مكان بعيد، ومن الضروري أن يستمر الأولاد الآخرون فى اللعب واللهو.

هروول (مايكل) و(روبرت) وأخذا يساعدان أمهما، وقال أبوهما: "اعتنيا بأختكما".. ولم يعرف أحد ما الذى يعنيه حتى وقت لاحق.

ركضوا جميعهم إلى داخل المدينة ذات الصخور وردية اللون وهم يصفرون، لأن المدن الخالية تدفعك إلى الصغير ومشاهدة الشمس وهى تهبط إلى الأفق.. وقال الاب بهدوء: "فى خلال خمسة أيام سوف أعود إلى المكان الذى سقط فيه صاروخنا لجمع الأطعمة الموجودة بين أنقاضه وأحضرها إلى هنا.. كما سأبحث أيضاً عن (برت إدواردز) وزوجته وبناته هناك".

سأله (تيموثى): "بناته؟"، وكم عددهن يا أبى؟.. فتأجابه: "أربع". هزت الأم رأسها ببطء وقالت: "أرى أن ذلك سوف يسبب المتاعب لنا فيما بعد". وقال (مايكل) بعد أن غير ملامح وجهه بحيث يبدو كتمثال حجرى لرجل مريض: "يا بنات، انظرن إلى!". وضحك الجميع.

- وهل سيحضرون إلى هنا فى صاروخ أيضاً مثلنا؟.

- نعم إذا تمكنوا من صنعه.. ذلك أن الصواريخ العائلية تصنع للسفر إلى القمر وليس المريخ.. نحن محظوظون إذ وصلنا إلى هذا المكان.

همس (تيموثى) بعد أن سار الولدان فى الأمام: "ومن أين أتيت بالصاروخ يا أبى؟"

- "لقد احتفظت به.. أبقيته عندنا لمدة عشرين عاماً يا (تيم).. أخفيته تماماً، وفى الحقيقة لم أتصور أننى سأستخدمه فى يوم من الأيام.. لعله كان يجدر بى أن أسلمه للحكومة أثناء الحرب، ولكننى كنت أفكر دائماً فى المريخ.."

- "والنزهة فى هذه الرحلة الفضائية.. أليس كذلك؟"

- "هذا صحيح.. ولكن هذا بينى وبينك.. فعندما لاحظت أن كل شيء على الأرض ينتهى أمره وبعد أن انتظرت إلى آخر لحظة، جهزت كل شيء للرحلة وعبأت أغراضنا.. (برت إدواردز) أيضاً كان يخفى سفينة فضائية، لكننا قررنا أنه من الأمن لنا أن يتحرك كل منا بمفرده تحسباً لأن يطلق أحد علينا النيران.."

- "وما الذى دفعك إلى تفجير الصاروخ بعد أن وصلنا يا أبى؟"

- "لكى لا نفكر فى أن نعود أدراجنا فى أى يوم من الأيام.. وعلى ذلك إذا وصل أحد أولئك الأشرار إلى المريخ هنا فى أى وقت فإنه لن يستطيع أن يعرف أننا هنا أصلاً.."

- "هل هذا هو السبب فى أنك تنظر إلى السماء طوال الوقت؟"

- "نعم، مع أنى أعرف أن هذه حماقة، فهم لن يتبعونا أبداً إلى هنا.. إذ لن يجدوا شيئاً يتبعونه أو يقتفون أثره.. لقد كنت حذراً جداً يا بنى، هذا هو كل الموضوع.."

عاد (مايكل) وهو يعدو وقال لأبيه: "هل هذه حقاً مدينتنا يا أبى؟".
 - "نعم، هذا الكوكب بأكمله ملك لنا يا أولاد.. الكوكب بأكمله".
 وقفوا جميعهم هنالك كملوك أو رؤساء مطلقين يحاولون فهم معنى
 أن يمتلكوا كوكباً، وكيف يكون هذا الكوكب الكبير وما هى حقيقته.
 أسدل الليل أستاره بسرعة وسط هذا الغلاف الجوى الرقيق..
 وتركهم الأب فى هذا الميدان الذى تضخ فيه النافورة الماء واتجه إلى
 القارب وعاد حاملاً كومة من الأوراق فى يديه الكبيرتين..
 وضع الأوراق بغير نظام فى بقعة قديمة وأشعل فيها النيران..
 ولكى يشعروا بالدفء جثموا قابعين حول النار يضحكون.. ورأى
 (تيموثى) الأوراق القليلة وهى تقفز مثل حيوانات خائفة، عندما مسها
 اللهب وغمرها . وتجعدت الأوراق مثل جلد رجل طاعن فى السن، وأحاطت
 النيران بعدد لا يحصى من الكلمات، سندات حكومية، رسم بيانى
 للأعمال، ١٩٩٩، التحامل الدينى: مقال، علم السوقيات^(٩) مشاكل
 الوحدة الأمريكية الشمالية والجنوبية والوسطى، تقرير مخزنى لليوم
 الثالث من يوليو ١٩٩٨، مختارات حربية...".
 وكان أبى قد أصر على إحضار تلك الأوراق لهذا الغرض. جلس
 هناك وألقى بها فى النيران، ورقة تلو الأخرى، وبدأ أنه يشعر بالرضا،
 وأخذ يخبر أولاده، وما معناها كلها.

(٩) فن نقل وحدات الجيش وتموينه، (المترجم).

"لقد حان الوقت لأخبركم ببعض الأمور، إذ إننى لا أعتقد أنه من الصواب، أن أحتفظ بكل هذه المعلومات لنفسى، ولا أعرف هل سوف تفهمون، بيد أننى يجب أن أتكلم، حتى لو وصلت بعضها فقط لكم..."

وألقى بورقة فى النيران المتأججة، واستطرد قائلاً: "... إننى أحرق أسلوب حياة، تماماً مثل ذلك الأسلوب من الحياة الذى تضرع فيه النار، فى الوقت الحاضر فوق كوكب الأرض. سامحونى إن كنت أتحدث إليكم كسياسى، فإننى - على أية حال - كنت حاكم ولاية سابقاً، وكنت أميناً ومن ثم كرهونى لهذا السبب، إن الحياة فوق كوكب الأرض لم تكن مستقرة قط، لكى تنجز أعمالاً رائعة، لقد تطور العلم إلى آفاق بعيدة للغاية، متجاوزاً البشر بسرعة مروعة، وغرق الناس فى بيداء آلية، مثل أطفال يصنعون أشياء مفيدة، أجهزة ميكانيكية وإلكترونية صغيرة متخصصة وحوامات وصواريخ، يؤكثون الأشياء غير المتسقة مع الحقيقة والواقع، يفخم الأجهزة والآلات بدلاً من الاهتمام بكيفية أدائها، واتسع نطاق الحروب شيئاً فشيئاً إلى أن دمرت كوكب الأرض، فى نهاية الأمر، وهذا ما أوضحه صمت أجهزة اللاسلكى، وهذا ما دفعنا إلى الهروب.

"لقد كنا سعداء الحظ، فلم يكن هناك أية صواريخ باقية، لقد حان الوقت لتعلموا أن هذه لم تكن - على الإطلاق - رحلة لصيد الأسماك، لقد أجّلت إبلاغكم بالأمر إلى أن دمرت الأرض، ولن تستأنف الرحلات

بين الكواكب إلا بعد مرور قرون، وربما إلى الأبد. بيد أن أسلوب الحياة فوق كوكب الأرض، أثبت خطأه ومات مختنقاً بأيديه ذاتها. إنكم فى مستقبل العصر. وسأظل أبلغكم بهذا مراراً وتكراراً كل يوم، إلى أن تستوعبوا الأمر وتحفظوا به فى أذهانكم.

وتريث الأب لكى يطعم النيران المضرمة المزيد من الأوراق.

واستطرد قائلاً: "إننا هنا وحدنا، بالإضافة إلى حفنة من البشر الآخرين، الذين سوف يهبطون على سطح المريخ، بعد عدة أيام. وهذا عدد كاف لكى تبدأ الحياة هنا، مبتعدين عن الحروب المروعة التى اجتاحت كوكب الأرض. ومصممين على اتباع أسلوب حياة مختلف".

وتأججت النيران عالياً، وكأنها تؤكد حديثه. وعندئذ تحولت كل الأوراق إلى رماد، ما عدا واحدة، لقد احترقت كل القوانين والمعتقدات الأرضية، وأصبحت مجرد هباءات من الرماد الساخن، الذى سرعان ما تزرؤه الرياح.

وجه (تيموشى) نظره إلى آخر ورقة ألقى بها والده فى النيران. كانت خريطة للعالم، حيث تجعدت وتشوهت بفعل النار ثم احترقت وتطايرت مثل فراشة سوداء ملتهبة. عندئذ استدار (تيموشى).

قال الأب: "سوف أريك المريخين حالاً، تعالوا كلكم معى..." وأمسك بيد زوجته واستطرد: "...هيا يا (أليس)".

كان (مايكل) يبكي بصوت عال، فرفعه الأب وحمله بين ذراعيه. ساروا عبر الأطلال متجهين نحو القناة. تلك القناة التي سوف تأتي منها - فى زودق - زوجات المستقبل، ربما غداً أو بعد عدة أيام، فتيات صغيرات ضاحكات مع أبيهن وأمهن.

أرعى الليل سدوله حولهم، وبزغت النجوم. إلا أن (تيموثى) - رغم محاولاته المتكررة - لم يستطع رؤية الكرة الأرضية. إذ إنها قد غربت بالفعل. وكان هذا أمراً يستحق أن يفكر فيه. وأخذ طائر ليلي يصرخ بين الأطلال بينما كانوا يسيرون. وقال الأب: "سوف نحاول أنا وأمكم القيام بتثقيفكم. ربما سوف تبوء محاولاتنا بالفشل. ولكننى لا أتمنى هذا. فلدينا الكثير - فى هذا الكوكب - مما يمكننا مشاهدته والتعلم منه. لقد خططنا لهذه الرحلة منذ سنوات، قبل أن تولدوا. وحتى لو لم تنشب الحرب فوق كوكب الأرض، فإننا - كما أعتقد - كنا سنأتى لكوكب المريخ، لكى ننشئ مستوى الحياة التى نرغب فيها. وقد يمر قرن آخر، قبل أن يلوث بالفعل، كوكب المريخ بالحضارة الأرضية. أما الآن..."

حينئذ وصلوا إلى حافة القناة، التى بدت لهم طويلة ومستقيمة وباردة باعتدال ورطبة وقادرة على الانعكاس، فى أثناء الليل.

قال (مايكل): "كنت دائماً أتمنى رؤية أحد المريخين، أين هم يا أبى؟ لقد وعدتنا بهذا الأمر..."

قال الأب بينما كان ينقل (مايكل) إلى فوق كتفه، ويشير إلى أسفل حيث مياه القناة "هاهم أولاء المريخيون".

المريخيون هناك. وبدأ (تيموثى) يرتعد.
كان المريخيون هناك فى القناة، تنعكس أجسامهم فى المياه.
إنهم (تيموثى) و(مايكل) و(روبرت) والأم والأب. وصدق فيهم
المريخيون لمدة طويلة فى صمت من سطح المياه المتماوجة.

الشعب والغابة

كانت هناك ألعاب نارية، منذ أول ليلة، إنها من الأمور التي يجب أن تكون خائفاً منها، ربما لأنها قد تذكرك بأمور أخرى أكثر ترويعاً.

ولكن هذه الألعاب النارية كانت رائعة، عدة صواريخ تهبط من الفضاء إلى جو المكسيك القديم الرقيق، وبدأت كأنها تحدث اضطراباً بين النجوم وتمزقها إلى شظايا زرقاء وبيضاء، كل شيء كان جميلاً وعذبةً. والهواء خليط من الأشياء الجامدة وتلك التي تنبض بالحياة، ومن الأمطار والغبار، كما يعبق الجو البخور المتبعث من الكنائس، ورائحة النحاس من آلة "التوبة"^(١)، التي توجد في الفرقة الموسيقية التي تعطي منصة مسقوفة، وتصدر أنغام ترانيل متعددة مثل (لا بالوما).

كانت أبواب الكنيسة مفتوحة على مصراعيها، وبدأ الأمر كأن كوكبة^(٢) صفراء عملاقة هبطت من سماء شهر أكتوبر وجثمت تنفث

(١) نوع من الأبواق الكبيرة مصنوع من النحاس ويوجد في بعض الفرق الموسيقية. (المترجم).

(٢) مجموعة من النجوم تتخذ شكلاً معيناً، وكان يطلق عليها القدماء أسماء أبطال الأساطير أو الحيوانات. (المترجم).

ناراً، فوق جدران الكنيسة، وأخذت مليون شمعة ترسل أضواءها الملونة
ودخانها فيما حولها. وراحت ألعاب نارية جديدة وأكثر إبهاراً، في
الالتفاف سريعاً بحركة نوامية، وظهرت كمذنبات ترتدى أثواباً محكمة،
تسير عبر بلاطات الميدان الباردة، ينعكس وهجها على الطوب النيلي^(٣)
لجدران المقاهي، وتندفع - كالبرق - إلى أبراج الكنيسة الشاهقة.

وهناك يلعب الصبية ذوو الأقدام العارية وحدهم، حيث يقومون
بركل وقرع الأجراس المجاورة للكنيسة مرات عديدة، لتصدر صليلاً
يكون في مجموعة، موسيقى مدوية ذات رنين عال.

واندفع شخص يتنكر في شكل ثور، ويمشى باضطراب، عبر الميدان
يطارد الرجال الضاحكين والأطفال الصارخين.

قال (وليام ترافس) "إنه عام ١٩٢٨، كان يبتسم وهو يقف
بجانب زوجته عند طرف حشد صاخب، استطرد قائلاً: "يا له من عام
رائع".

عندئذ اندفع فجأة الرجل المتنكر في شكل ثور، نحوهما. ركض
(وليام ترافس) وزوجته بعيداً وهما يخفضان رأسيهما لتجنب الاصطدام
بالرجل المتنكر، بينما تقذف عليهما الكرات النارية، مخلفين وراءهما
الموسيقى المدوية، والحشد الصاخب، والكنيسة، والفرقة الموسيقية.

(٣) طوب مجفف في الشمس مصنوع من الطين. (المترجم).

كانا يعدوان تحت سماء مرصعة بالنجوم، يتشبهان ببعضهما البعض، وهما يضحكان فى جذل. تخطاهما الرجل المتنكر فى شكل ثور، وشاهدا أمامهما رجلا مكسيكيا، يندفع إلى الأمام حاملاً على ظهره إطاراً من نبات الخيزران مغطى بالبارود الكبريتى القابل للاشتعال.

قالت الزوجة (سوزان ترافس)، وهى تتوقف لالتقاط أنفاسها:

"لم أستمتع فى حياتى من قبل، بهذا القدر".

قال (وليام): "حقاً إنه شىء مذهل".

قالت: "سوف تستمر، أليس كذلك؟".

رد عليها قائلاً: "أجل، طوال الليل".

"إننى لا أعنى هذا، وإنما أقصد رحلتنا".

قطب جبينه وتحسس جيبه الأعلى وقال: "لدى شيكات سياحية تكفى العمر كله، متعى نفسك. وانسى كل شىء. إنهم لن يعثروا علينا مطلقاً".

- "مطلقاً؟".

- "أجل، مطلقاً".

عندئذ، كان شخص ما يطلق مفرقعات نارية يتخلف عنها دخان كثيف، من فوق برج الكنيسة حيث الجرس العملاق، أخذ الحشد فى الأسفل يتراجع فى خوف من تهديد لهب المفرقعات النارية، التى كانت تنفجر بشكل رائع بين أقدامهم الراقصة وأجسامهم المتمايلة بعنف.

وأخذت رائحة قلى فطير التورتية تعبق الميدان كله، وفي المقاهى
جلس الرجال إلى مناظرة، يتطلعون إلى المشاهد التى حولهم،
وأقداح الجعة فى أيديهم السمراء.

حينئذ سقط الرجل الذى يتنكر فى شكل الثور، من الإرهاق.
وخمدت النيران التى كانت مشتعلة فى أعواد نبات الخيزران، وتهاك
على الأرض الرجل الذى كان يحملها على ظهره. وقام أحد العمال برفع
إطار نبات الخيزران، بعيداً عنه.

تجمع أولاد صفار، ليلمسوا الرأس المهيب للثور المصنوع من
الورق المقسى^(٤)، والقرنين الحقيقيين.

قال (وليام): "دعينا نفحص الثور عن كثب".

وما أن تجاوزا مدخل المقهى، حتى شاهدت (سوزان) رجلاً يحرق
فى اتجاههما، كان ذا بشرة بيضاء ويرتدى بذلة بيضاء بلون الملح،
ورباط عنق أزرق وقميصاً أزرق أيضاً، وله وجه نحيل لوحتته الشمس.
وكان شعره أشقر غير جعد، وعيناه زرقاوين، وأخذ يراقبهما بينما كانا
يسيران.

ولم تكن (سوزان) لتلاحظه على الإطلاق، لولا تلك القناني التى
رصت على المنضدة التى يجلس إليها، بجانب مرفقه الأبيض، قنينة

(٤) مادة مصنوعة من لب الورق ممزوجة بالصمغ حيث يمكن تشكيلها وهى مازالت مبللة
ثم تصبح قاسية عندما تجف. (المترجم).

ضخمة من كريم النعناع^(٥) وقنينة صافية من الفيرموت^(٦) وإبريق
فقارى من الكونياك^(٧)، بالإضافة إلى سبع قناني أخرى من المشروبات
الكحولية المسكرة، وعند أطراف أصابعه ثمة عشرة أكواب صغيرة
نصف ممتلئة، كان يرتشف منها - دون أن يحيد بعينه عن الشارع -
وبين فترة وأخرى متباعدة، كان يضيق عينيه ويغمض شفتيه، بسبب المذاق
اللاذع للخمير.

وكان يدخن سيجاراً رقيقاً ماركة "هافانا"، يمسك به باليد الأخرى
الطليقة، وعلى مقعد جانبي كان هناك عشرون كرتونة من السجائر التركية
وسنة صناديق من السيجار وعدد من زجاجات العطر المعلقة.

همست (سوزان): "هل هو (بيل)؟"

رد عليها زوجها قائلاً: "خذي الأمور ببساطة، إنه غير ذي شأن".

- "لقد رأيته في الميدان هذا الصباح".

- "لا تنظري وراءك، واستمري في السير، تظاهري بأنك تتفحصين

الثور المصنوع من الورق المقسى، وأن الفضول يملكك".

- "هل تظن أنه أحد الباحثين عنا؟".

(٥) شراب كحولى بالنعناع، (المترجم).

(٦) نبيذ بنكهة أعشاب عطرية، (المترجم).

(٧) نوع من الخمر مصنوع من النبيذ الأبيض وهو فرنسى الأصل، (المترجم).

- "إنهم لا يستطيعون اقتفاء أثرنا!"

- "ربما تمكنوا من ملاحقتنا!"

قال (ويليام) للشخص الذى يقتنى الثور الورقى "يا له من ثور مصنوع ببراعة".

ثم التفت إلى زوجته التى قالت: "إنه بالتأكيد لا يستطيع تتبعنا عبر مئتين من السنين. أليس كذلك؟".

قال (ويليام): "بالله عليك، انتبهى لنفسك"، إذ إنها ترنحت، فأمسك بمرفقها بقوة، وقادها بعيداً عن المكان.

ثم ابتسم ليوحى إليها بالثقة: "أرجوك لا تفقدى الوعى. سوف تكونين فى أحسن حال. دعينا نذهب إلى هذا المقهى بالذات، ونشرب أمامه. فإذا كان كما نعتقد، فإنه لن يشك فينا".

قالت: "كلا، لا أستطيع".

"يجب علينا أن نفعل هذا، هيا بنا الآن. وهكذا قلت لـ (دافيد)، ذلك أمر سخيف!" وقال جملته الأخيرة بصوت مرتفع، بينما كانا يرتقيان درج المقهى.

راحت (سوزان) تفكر: "ها نحن أولاء هنا، من نكون؟ وإلى أين سوف نذهب؟ وما الذى يخيفنا؟ فلنبداً من البداية". هكذا أخذت تحدث نفسها، وهى متمسكة برجاحة عقلها، بينما كانت تشعر بأرضية المقهى - المصنوعة من الطوب - تحت قدميها.

إن اسمى (آن كريستين)، واسم زوجى (روجر). لقد ولدنا فى عام ٢١٥٥ ميلاديا. وعشنا فى عالم يزخر بالشعر. عالم يشبه سفينة سوداء، معلقة، جنحت بعيداً عن شاطئ الحكمة والتعقل والمدنية والحضارة، تهدد ببوقها الأسود فى لجة ظلام الليل، وعلى متنها بليونين^(٨) من البشر، نأخذهم معها سواء، أرادوا الذهاب معها أم لا، إلى غياهب الموت، يسقطوا فوق حافة الأرض والبحر، حيث اللهب الإشعاعى والجنون. دلفا إلى المقهى. وكان الرجل يحدق فيهما.

رن جرس الهاتف. وروعت (سوزان) بصوته، إذ تذكرت هاتفاً يرن ذات يوم فى المستقبل بعد مائتى سنة، فى ذلك الصباح الصحو من شهر أبريل عام ٢١٥٥، وأنها ردت عليه بنفسها.

"(آن)، أنا صديقتك (رينيه)! هل سمعت؟ أقصد عن شركة السفر عبر الزمن؟ رحلات إلى روما عام ٢١ قبل الميلاد، ورحلات إلى معركة (واترلو)^(٩) الذى هزم فيها (نابليون) - رحلات إلى أى زمان وفى كل مكان، حسب رغبتك!"

"(رينيه)! إنك تمزحين دون ريب."

(٨) البليون يساوى ألف مليون (المترجم).

(٩) وقعت هذه المعركة ببليجيكا عام ١٨١٥، بين الحلفاء (بريطانيا وبروسيا والنمسا وروسيا) والجيش الفرنسى بقيادة (نابليون). (المترجم).

آنا لا أمزح، فقد غادر (كليتون سميث) هذا الصباح إلى (فيلادلفيا) عام ١٧٧٦ ميلادية، إن شركة السفر عبر الزمان، تتعهد بكل الترتيبات، لكن مثل هذه الرحلات باهظة التكاليف. ولكن فكرى فى أنك يمكن أن تشاهدى بالفعل، روما تحترق و(قبلاى خان)^(١٠) و(موسى) وهو يعبر البحر الأحمر مع بنى إسرائيل! لعلك سوف تجدین إعلان الشركة فى أنبوب بريدك الآن.

وعندما فتحت أنبوب بريدها الذى يسحب الرسائل من مصادرها، وجدت الإعلان مطبوعاً على ورقة معدنية رقيقة:
روما وآل (بورجيا)^(١١)

الإخوان (رايت)^(١٢) فى مدينة (كىتى هوك)^(١٣)
(سوف توفر لك شركة السفر عبر الزمان الملابس المناسبة، وتضعك بين الجماهير الحاشدة أثناء اغتيال (لنكولن)^(١٤) و(يوليوس قيصر)^(١٥))

(١٠) إمبراطور مغولى (١٢١٥-١٢٩٤م). (المترجم).

(١١) أسرة شريفة إيطالية من أصل إسباني حكمت أجزاء من إيطاليا فى القرن الخامس عشر. (المترجم).

(١٢) (أورفيل) و(ديلبر) رايت، مخترعان أمريكيان لأول طائرة تمكنت من الطيران فى ١٧ ديسمبر ١٩٠٢. (المترجم).

(١٣) مدينة فى ولاية (نورث كارولينا) الأمريكية. حيث أجرى الإخوان رايت أول تجربة طيران ناجحة. (المترجم).

(١٤) الرئيس السادس عشر للولايات المتحدة (١٨٠٩-١٨٦٥) مات مقتولاً. (المترجم).

(١٥) إمبراطور روماني (١٠٠ قبل الميلاد - ٤٤ قبل الميلاد) تم اغتياله. (المترجم).

ونضمن لك أن نعلمك أى لغة تحتاج إليها لكى تتحرك بحرية فى أى حضارة فى أى عصر. دون صعوبات، سوف نعلمك اللغة اللاتينية، اليونانية. واللغة الأمريكية القديمة العامية. استمتع بأجازتك عبر الزمان والمكان!).

كان صوت فى الهاتف (رينيه) لا يزال متلاحقاً ينم عن الإثارة "سوف أسافر أنا و(توم) غداً إلى عام ١٤٩٢ ميلادية، لقد قاموا باستعداداتهم بحيث يبحر (توم) مع (كولومبس)^(١٦). أليس هذا أمراً مذهشاً؟".

تمت (آن) وهى مذهولة "بلى، ولكن ما رأى الحكومة فى هذه الشركة التى تستخدم آلة الزمان؟".

قالت (رينيه) مؤكدة: "إن الشرطة تراقب الشركة عن كثب. خوفاً من فرار البعض إلى زمان آخر، لتفادى التجنيد الإجبارى، إذ إنهم يهربون ويختبئون فى العصور الماضية. لهذا فإن كل مسافر عليه التوقيع على تعهد رسمى بأن يتنازل عن منزله وكل ممتلكاته فى حالة عدم عودته من الرحلة عبر الزمان. إذ إننا فى حالة حرب".

غمغت (آن): "أجل، إنها الحرب، الحرب".

كانت (سوزان) تقف ممسكة بسماعة الهاتف، تهمس لنفسها: "ها هى ذى الفرصة التى كثيراً ما تحدثت عنها، بل وصلت من أجل تحقيقها،

(١٦) كريستوفر كولومبس (١٤٥١-١٨٠٥) الإيطالى، الذى اكتشف أمريكا. (المترجم).

لسنوات طويلة. إننا لا نحب عالم سنة ٢١٥٥، إننا نود الهرب من عمل زوجي في مصنع إنتاج القنابل، ومن مركزى المرموق في وحدات زرع المتعضيات المجهرية المسببة للأمراض في وسط مستنبت. ربما تكون هناك فرصة لنا للفرار من هذا العالم، والهرب لعدة قرون في بلد بدائي، حيث لا يمكنهم العثور علينا أبداً، وإعادتنا من جديد، لحرق كتبنا والحظر على أفكارنا وإلهبوا أدمغتنا بالرهبة، وإرغامنا على الانصياع لأوامرهم، والصراخ علينا بالبرامج الإذاعية.

أصبح الزوجان بالمكسيك في عام ١٩٣٨.

تطلعت (سوزان) إلى جدار المقهى الملون.

إن العاملين ذوي الكفاءة في دولة المستقبل، يمنحون أجازات إلى الماضي، للتخفيف من إرهاقهم، وهكذا سافرت مع زوجها عبر الزمان إلى عام ١٩٣٨، أقاما في غرفة بمدينة (نيويورك)، وتعتعا بمشاهدة مسارحها وتمثال الحرية الذي كان لا يزال منتصباً في عظمة. وفي اليوم الثالث قاما بتغيير ملابسهما، واسميتهما، وهربا للاختباء في (المكسيك)!

همست (سوزان) وهي تنظر إلى الرجل الغريب الذي يجلس إلى المائدة: "لأبد أنه واحد منهم، هذه السجائر والسيجار والخمر، كلها تؤكد هويته. أتتذكر أول ليلة لنا في الرحلة إلى الماضي؟".

منذ شهر مضى، كانت أول ليلة لهما في (نيويورك) - قبل هروبيهما - احتسباً كل المشروبات الغريبة، وتذوقاً طعاماً لم يعرفاه من قبل.

واشتريا عطوراً وسجائر نادرة، لأنها كانت قليلة الوجود في المستقبل..
حيث سيطرت الحروب على مظاهر الحياة، وكانت تعطى لها الأولوية في
كل شيء، ولهذا اندفع الزوجان - كمخبولين - إلى المتاجر والمعارض
ومحال بيع التبغ، وكانا لا يذهبان إلى غرفتهما للنوم، إلا بعد أن يكون
الإرهاق قد نال منهما.

والآن، ها هو ذا الرجل الغريب يحذو حذوهم، إذ إنه يتصرف
كشخص من المستقبل، تم حرمانه - لسنوات طويلة - من الخمر
والسجائر.

جلس الزوجان إلى إحدى الموائد وطلبا مشروبين.

أخذ الرجل الغريب يحرق في ملابسهما، وشعرهما، وحلى (سوزان)
والطريقة التي يسيران بها ويجلسان.

همس لها (وليام) "اجلسي براحة، وكأنت كنت ترتدين هذا الطراز
من الملابس طوال حياتك".

"ما كان علينا أبداً أن نحاول الهرب".

قال (وليام) منفعلاً: "يا إلهي! إنه قادم في اتجاهنا. دعيني أنا
أحدث معه".

انحنى الرجل الغريب أمامها، بعد ضرب كعبي خذانه بحركة
عسكرية ولكن بصوت منخفض للغاية.

تصلب جسم (سوزان)، بسبب ذلك الصوت العسكري المميز الذي لا يمكن إنكاره، عندما يطرقون بوحشية على باب منزلك عند منتصف الليل!

قال الرجل الغريب: "السيد (روجر كرسطن)، إنك لم ترفع رجلى سروالك عندما جلست، كعادة الناس في هذا العصر!".

جمد جسم (وليام) ولم يتحرك. ونظر ببراعة إلى يديه، المستقرة كل منهما على إحدى ساقيه، وتسارعت خفقات قلب (سوزان).

قال (وليام) بسرعة: "لقد ظننتني شخصاً آخر. إن اسمي ليس (كرسلر)".

صحح له الرجل الغريب الاسم " (كرستن)".

قال (وليام): "إن اسمي (وليام ترافس). ولا أدري ما علاقتك برجلى سروالي؟!"

سحب الرجل الغريب مقعداً لنفسه وقال: "أرجو المَعذرة، دعنا نقول إنني ظننتك شخصاً أعرفه، لأنك لم ترفع سروالك إلى أعلى. إذ إن كل شخص يفعل هذا. وإذا لم تفعل فإن سروالك يتجعد وينتفخ بسرعة. إنني بعيد جداً عن وطني يا سيد.. ترافس، وفي أشد الحاجة إلى صحبتكما. إن اسمي (سيمز)".

"سيد (سيمز)، إننا نفهم شعورك بالوحدة، لكننا مرهقان، وسوف تغادر غداً إلى (أكابولكو)".

"إنها مدينة ساحلية رائعة. لقد كنت هناك منذ وقت قصير، أبحث عن بعض أصدقائي. إنهم في مكان ما وعلى أن أعثر عليهم. أوه! هل السيدة تشعر ببعض التوعل؟".

"عمت مساء يا سيد (سيمز)".

اتخذتا طريقهما إلى الخارج عبر باب المقهى، و(وليام) يمسك بذراع (سوزان) بقوة. ولم يلتفتا إلى الخلف، عندما صاح السيد (سيمز) "أوه، أمة شيء آخر".

تريث وذكر بتؤدة عدة كلمات "٢١٥٥ ميلادية".

عندئذ أغمضت (سوزان) عينيها وشعرت بالأرض تميد تحت قدميها. وعلى الرغم من هذا فإنها قد استمرت في السير، إلى حيث الميدان المتأجج بالمفرقعات النارية، ولكنها لم تر شيئاً من فرط انفعالها.

أغلقا باب حجرتهما بالفندق. وفجأة انخرطت (سوزان) في البكاء، بينما كانا يقفان في الظلمة، وبدا وكأن الحجرة تتداعى تحتها. وعلى البعد كانت المفرقعات النارية تنفجر، وتصاحبها ضحكات وصياح الحشد في الميدان.

قال (وليام): "اللعة على هذه المفرقعات النارية، إنها تحدث شيئاً يثير أعصابي.. لقد كان الرجل جالساً في المقهى، يرمقنا من أعلى إلى أسفل كالحيوانات، ويدخن سجائره الملعونة، ويحتسى خموره الرديئة. كان يجب على أن أقتله عندئذ!..".

وبدا صوته يكاد أن يكون هيستيريا "وهو يستطرد" .. إنه حتى
تجراً وأفضى لنا باسمه الحقيقي. رئيس الباحثين. وهذا الأمر الذي
يتعلق برجلي سروالى. يا إلهى، لقد كان على أن أرفعهما إلى أعلى
قليلاً، عندما أجلس. إنه تقليد تلقائى لمواطنى العصر الحالى. وبمجرد
أننى لم أفعل هذا، أصبحت غريباً عن الآخرين. وجعله يشك فينا. إنه
رجل لم يرتد السراويل فى حياته، رجل تعود على مخالفة الأزياء
الرسمية الموحدة وطرز وأنماط المستقبل. إننى على استعداد أن أنتحر،
ولا أسلمه نفسى".

قالت (سوزان) بسرعة "كلا، كلا. إن مشيتى بالكعب العالى،
هى التى جعلته يشك فينا. ولعله الأسلوب الجديد والمبتكر لقص شعرنا.
إن كل شىء غير مألوف ويوحى بالقلق".

أضاء (وليام) ضوء الحجرة: "إنه لا يزال يخضعنا للاختبار. إذ إنه
ليس واثقاً بعد من حقيقتنا، أجل ليس بعد. إننا لا نستطيع الهرب منه
الآن. يجب ألا نجعله متأكداً. لهذا علينا أن نُسافر إلى (أكابلكو)
كما أعدنا".

"ربما كان متأكداً من حقيقتنا، ولكنه يتسلى بنا".

إن الوقت فى صالحه تماماً. ويمكنه أن يتلأ ويضيع الوقت.
إذا رغب فى ذلك، ولو أراد لأعادنا إلى المستقبل عام ٢١٥٥، فى ستين
ثانية بعد تركنا له. كما يمكنه تركنا نتجول هنا لأيام، ليسخر منا".

جلست (سوزان) على الفراش، تمسح العبرات من فوق وجهها،
وهي تشم رائحة الفحم المحترق والبخور.

"لن يسببوا لنا فضيحة، أليس كذلك؟"

"لن يجرؤا. إن عليهم أن يقبضوا علينا بمفردنا، لوضعنا في آلة
الزمان، وإعادتنا إلى المستقبل."

قالت (سوزان) "إذن هناك حل. يجب ألا نبقى أبداً بمفردنا، بل
علينا أن نكون دائماً في وسط حشود من الناس. سوف نعقد صداقات
مع الملايين، نذهب إلى الأسواق، ننام في الفنادق الحكومية في كل مدينة،
ندفع لمدير الشرطة لحراستنا، حتى نجد طريقة لقتل (سيمز) والهروب،
نتنكر في ثياب جديدة، ولعلنا نختر الزى المكسيكي."

فجأة سمعا وقع أقدام خارج باب حجرتهما المغلق. أطفأ المصباح
واستبدلا ملابسهما في صمت. ابتعدت الخطوات. وتناهى إلى سمعهما
باب يغلق.

ذهبت (سوزان) إلى نافذة الحجرة وتطلعت إلى أسفل، حيث الميدان
الذى يكتنفه الظلام، قالت: "هل هذا المبنى الذى هناك، كنيسة؟"
"أجل."

"كثيراً ما تساءلت بينى وبين نفسى، عن الشكل الذى يمكن أن تبدو
عليه الكنيسة، لقد مر وقت طويل منذ أن رأى شخص ما واحدة.
هل يمكننا زيارتها غداً؟"
"بالطبع. هيا إلى الفراش."

رقدا فوق الفراش فى الحجرة المظلمة.

وبعد نصف ساعة رن جرس الهاتف، رفعت (سوزان) السماعة وقالت "هالو؟".

أجابها صوت خفيض: "ربما تتمكن الأرناب من الاختباء فى الغاية، لكن الثعلب يعثر عليها دائماً".

أعادت سماعة الهاتف واستلقت على الفراش من جديد، بجسمها البارد المتصلب الأطراف.

وفى الخارج - عام ١٩٢٨ - كان شخص ما يعزف ثلاث نغمات على جيتار، الواحدة تلو الأخرى.

وخلال الليل طوت فى أحلامها السنين الطويلة، وامتدت بها الرؤى إلى المستقبل البعيد عام ٢١٥٥. وشعرت بأصابعها تنزلق فوق مسافات شاسعة فى الزمان، وكأنها تلمس سطحاً كثير الثنيات والطيات، وسمعت الصوت المكتوم المستمر بخطوات عسكرية تسير بثبات نظام نحو الأمام، ومليون فرقة موسيقية تعزف مليون نغمة عسكرية، ورأت فيما يرى النائم خمسين ألف صف من المتحذيات المجهريّة الممرضة والمزروعة فى مستنبتات، على شكل أنابيب زجاجية معقمة. وكانت تفحصها فى ذلك المختبر الهائل، حيث تعمل فى المستقبل، أنابيب تحتوى على جراثيم الجدازم^(١٧) والطاعون العقدي^(١٨) وحمى التيفونيد والسل ثم جاء الانفجار الكبير.

(١٧) مرض تسببه البكتيريا يتسم بتقرحات فى الجلد والعظم ويؤدى إلى الشلل. (المترجم).

(١٨) مرض ويأثى معد تنقله البراغيث والفئران. (المترجم).

وشاهدت يدها تحترق حتى أصبحت مثل شجرة برقوق مجعدة،
وشعرت بها ترتد سريعاً عن اهتزاز مروع، بلغ من قوته أن الأرض
ارتفعت ثم هوت، مما أدى إلى تدمير كل المباني ورقود الناس في صمت
يترقبون دماً.

وانفجرت براكين هائلة، ودمرت أجهزة وهبت رياح عاتية، وحدثت
الانهيارات الثلجية وصخرية أسفل الجبال ثم ساد السكون، استيقظت
(سوزان) وأخذت تتنحب في الفراش، بالمكسيك، بعيدة عن زمنها
بسنوات طويلة..

وفي الصباح الباكر - ولم يكونا قد نالا قسطاً وافراً من النوم بل
مجرد ساعة واحدة استطاعا أن يحصلا عليها بمشقة - استيقظا على
صوت ضجة السيارات في الشارع. ذهبت (سوزان) إلى الشرفة ذات
العمدة الحديدية لحجرتها، وأطلت منها إلى أسفل، فوجدت حشداً
صغيراً من ثمانية أشخاص، ترجلوا من شاحنات وسيارات كانت تحمل
علامات باللون الأحمر، أخذوا يثرثرون ويصيحون.

وكان تجمع من المكسيكيين قد راح يلاحق الشاحنات.

صاحت (سوزان) تخاطب صبياً صغيراً: "ما الذي يجري؟".

أجابها الصبي بما يعرف.

التفتت (سوزان) إلى زوجها وقالت: "شركة أمريكية للإنتاج السينمائي،
في موقع خارج الاستديو".

كان (وليام) يستحم تحت الدش، ورد عليها قائلاً: "يبدو الأمر مثيراً للاهتمام. دعينا نراقبهم. الرأى عندي أنه ليس مفضلاً أن تغادر اليوم إلى (أكابلكو). سوف نحاول خداع (سيمز) ليطمئن لنا. سنتفرج على الأفلام التى يقومون بتصويرها. لقد نمتى إلى علمى أن صناعة الأفلام البدائية، كانت ذات شأن فى هذه الأيام.

دعينا لا نفكر فى أى شىء آخر، ونهتم بأنفسنا".

أخذت (سوزان) تفكر فى الأمر، ورددت هامسة "أنفسنا!".

ولفترة قصيرة، وتحت الشمس المشرقة، نسيت رجلاً - على الأرجح - يدخل السجائر بشراة وينتظر فى مكان ما بالفندق. وشاهدت الأمريكين الثمانية المرحين كثيرى الضجيج الذين يكونون فريق العمل السينمائى، وأرادت أن تصيح بهم "انقذونى، خبثونى، ساعدونى! اصبغوا شعرى، وأعطوا لونا آخر لعينى، زودونى بملابس غريبة. إننى فى أشد الحاجة لمساعدتكم. إننى أنتمى إلى عام ٢٠٥٥!".

بيد أن الكلمات بقيت فى حنجرتها. إن المسئولين عن شركة السفر عبر الزمان، لم يكونوا حمقى. إذ وضعوا فى دماغ كل عميل لديهم، عائقاً نفسياً، لدرجة لا يستطيع أن يبلغ أى شخص، عن اسمه الحقيقى أو المكان الذى ولد فيه، كما لا يمكنه أن يفصح عن أية معلومات عن المستقبل الذى جاء منه، إلى هؤلاء الذين يعيشون فى الماضى. إذ يجب حماية الماضى والمستقبل من بعضهما البعض. ويسبب هذا العائق النفسى

- فقط - سمحوا للناس بأن يسافروا عبر العصور المتباينة، دون حراسة. إذ يجب حماية المستقبل من أى تغيير قد يحدثه عملاؤها، المسافرون إلى الماضى.

وأيقنت (سوزان) أنها لن تستطيع - حتى لو كان هذا أقصى أمنياتها - إبلاغ أى من فريق العمل السينمائى المرحين الذين يقفون فى الميدان بالأسفل، حقيقة هويتها، ولا حتى عن الورطة التى وقعت فيها.

قال (ويليام) "أنتاولين الإفطار الآن؟".

كان الإفطار معداً فى قاعة الطعام المتسعة. قطع من اللحم وبيض الجميع. كان المكان مزدحماً بالسائحين. وبخل كل فريق العمل السينمائى الثمانية. المكون من ستة رجال وامرأتين، كانوا يقهقهون ضاحكين، ويدفعون المقاعد بعنف فى كل الاتجاهات.

جلست (سوزان) بالقرب منهم وهى تشعر بالحميمية والحماية بسبب وجودهم، حتى عندما هبط السيد (سيمز) على درج البهو، وهو يدخل بشراهة بالغة سيجارته التركية. أوماً لها برأسه، بينما كان على مسافة بعيدة منهما.

وردت (سوزان) عليه بإيماءة وبابتسامة، إذ لم يكن بإمكانه أن يفعل لهما أى شئ، وهما فى هذا المكان، أمام فريق العمل السينمائى الثمانية وعشرين سائحاً آخرين.

قال (وليام): "ربما أستطيع - نظير دفع مبلغ من المال - إقناع ممثل وممثلة من بين هذا الفريق بارتداء ملابسنا، على أن أبلغها الأمر مجرد مزحة، وقيادة سيارتنا بعيداً، عندما يكون (سيمز) في مكان لا يستطيع فيه تبين وجهيهما. وهكذا يمكن لهذين الممثلين أن ينتحلا شخصياتنا، ويخدعا (سيمز) لعدة ساعات، وفي غضون ذلك ربما نتمكن من الهرب إلى (مكسيكو سيتي). وهناك سوف تمر سنوات قبل أن يستطيع العثور علينا!"

انحنى رجل سمين على منضدتهما، ورائحة الخمر تفوح من فمه وصاح: "مرحباً! أنتما سائحان أمريكيان، لقد سنمت رؤية المكسيكيين. إننى أود تقبيلكما!"

صافحهما بحرارة واستطرد قائلاً: "تعالا، وتناولوا الإفطار معنا. إن (ميزرى)^(١٩) يحب الرفقة. إن اسمى (ميزرى). وهذه هى الأنسة (جلوم) والسيد والسيدة (هل نكره المكسيك؟). إننا جميعاً نكره المكسيك. ولكن نحن هنا من أجل تصوير بعض اللقطات المبدئية لشريط سينمائى لعين. وسوف يصل بقية فريق العمل غداً. إن اسمى الحقيقى (جو ملتون)، وأعمل مخرجاً.

كم أكره هذا البلد! بجنائزته التى تسير فى الشوارع، والناس الذين يموتون. هيا تعالا، تحركا. انضما إلى الفريق، دعونا نمرح!"

(١٩) أسماء ابتكرها الممثل لتعبر عن الكراهية التى يشعر بها المكسيك، مثل "التعاسة"، و"الاكتئاب"، وهى بالطبع ليست أسماءهم الحقيقية. (المترجم).

ضحك كل من (وليام) و(سوزان).

سألها السيد (ملتون) "هل أنا مضحك؟"

تحركت (سوزان) قليلاً من مكانها، وقالت: "إنك رائع!".

كان السيد (سيمز) يحدق فيهما عبر قاعة الطعام.

عبرت (سوزان) بقسمات وجهها عن السخرية منه.

عندئذ تقدم السيد (سيمز) بين الموائد.

وصاح بهما "السيد والسيدة (ترافس)، أعتقد أننا كنا نتناول

إفطارنا معاً، على انفراد".

رد عليه (وليام) قائلاً: "أرجو المذرة".

قال السيد (ملتون): "أجلس أيها الصديق. إن أي صديق لهما،

هو بالتأكيد صديق لي".

جلس السيد (ملتون)، وأخذ أعضاء فريق العمل السينمائي يتحدثون

بصوت مرتفع، وأثناء حديثهم قال السيد (ملتون) بتؤدة "أرجو أن تكونا

قد نلتما قسطاً وافراً من النوم".

"وهل نمت أنت جيداً؟"

رد السيد (سيمز) بصوت ينم عن الاستياء "لست معتاداً على النوم

أدق مراتب بها نوابض.. ثم استطرد قائلاً: "...إلا أنني عوضت قلة النوم،

بتناول أصناف جديدة من الطعام وتدخين سجائر لم أجرب نكهتها من

قبل. كان شيئاً رائعاً ومتفرداً. طيف كامل جديد من الأحاسيس، وفرفته لى هذه الرذائل القديمة.

قالت (سوزان): "إننا لا نعرف شيئاً عما نتحدث عنه".

قهقه (سيمز) ضاحكاً وقال: "دعوكما من تقمص شخصيات أخرى. إذ لا فائدة من هذا. ولا حتى محاولتكما خداعي بالاندماج مع حشود الجماهير، وسوف ألقاكم منفردين فى أقرب وقت ممكن. إننى صبور إلى حد بعيد".

عندئذ تدخل السيد (ملتون)، متورد الوجه من الانفعال، وقال: "هل يسبب لكما هذا الشخص أية متاعب؟".

كلا. كل شيء على ما يرام".

"تكفى كلمة واحدة منكما، لألقى به فوق الأرض" واستدار (ملتون) لينادى زملاءه. انتهز السيد (سيمز) هذه الفرصة السانحة واستطرد قائلاً بصوت خفيض: "دعونا نتكلم بصراحة وندخل فى الموضوع، لقد قضيت شهراً كاملاً وأنا أقتفى أثركما، عبر البلدان والمدن لأعثر عليكما، ولم أستطع التأكد من حقيقة هويتكما إلا بالأمس فقط. فإن أتيتما معى فى هدوء، ربما استطعت - عند عودتكما إلى المستقبل - أن أرفع عنكما العقوبة التى تطبق فى مثل هذه الحالات، إذا وافقتما على العودة للعمل، فى إنتاج القنبلة الهيدروجينية الفائقة".

قال السيد (ملتون) وهو نصف منصت لما يقوله: "هل هذا النوع من الأحاديث يقال أثناء تناول الإفطار؟".

استمر (سيمز) في حديثه رابط الجأش "فكروا بالأمر جيداً. ان تتمكنوا أبداً من الهرب. حتى لو قمتمما بقتلى، فسوف يكمل مهمتى الآخرون ويقومون باقتفاء أثركما".

قال (وليام): "إننا لا ندرى عما تتحدث عنه".

صاح (سيمز) بانفعال: "توقفا عن هذا الخداع. واستخدما ذكاءكما! تعلمان جيداً أننا لن نسمح لكما بالهروب. إذ ربما يحاول الناس الآخرون في عام ٢١٥٥، الفرار مثلكما، إننا بحاجة للمواطنين".

قال (وليام) أخيراً: "للاشتراك في معارك حروبكم".

صاحت (سوزان): "كن حذراً".

"لا تخشى شيئاً يا (سوزان). إننا سوف نخضع لشروطه الآن. فلن نستطيع الهروب".

قال (سيمز) "رائع. لقد كنتمما أنتما الاثنان - بحق - خياليين إلى حد بعيد، بمجرد هروبكما من مسئوليتكما".

"لقد هربنا من الرعب والفرع".

"هراء، إنها مجرد حرب".

تساءل السيد (ملتون) قائلاً: "عم تتحدثون؟".

أرادت (سوزان) أن تخبره. إلا أنها لم تكن تستطيع التحدث إلا في العموميات. إذ إن العائق النفسى المزروع فى دماغها، لا يسمح إلا بالتحدث فى الأمور العامة، مثل تلك التى كان (سيمز) و (وليام) يتحدثان فيها.

قال (وليام): "إنها الحرب التى أودت بحياة نصف سكان العالم، بقنابل الميكروبات العنوية التى تسبب مرض الجذام".

وأبدى (سيمز) وجهة نظره قائلاً: "ومع ذلك، فإن مواطنى المستقبل، يستاءون منكما لأنكما تختبئان فوق جزيرة إستوائية، وهم يتعرضون للموت فى الحروب، الموت يفضل الموت وليس الحياة، إن الموتى يريدون التأكد بأن الآخرين يلاقون نفس مصيرهم المحتوم. ربما تشعران بالعزاء عندما تعرفان أنكما استما وحيدتين فى ذلك الآتون المستعر، فى هذا القبر. إننى الوصى على استيائهم الجماعى، مفكما أنتما الاثنتين".

قال السيد (ملقون) لزملائه ساخرًا "انظروا إلى الوصى على الاستياء!".

عاد (سيمز) للحديث: "كلما انتظرت أكثر بإصراركما على عدم الامتثال للقوانين، ازداد الأمر سوءاً بالنسبة إليكما. سيد (ترافس) إن الدولة تحتاج إليك فى مشروع القنبلة. ارجع الآن ولن تتعرض لآى تعذيب، تعلم أنه بإمكاننا دفعك إلى العمل، وبعد الانتهاء من صنع القنبلة، سوف نجرب عليك أجهزة جديدة معقدة".

قال (وليام) "لدىّ اقتراح. سوف أعود معك، إذ بقيت زوجتى هنا على قيد الحياة، سالمة، بعيداً عن تلك الحرب المدمرة".

فكر (سيمز) ملياً فى الأمر ثم قال "حسناً إننى موافق. قابلنى فى الميدان فى غضون عشر دقائق. سوف أصحبك فى سيارتك إلى مكان منعزل فى الريف. وسوف أجعل آلة الزمان تأخذنا من هناك.

أمسكت (سوزان) بذراع زوجها بقوة لتحذره من مغبة ما سيقوم به.

نظر إليها (وليام) وقال: "لا تناقشنى الأمر، فقد اتفقنا".

ثم التفت إلى (سيمز) قائلاً: "ثمة شىء واحد. فى الليلة الماضية كان باستطاعتك اقتحام حجرتنا بالفندق واختطافنا. لماذا لم تفعل؟".

رد السيد (سيمز) بتؤدة وهو يسحب نفساً عميقاً من سيجاره الجديد.

"الواقع أننى أشعر بالمتعة هنا. وأكره أن أغادر هذا الجو الصحو والشمس المشرقة والأجازه الرائعة. وأشعر بالأسف ، على تركى النبيذ والسجائر، أوه، كم يؤسفنى هذا. إذن، سوف نتقابل فى الميدان بعد عشر دقائق. سوف نقوم بحماية زوجتك، ويمكنها البقاء هنا لأى مدة، وفق رغبتها. وفى غضون ذلك، فليودع كل متكما الآخر".

نهض السيد (سيمز) من على مقعده، وتحرك ليغادر قاعة الطعام.

صاح السيد (ملتون) بالرجل الذى يوشك على الخروج "ها هو ذا
الثرثار الكبير يغادرتنا.." ثم استدار ونظر إلى (سوزان) واستطرد قائلاً:
"مرحباً! هل تيكين؟ إن الإفطار ليس بالوقت المناسب لذرف الدموع.
أليس كذلك؟".

فى الساعة التاسعة والرربع، أطلت (سوزان) من شرفة حجرتها
بالفندق، تحديق فى الميدان بالأسفل، كان السيد (سيمز) يجلس هناك
فوق مقعد طويل ناعم من البرونز، يضع ساقيه الأنيقتين على بعضهما
البعض، أخذ يقضم طرف سيجاره بأسنانه، ثم أشعله بهدوء، سمعت
(سوزان) صوت اهتزاز محرك، وهناك على البعد فى الشارع، شاهدت
(وليام) فى سيارته، وقد أخرجها من الجراج، وقادها ببطء فوق منحدر
التل المرصوف بالحصى، متجهاً إلى الميدان.

تزايدت سرعة السيارة. من ثلاثين إلى أربعين ثم خمسين ميلاً فى
الساعة وأخذ الدجاج وصغاره، يتشتت من أمامها. خلع السيد (سيمز)
قبعة بنما^(٢٠) البيضاء التى كان يضعها على رأسه، وراح يمسح العرق
عن جبينه الوردى اللون ثم أعاد القبعة إلى مكانها، وعندئذ شاهد
السيارة، التى أصبحت سرعتها الآن ستين ميلاً فى الساعة، وهى تنطلق
فى خط مستقيم إلى الميدان.

(٢٠) قبعة تصنع من الأوراق المجدولة لبعض نباتات الألياف، أصلها من (الإكوادور)
بأمريكا الجنوبية. (المترجم).

صرخت (سوزان) "(وليام)!"

ارتطمت سيارة (وليام) بالحاجز الأسمنتي المنخفض للميدان، فأحدثت صوتاً مدوياً كالرعد ثم قفزت فوقه واندفعت عبر القرميد في اتجاه المقعد الطويل الأخضر، حيث يجلس السيد (سيمرز) الذي ألقى بسيجاره فوق الأرض، وصرخ في فزع ولوح بشدة بيديه، صدمته السيارة، فطار جسمه إلى فوق في الهواء، ثم سقط بلا حراك في الميدان.

وفي الجانب البعيد للميدان، كسرت إحدى العجلتين الأماميتين للسيارة، مما أدى إلى توقفها، وجاء الناس راكضين إلى مكان الحادث.

دخلت (سوزان) بسرعة إلى الحجرة، وأغلقت بابى الشرفة.

وفي الساعة الثانية عشرة ظهراً، هبط (وليام) و(سوزان) معاً، درج المبنى الحكومى، يداً بيد وكان وجهاهما شاحبين.

قال شريف المدينة من خلفهما: "إلى اللقاء أيها السيد والسيدة".

وقفوا في الميدان، فى مكان الحادث الذى احتشد فيه الناس وهم يشيرون إلى الدماء التى تلتخ الأرض.

تساءلت (سوزان) "هل يريدون حضورك مرة أخرى؟".

كلا، لقد حققوا فى الحادث وسمعوا شهادتى، واعتبروا الأمر عارضاً، إذ إننى فقدت السيطرة على السيارة. بكيت أمامهم. ويعلم الله أننى أردت أن أريح ضميرى، بطريقة ما. وشعرت بأننى يجب أن أبكى،

لم أشأ أن أقتله، ولم أتصور طيلة حياتي أن أقترف مثل هذا العمل المروع.

"ألن يرفعوا عليك دعوى جنائية؟"

"كلا، لقد تحدثوا عن هذا الإجراء، ولكنهم لن يفعلوا، لقد تحدث إليهم بسرعة وطلاقة، فصدقوني بأنه كان حادثاً عارضاً. وهكذا انتهى الأمر.

"أين سنذهب؟ إلى (مكسيكو سيتي) أم مدينة (يوروبان)؟"

"السيارة في ورشة التصليح، سوف تكون جاهزة للاستخدام في الرابعة من بعد ظهيرة اليوم. بعدها سنهرب من هنا بسرعة."

"هل سوف يقومون باقتفاء أثرنا؟ هل كان (سيمز) يعمل بمفرده؟"

"لا أعرف، لكنني أعتقد أننا سنكون قد سبقناهم بفترة قصيرة."

بينما كانا يقتربان من الفندق، شاهدا فريق العمل السينمائي يخرج منه.

أسرع إليهما السيد (ملتون) مقطب الجبين "مرحباً، سمعت بما حدث. إنه أمر سيئ للغاية، هل كل شيء على ما يرام الآن؟ ابعدا ذهنيكما عن التفكير في الحادث، إننا نقوم بتصوير بعض اللقطات المبدئية هناك عبر الشارع. هل تريدان المشاهدة؟ على الرحب والسعة. هيا تعالا. سوف تتسليان كثيراً وتتسيان الأمر تماماً...".
وذهبا معه.

كانوا يقفون فى الشارع المغطى بالحصى، بينما كانت كاميرا تصوير الشريط السينمائى جاهزة لالتقاط المشاهد. تطلعت (سوزان) إلى الطريق المؤدى إلى الشاطئ الرملى وما وراءه، وإلى الطريق الرئيسى العام، الذى يوصل إلى المدينة الساحلية (أكابولكو) والمحيط، ما بعد الأهرامات القديمة والآثار المهدامة وتلك المدن الصغيرة بمنازلها المشيدة بالطوب وجدرانها ذات الألوان المتعددة، الصفراء والزرقاء والأرجوانية التى تتسلقها نباتات ذات لون أحمر براق.

وأخذت تفكر فى أنهما سوف يسيران فى الطرق المزدحمة ويسافران ضمن حشود ضخمة من الناس، ويتجولان فى الأسواق ويرتادان المعارض المزدحمة، ويرشوان رجال الشرطة ليسمحوا لهما بالنوم بالقرب من أماكن تواجدهما، ويوصدان حجرتهما بأقفال مزدوجة لمزيد من الأمان، ودائماً يتواجدان بين الحشود، ولن يبقيا وحيدين على الإطلاق. ودائماً يتوجسان شراً من أى شخص يقترب منهما أو يراقبهما أو يمر بهما، إذ قد يكون (سيمز) آخر، ولن يعرفا أبداً إذا كانا قد استطاعا خداع وتضليل الباحثين عنهما.

وليتذكرا دائماً أن رجال المستقبل، ينتظرون لإعادتهما من جديد، حيث القنابل التى تحرقهما وتسبب لهما الأمراض وتهلكهما. وشرطة عام ٢١٥٥، التى سوف تأمرهما بأداء التدريبات العسكرية المرهقة، من ركض وقفز خلال الحلقات الدائرية المعدنية! وسوف يعدوان عبر الغابات معظم الأيام، وهكذا لن يتعما أبداً بالتوقف لأخذ قسط من الراحة أو النوم بعمق مرة أخرى طوال حياتهما.

تجمع حشد من الناس للتفرج على تصوير الشريط السينمائي.
وراحت (سوزان) تراقب هذا الحشد وكذلك الشوارع فى حذر.

- "هل ترى أى شخص يثير الشك فيه؟"

- "كلا، كم الساعة؟"

- "الثالثة. لا شك أن السيارة تكاد أن تكون جاهزة الآن."

انتهى تصوير اللقطات المبدئية للشريط السينمائي، فى الساعة
الرابعة إلا الربع. وساروا جميعاً إلى الفندق وهم يتحدثون.
وتوقف (وليام) عند الجراج وبعد قليل عاد وعلى وجهه أمارات القلق.
وقال "سوف تجهز السيارة فى الساعة السادسة".

"أرجو ألا يتأخر إصلاحها بعد هذا الموعد".

"سوف تكون جاهزة فى السادسة، لا تقلقى".

وفى ردهة الفندق، أخذوا يبحثان عن أشخاص يسافرون بمفردهم،
يشبهون السيد (سيمز)، رجال حليقى الشعر حديثاً، ويدخنون السجائر
بشراهة ورائحة الكولونيا النفاذة تنبعث منهم، بيد أن الردهة كانت
خالية.

وأثناء ارتقائهم الدرج قال السيد (ملتون): "حسناً، لقد كان يوماً
طويلاً شاقاً، أتودان مشاركتنا شرباً ننسى به متاعبنا برمتها؟
ماذا تفضلان، "مارتينى" أم "جعة"؟".

”الأفضل لنا، واحد من الاثنين”.

اندفع الحشد كله إلى غرفة السيد (ملتون)، حيث بدأ صب كؤوس الخمر وشربها.

قال (وليام) لزوجته بصوت خفيض: ”لا تنسى موعد استلام السيارة”.

فكرت (سوزان) فى أنه لو اتسع لهما الوقت، لاستمتعا كثيراً، إن كل ما تتمناه، أن تجلس فى الميدان، طوال نهار مشرق، فى شهر أكتوبر، دون قلق أو هم، وأشعة الشمس تغمر وجهها ويديها، وعينها مغمضتان، وشفتاها مبتسمتان بسبب الدفء، بينما هى مسترخية فى مكانها، لا تتحرك، وربما تغفو قليلاً تحت شمس المكسيك الرائعة، وتظل نائمة «ستمتعة بالدفء فى هدوء وسكينة، لأيام عديدة..

فتح السيد (ملتون) زجاجة شمبانيا.

وصاح ليشرى الجميع نخب (سوزان): ”نخب السيدة فائقة الجمال، الجديرة بالتمثيل فى أحد الشرائط السينمائية. وربما اختبرها فى يوم ما، أمام الكاميرا”.

ضحكت (سوزان).

قال (ملتون): ”إننى أعنى ما أقول، أنت بالغة اللطف والظرف يا سيدتى، ويمكننى أن أجعل منك نجمة سينمائية”.

صاحت (سوزان) "وهل سوف تأخذنى إلى هوليوود؟"

رد (ملتون) بحماس "بالتأكيد، بعد أن تغادر المكسيك".

تطلعت (سوزان) إلى (وليام) ورمقته بنظرة متسائلة، فرفع حاجبه وأوماً لها بالموافقة. إذ ربما تكون هذه فرصة لهما، لتغيير المكان والملابس والأسماء، وسوف يسافران بصحبة ثمانية أشخاص آخرين، سيكونون درعاً واقية لهما، ضد أية محاولة تدخل من رجال المستقبل لإعادتهما إلى عام ٢١٥٥.

قالت (سوزان) "يبدو الأمر رائعاً".

عندئذ شعرت بالانتعاش الذى سببته الشميانيا، كان بعد الظهيرة يكاد أن ينقضى، وكان فريق العمل السينمائى يلتف حولها، فشعرت بالأمان وبأنها فى أحسن حال، تنبض بالحياة وسعيدة بحق، لأول مرة منذ سنوات طويلة.

تساءل (وليام) ، بينما كان يملأ كأسه من جديد... "أى نوع من الشرائط السينمائية يلائم زوجتى؟"

أثنى (ملتون) على ما تتمتع به (سوزان). وتوقف فريق العمل عن الضحك، وراحوا ينصتون إليه.

قال (ملتون) "حسناً، أريد أن أخرج شريطاً سينمائياً يتميز بالتشويق والإثارة، تكون قصته عن رجل وزوجة، مثلكما".

قال (وليام) "استمر".

استطرد المخرج قائلاً: "ربما تكون القصة عن أحد الحروب" ثم راح يتأمل لون الخمر التي في كأسه، وأشعة الشمس تنعكس عليها.
انتظرت (سوزان) و(وليام) أن يكمل حديثه.

قال (ملتون) "قصة عن رجل وزوجة، يعيشان في منزل صغير بشارع ضيق في عام ٢١٥٥، أرجو أن تفهما أن هذه مجرد قصة من وحي الخيال، لكن هذا الرجل وزوجته واجها حرباً مروعة وقنابل هيدروجينية فائقة التدمير، ومراقبة لصيقة، وتعرض للموت في تلك السنة. أما الفكرة الأساسية للشريط السينمائي، فهي أنهما تمكنا من الهرب إلى الماضي، ويطاردهما شخص ما ينتمى إلى المستقبل، ويعتقدان أنه يريد أن يلحق بهما الأذى، لكنه في حقيقة الأمر، كان يود أن يذكرهما بواجبهما تجاه الوطن".

أسقط (وليام) كأسه فوق الأرضية.

واستطرد السيد (ملتون) قائلاً "... بيد أن هذين الرجلين اتخذوا من فريق عمل سينمائي ملجأً لحمايتهم من الباحثين عنهما، وكانا يقولان لنفسيهما: إن الأمان يتحقق وسط حشود الناس".

تهالكت (سوزان) فوق أحد المقاعد. وكان كل شخص يراقب المخرج، الذي ارتشف قليلاً من الشمبانيا واستمر يقول: "... آه، يا له من خمر رائع، حسناً، إن هذين الزوجين - فيما يبدو - لم يدركا مدى

أهميتهما لعالم المستقبل. إن الرجل - بصورة خاصة - يعد المرتكز الذى يعتمد عليه، فى صناعة معدن قنبلة جديدة، وهكذا فإن المطاردين ولنطلق عليهم (الباحثين)، لم يدخروا جهداً أو مالاً لمحاولة إيجاد الزوجين والقبض عليهما ثم إرسالهما إلى الوطن فى المستقبل. وكان الباحثون يسعون إلى الانفراد بالرجل وزوجته فى إحدى غرف فندق، حيث لا يشاهدتهم أى شخص، إنها استراتيجية محكمة وتخطيط متقن. إن الباحثين يعملون منفردين أو فى مجموعات مكونة من ثمانية أشخاص، وهم يلجأون إلى حيل متعددة لكى يحققوا أهدافهم. ألا ترين يا (سوزان) أن هذه القصة تصنع شريطاً سينمائياً رائعاً؟ وما رأيك أنت يا (وليام)؟ وحينئذ احتسى آخر قطرة من الخمر فى كأسه.

جلست (سوزان) وعيناها شاخصتان إلى الأمام فى ذهول.

قال السيد (ملتون): "أتريدان شرباً؟"

أخرج (وليام) مسدسه بسرعة وأطلق النار ثلاث مرات، فسقط أحد رجال الفريق السينمائى، واندفع الباقي نحوه. صرخت (سوزان) ثم امتدت يد لتفلق فمها حتى لا تصرخ من جديد. الآن أصبح المسدس فوق الأرضية، وكان (وليام) يقاومهم بكل قوة، محاولاً الوصول إلى مسدسه.

قال السيد (ملتون) وهو مازال يقف فى مكانه، ولكن أصابعه كانت مخضبة بالدماء "أرجوكم، دعونا لا نزيد الأمور سوءاً".

عندئذ كان شخص ما يدق بعنف على باب البهو.

"دعوني أدخل! وإلا سوف أستدعى الشرطة!"

نظر (وليام) و(سوزان) إلى بعضهما البعض بسرعة، ثم تطلعا إلى الباب.

قال السيد (ملتون) "إن مدير الفندق يريد أن يدخل إلى هنا، هيا نغادر بسرعة!"

تم تحريك الكاميرا إلى الأمام، وانطلق منها ضوء أزرق خاطف سرعان ما طوق الحجرة على الفور، ثم أخذ يتسع فاخترق بتأثيره كل الموجودين، واحداً تلو الآخر.

قال (ملتون) "أسرعوا!"

وقبل أن تختفى (سوزان) يلحظات، استطاعت أن ترى عبر النافذة، الأرض الخضراء وجدران المنازل الأرجوانية والصفراء والزرقاء والقرمزية، الحصى الدائري الشكل الذي يرصف به الشوارع، يتدفق مثل النهر، ورجلاً يمتطي حماراً صغيراً ويسير به فوق التلال الدافئة، وصبي يشرب مشروباً غازياً بطعم البرتقال، وشعرت وكأنها تتذوق السائل الحلو في حلقها، كما شاهدت في تلك اللحظات الخاطفة، رجلاً يقف تحت شجرة مزدهرة بالميدان، وهو يعزف على جيتار، وأحسست وكأن أناملها تداعب أوتار الجيتار، وهناك بعيداً رأت البحر الأزرق الرقيق، وشعرت وكأنه يحتضنها ويدفعها إلى الأعماق.

ثم اختفت (سوزان) واختفى زوجها معها.

عندئذ انفتح الباب عنوة على مصراعيه. واندفع إلى الداخل، مدير الفندق ومجموعة مساعديه. ولكن - لدهشتهم - كانت الحجرة خالية!

صاح مدير الفندق: "لقد كانوا هنا! إذ شاهدتهم يدخلون هذه الحجرة، والآن، لا يوجد بها أحد! ونوافذ الحجرة لها حواجز مشبكة من الحديد، فلا يمكن لهم أن يهربوا من خلالها!"

وفى وقت متأخر من بعد الظهر، استدعوا أحد الكهنة وفتحوا باب الحجرة ونوافذها وقاموا بتهويتها. وطلبوا من الكاهن رش الماء "المقدس" الذى صلى عليه، فى كل ركن من الحجرة، وأن يمنحها بركاته.

تساعت عاملة التنظيف قائلة: "ما الذى ستوف نفعله بكل هذه الأشياء؟" وأشارت إلى الحمام، الذى يحتوى على ٦٧ قنينة من "الشارتروس"^(٢١) والكونياك وكريم وكريك الكاكاو، والإيسنتين^(٢٢)، والفيرموت والتكيلا^(٢٣)، بالإضافة إلى ١٠٦ كراتين من السجائر التركية و ١٩٨ من الصناديق الصفراء الممتلئة بسيجار هافانا الفاخر.

(٢١) مشروب كحولى صنعه لأول مرة رهبان فرنسيون فى القرن الثامن عشر. (المترجم).
(٢٢) مشروب كحولى مقطر، بنكهة الينسون والأعشاب الطبية، لونه أخضر طبيعى. (المترجم).
(٢٣) مشروب كحولى مقطر مكسيكى، يصنع من نبات "التكيلا" الأزرق من عائلة الزنبق. (المترجم).

المشكال^(١)

أحدثت الصدمة المروعة الأولى، قطعاً في جانب المركبة الفضائية كما لو أنها شقت بفتاحة علب عملاقة، وألقى بالرواد بعيداً في الفضاء، وكانهم مجموعة من أسماك فضية تتحرك في حركة متعرجة منحنية. كانوا منتشرين باتجاهات عشوائية متباينة، في بحر حالك السواد. واندفع حطام المركبة في مليون قطعة صغيرة مثل حشد من الشهب، يبحث عن شمس مفقودة.

“(باركلى)، (باركلى)؛ أين أنت؟”

بدأت أصواتهم التى تنادى على بعضهم البعض، وكأنها لأطفال تائهين فى ليلة باردة.

“(وود)، (وود)!”

“كابتن!”

(١) آلة بصرية عبارة عن أنبوب زجاجى تدور فنتنج أشكالاً مختلفة الألوان بواسطة مرايا دقيقة داخلية، عند توجيهها نحو أى مصدر ضوئى. (الترجم).

"(هوليس)، (هوليس)، (ستون) يتكلم".

"(ستون)! إننى (هوليس). أين أنت؟".

"لا أدري كيف لى أن أعرف؟ لقد فقدت الإحساس بالاتجاه،
إننى أسقط، يا إلهى، إننى أسقط".

كانوا يتساقطون مثل الحصى الذى يهوى فى الآبار، مبعثرين كقطع
من لعبة "الجاكس"^(٢) قذفت بها يد عملاقة، وحينئذ لم يبق من هؤلاء الرجال
إلا الأصوات، كل أنواع الأصوات الهائمة، والمشبوبة العاطفة. بكل
الدرجات التى يمكن تصورها من الرعب والإذعان والتسليم للقدر.
إننا نبتعد عن بعضنا البعض".

وكانت هذه حقيقة لا جدال فيها، و(هوليس) - الذى كان يتأرجح
رأساً على عقب - أدرك أن هذه هى الحقيقة، ولكنه كان إدراكاً مبهم
المعنى. كان رواد الفضاء يتفرقون فى اتجاهات منفصلة، دون أى أمل
فى أن يجتمعوا من جديد. كانوا يرتدون زيهم الفضائى المحكم
وخوذاتهم الزجاجية تغطى وجوههم الشاحبة، بيد أنه لم يكن لديهم
الوقت الكافى لتشغيل وحدات القوى فوق أكتافهم، التى كان بمقدورها

(٢) لعبة تلعب بست قطع معدنية وكرة صغيرة، والهدف من اللعبة النقاط القطع بشكل
مختلف كل مرة، (المترجم).

أن تجعلهم كقوارب النجاة فى الفضاء، ومن ثم ينقذون أنفسهم،
ويجد كل منهم الآخر ليتجمعوا فى شكل جزيرة من رجال يمكن أن
يتدبروا أمورهم ويضعوا الخطط المناسبة، ولكن دون تشغيل وحدات
القوى المحطمة المثبتة فوق أكتافهم، كانوا مجرد حشد من الشهب تهوى
بلا إدراك، كل منها تتجه إلى مصير مجهول وقدر محتوم.

ربما انقضت مدة عشر دقائق، قبل أن يتلاشى الرعب الأولي، وحل
محله سكون رنان. إذ أخذ الفضاء يتموج بأصواته الغريبة تنبعث أحياناً
ثم تخمد، على خلفية من الأطياف الهائلة المهددة، التى تلوح فى الظلام
المروع، تظل تتقاطع إلى أن تكون فى النهاية نموذجاً مستقراً.

"من (ستون) إلى (هوليس). إلى متى سوف نتمكن من الاتصال
ببعضنا البعض؟".

"هذا يعتمد على السرعة التى نبتعد بها كل عن الآخر".

قال (هوليس) بهدوء وهو شارد الذهن "هذا الوقت يكفيننا"
واستطرد بعد دقيقة متسائلاً "ما الذى حدث؟".

"انفجر صاروخ مركبة الفضاء، هذا كل ما فى الأمر. إن الصواريخ
معرضة دائماً للانفجار".

"فى أى اتجاه تسقط؟".

"يبدو أننى سوف أصطدم بالقمر".

"أما أنا ففي طريقى إلى كوكب الأرض، سوف أعود إلى أرضنا
العزيزة بسرعة تبلغ عشرة آلاف ميل^(٢) فى الساعة. سانشعل وأتوهج
فى الغلاف الجوى، مثل عود ثقاب".

كان (هوليس) يتأمل هذه الأمور بفكر تجرئدى غريب، وبدأ
وكانه قد غادر جسده، وأخذ يراقبه، وهو يهوى باستمرار عبر الفضاء،
كما كان يلاحظ بدقة - منذ زمن بعيد - أول سقوط للندف الثلجية أثناء
فصل الشتاء.

التزم باقى رواد الفضاء الصمت، يفكرون فى القدر الذى أودى بهم
إلى هذا الموقف المروع، كانوا يسقطون باستمرار وبلا رحمة، دون أن
يتمكنوا من وقف هذا المصير المحتوم، حتى الكابتن كان صامتًا، إذ لم يكن
ثمة أمر أو خطة يمكنه التفكير فيها، ليصلح من الأمور من جديد.

قال صوت ما "أوه، إنها هوة سحيقة إلى أسفل، عميقة إلى حد
بعيد، إننى لا أريد أن أموت، إننى لا أريد أن أموت، إنها هوة عميقة
إلى أسفل".

"من هذا؟"

"لا أدري".

"أعتقد أنه (ستمسون). أهذا أنت يا (ستمسون)؟".

(٢) الميل يساوى ١.٦٠٩ كيلو متر. (المترجم).

"إنها هوة سحيقة وبلا قرار، كم أكرهها، يا إلهي، كم أكره هذه الهوة المروعة".

"(ستمسون)!(هوليس) يتحدث. (ستمسون)، أسمعني؟".

ساد الصمت لفترة قصيرة، بينما كانوا يسقطون كل منهم بمعزل عن الآخر.

"(ستمسون)؟".

أجابه أخيراً "نعم".

"هون عليك يا (ستمسون)، كلنا نواجه الكارثة ذاتها".

"لا أرغب أن أكون هنا، أريد أن أكون في مكان آخر".

"ثمة أمل في أنهم سوف يعثرون علينا وينقذوننا".

قال (ستمسون): "يجب أن يعثروا على وينقذوني، إنني لا أصدق ما يحدث، إنني لا أصدق أيا مما يحدث".

قال شخص ما: "إنه كابوس".

رد (هوليس) قائلاً: "أصمت!".

قال صوت أحد رواد الفضاء ويدعى (أبلجيت) بنفس الموضوعية، وهو يضحك بفتور "تعال واجعلني أصمت، تعال وارغمني على الصمت".

شعر (هوليس)، للمرة الأولى، بالموقف المستحيل الذي يواجهه، انتابه غضب شديد ملأ جوانحه، إذ إنه أراد - أكثر من أي شيء آخر -

أن يساعد (أبلجيت). لقد رغب منذ سنوات عديدة أن يفعل شيئاً من أجله، ولكن في هذا الوقت، فات الأوان، إذ لم يعد (أبلجيت) إنساناً، بل مجرد صوت يتردد عبر الهاتف.

كانوا يسقطون عبر الفضاء باستمرار..

حينئذ، وكأتما اكتشفنا فجأة حقيقة الموقف المروع، أخذ اثنان من رواد الفضاء بالصراخ، ورأى (هوليس) أحدها في مشهد كابوسي، وهو يطفو قريباً للغاية منه، كان يصرخ بلا توقف.

اقترب رائد الفضاء من (هوليس) كثيراً حتى كاد يلامسه، وهو مازال يصرخ في جنون. وبدا وكأنه لن يتوقف عن الصراخ أبداً، سوف يظل يصرخ عبر مليون ميل، مادام أنه في نطاق الاتصال الراديوي، ومن ثم سوف يشوش عليهم كلهم، مما يؤدي إلى استحالة التواصل فيما بينهم.

ازداد (هوليس) اقترباً منه - وليس لديه حل آخر - وبذل جهداً مضاعفاً حتى تمكن من لمسه، ثم أمسك بإحكام برسغ قدمه وأخذ يجذبه إليه، حتى وصل إلى رأسه، تعالت صرخات رائد الفضاء وتصلب جسمه بهياج، وتشبث بجسم (هوليس)، كان يبدو مثل سباح يغرق. وملأت صرخاته الكون كله.

فكر (هوليس) في أن رائد الفضاء هذا، سوف يموت بالتأكيد بطريقة أو أخرى. إما مرتطمًا بالقمر أو بكوكب الأرض أو بالشهب، إذن لماذا لا يموت الآن؟

مد قفازه المعدنى وحطم الخوذة الزجاجية لرائد الفضاء.
وبغته توقف الصراخ تماماً.

ابتعد (هوليس) عن الجسد الذى فارق الحياة وأخذ يدور بسرعة
هابطاً فى الفضاء. كل رواد الفضاء - ومن بينهم (هوليس) كانوا يسقطون
بلا هوادة فى هاوية الكون الطويلة اللانهائية ودوامة السكون.
"(هوليس)! هل ما زلت على اتصال؟".

لم يرد عليه (هوليس) بل استشاط غضباً وتضرج وجهه احمراراً.
"هذا هو (أبلجيت) من جديد".
"حسناً يا (أبلجيت)".

"دعنا نتحدث معاً. فلا يمكننا عمل أى شىء سوى الحديث".
قاطعته الكابتن قائلاً بحدة "توقفوا عن هذا. ودعونا نفكر فى وسيلة
للتخلص من هذا الموقف المروع".

قال (أبلجيت) "كابتن! لم لا تغلق فمك؟".
"ماذا تقول؟".

"لقد سمعتنى يا كابتن. الآن ليست لك سلطة علىّ، إذ إنك على بعد
عشرة آلاف ميل، دعنا لا نخدع أنفسنا، وكما قال (ستيمسون)
إن الطريق ما زال طويلاً جداً".
"(أبلجيت)! اسمعنى جيداً".

"كلا لن أنصت إليك. إننى متمرد على أوامرك. ليس لدى ما أفقده، كانت مركبتك الفضائية سيئة، وكنت أنت قائداً فاشلاً، وأتمنى أن تتحطم عظامك عندما ترتطم بالقمر".

"إننى أمرك بالتوقف عن هذا الكلام!".

"هيا أصدر أوامرك لى مرة أخرى"، وافتر ثغر (أبلجيت) عن ابتسامة ساخرة عبر عشرة آلاف ميل. ظل الكابتن صامتاً. واستطرد (أبلجيت) قائلاً:

"(هوليس)! أين وصلنا بحديثنا؟ آه نعم، لقد تذكرت، إننى أكرهك أيضاً. وأنت تعرف شعورى هذا، منذ وقت طويل".

أطبق (هوليس) قبضتى بديه بقوة، من فرط إحساسه بالعجز وعدم قدرته على تدبير أموره.

قال (أبلجيت) "ثمة أمر أريد أن أبلغك به. ربما يسبب لك شعوراً بالسعادة، إننى الشخص الذى منعت قبواك فى شركة الصواريخ، منذ خمس سنوات مضت".

ومضى شهاب قريب. ونظر (هوليس) إلى جسمه، ووجد أن يده اليسرى قد بترت، وتدفقت منها الدماء. وفجأة لم يكن هناك هواء فى ردائه الفضائى. ولكن كان لديه فى رثتيه هواء كاف، لكى يتمكن من تحريك يده اليمنى السليمة، ويدير بها مفتاح تحكم دائرى الشكل فوق مرفقه الأيسر، ليحكم إغلاق المفصل ومن ثم يمنع تسرب الهواء،

لقد حدث كل شيء بسرعة بالغة، حتى أنه لم يجد الوقت ليصاب بالدهشة! إنه حتى لا يعتقد أن أي شيء آخر سوف يجعله يصاب بالدهشة.

عاد مستوى الهواء في رداؤه الفضائي إلى حالته الطبيعية في لمح البصر، بعد أن تم سد التسرب. وتوقف نزيف الدم بسبب تعادل الضغط، بعد أن قام (هوليس) بربط المفتاح بشكل أكثر إحكاماً، حتى أصبح مثل "قمط الشريان"^(٤).

حدث كل هذا و(هوليس) يلوذ بصمت مروع، بينما كان الآخرون يتحدثون على سجيّتهم ودون تكلف، فرائد الفضاء الذي يدعى (ليسبير)، أخذ يسهب في الحديث عن زواجه اللاتي في المريخ والزهرة والمشتري، وعن ثروته وأوقاته الرائعة، والخمور التي تناولها، ومضارباته ومقامراته، وسعادته، واستمر (ليسبير) في سرد ذكرياته، بينما كانوا جميعاً يسقطون، وكان يجد متعة في استرجاع الأحداث الماضية، وهو يهوى إيلاقى حتفه.

لقد كان الأمر بالغ الغرابة، وتلك الأصوات تتذبذب في وسط آلاف الأميال من الفضاء الخالي. ليس هناك أي شيء مرئى قط، فقط الموجات الراديوية التي تسرى وتحاول أن تثير مشاعر رواد الفضاء، باسترجاع ذكرياتهم.

(٤) ضئاد لمنع النزف من الشرايين. (المترجم).

”(هوليس) ! هل أنت غاضب؟“.

”كلا“ وبالفعل لم يكن (هوليس) غاضباً، وإنما عاد إليه تفكيره الفلسفى المجرد، وأصبح مثل كتلة صلبة متبلدة الحس، تهوى إلى الأبد فى بئر مجهولة لا قرار لها.

عاد (أبلجيت) يقول: ”(هوليس)! طوال حياتك كنت دائماً تريد اعتلاء القمة. وكنت تتساعل على الدوام، من الذى منعك من تحقيق هذا؟ إننى السبب. فقد وقفت فى طريق تقدمك، قبل أن تتم الإطاحة بى مباشرة“.

رد (هوليس) قائلاً: ”ليس لهذا الأمر أى أهمية لى“ وبالفعل لم يكن مهتماً بالأمر، بعد أن انتهى كل شىء الآن.. إذ عندما تنتهى الحياة أو تكاد، يعتقد المرء أنها كانت مثل اهتزاز غشاء براق أو لحظة خاطفة فوق شاشة يعرض عليها فيلم سينمائى، تليها الظلمة، وتتركز كل الشكوك غير المنطقية التى تتخلل الحياة وكذلك انفعالاتها وعواطفها، فى شكل ومضة فى الفضاء تدوم للحظات، وقبل أن تتمكن من الصياح.

”لقد مر بى يوم سعيد، وآخر سيئ، أو صادفت فى حياتى وجوهاً شريرة وأخرى طيبة“ يحترق الفيلم السينمائى ويتحول إلى رماد، وتظلم الشاشة.

وتذكر (هوليس) كل حياته الماضية، وتمنى شيئاً واحداً، هو أن يبقى على قيد الحياة، هل يشعر جميع الذين يحتضرون بهذا الشعور،

وكانهم لم يعيشوا قط من قبل؟ أتبدو الحياة بهذا القصر، بحيث تنتهى قبل أن تتمكن من التنفس مرة واحدة؟ أتبدو مقتضبة ومستحيلة لكل شخص، أو أنها كذلك بالنسبة إليه فقط، الآن، ولم تنبثق له إلا عدة ساعات، يمكنه فيها أن يمعن فكره ويقلب الرأى فى هذا الأمر المروع.

وعاد أحد رواد الفضاء - (ليسبير) على الأرجح - يتحدث قائلاً:
"حسناً، لقد مرت بى أوقات سعيدة. فلقد كانت لى زوجة فوق المريخ وأخرى فوق الزهرة وثالثة فوق المشتري، كلهن ثريات وكن يحسن معاملتى. كثيراً ما كنت أسرف فى الشراب وأصبح ثملاً، وذات مرة قامرت وخسرت عشرين ألف دولار".

تأمل (هوليس) الموقف، وفكر فى نفسه: "ولكنك الآن هنا يا (ليسبير). إننى لم أستمتع بحياتى مثلك. عندما كنت أعيش فوق كوكب الأرض، كنت أنظر إليك بعين الغيرة، وأحسبك على علاقاتك النسائية والأيام الممتعة التى كنت تقضيها. إن النساء يثرن فرغى، وعندما ذهبت إلى الفضاء، كنت دائماً أرغب فيهن وأحسبك لأنك على علاقة بكل هؤلاء النساء، وكم تمنيت أن أحظى بقدر السعادة التى كنت تتمتع بها فى حياتك الماجنة. ولكن، ها أنت ذا يا (ليسبير) تسقط معنا الآن، وقد انتهى كل شىء. فلم أعد أشعر بالغيرة منك على الإطلاق، إذ قضى الأمر لك وكذلك لى. والآن أصبح كل شىء إلى زوال وكأنه لم يحدث قط، مد عنقه ووجهه إلى الأمام، وصاح فى جهاز الإرسال الخاص به:

"(ليسبير)! لقد انتهى كل شيء".

سادت فترة صمت فرض نفسه.

"... وكان شيئاً لم يكن".

جاء صوت (ليسبير) متردداً ومتحيراً "من الذى يتحدث؟".

"أنا (هوليس)".

شعر (هوليس) بأنه ضيع، وأحس بمدى حماقة وعبثية الموت فى الماضى سبب له (أبلجيت) الأذى، والآن ها هو ذا - بدوره - يريد أن يؤلم شخصاً آخر.

لقد أثخنه كلاً من (أبلجيت) والقضاء، بالجراح.

"(ليسبير)! هل مازلت على الخط؟ لقد انتهى الأمر. وكان شيئاً لم يكن قط! أليس كذلك؟"

"كلا".

"عندما ينتهى الأمر. وكان شيئاً لم يكن قط. هل تظن أنك عشت فى الماضى حياة أفضل منى؟ إن الحاضر هو الذى يعول عليه. هل أنت فى حالة أفضل منى الآن؟"

"بالتأكيد أنا فى حالة أفضل".

"كيف؟".

صاح (ليسبير) "لأن لدى أفكاري ويمكنني تذكر أيامي الرائعة!"
كان يطفو في الفضاء بعيداً، وصوته ينم عن السخط والاستياء، وكان
يبدو وكأنه يمسك بذكرياته مشدودة إلى صدره بكلتا يديه.

لقد كان محقاً في هذا، إذ كان يكتنفه إحساس بأن ماء بارداً يندفع
خلال رأسه وكل جسمه، وكان (هوليس) يدرك الأمر جيداً، فتمة فروق
بين الذكريات والأحلام، إذ لم يكن لدى (هوليس) سوى أحلام بالأشياء
التي كان يود تحقيقها، أما (ليسبير) فكانت لديه ذكريات بالأشياء التي
أنجزها وحقق بها بالفعل ما يريد. وأدت هذه المعرفة إلى تمزيق
(هوليس) إرباً بطريقة بطيئة، ولكن بإصرار ودون رحمة.

صرخ (هوليس) مخاطباً (ليسبير) "ما فائدة الذكريات لك الآن؟
وكلانا سوف يلقي حتفه. إنك إذن لست أفضل مني بأي شكل".

"إنني أشعر بالسعادة، فقد تمتعت بحياتي، ولست مثلك أحس
بالندم في النهاية".

"الندم؟" ردد (هوليس) الكلمة عدة مرات، إنه لم يشعر بالندم -
بقدر ما يتذكر - في حياته، إذ لم يجرؤ أن يشعر بالندم. ولعله ظل
يدخره طوال هذه السنين، من أجل موقف مروع كالذي يمر به الآن.
"الندم" ظل يدير الكلمة في ذهنه.

وفجأة أحس بعينيّه مغرورقتين بالدموع، وسرعان ما تساقطت
على وجنتيه، ولابد أن شخصاً ما سمعه يلفظ الكلام وهو يلهث.

”هون عليك يا (هوليس).“

كان الأمر بالطبع يدعو للسخرية، فمئذ دقيقة فقط، كان يسدى النصح للآخرين، ومن بينهم (ستمسون)، الذى أحس بمدى شجاعته وظن بأنها أصيلة فيه، أما الآن، فإنه يدرك أن شجاعة (ستمسون) ما هى إلا نتيجة الصدمة وما صاحبها من تبعات، إنه يحاول فى هذه اللحظات أن يفرغ كل مشاعره التى قمعها خلال حياته، فى مدى دقائق فقط.

قال (ليسبير) وهو على بعد عشرين ألف ميل، وقد بدا صوته يزوى (هوليس) ! إننى أقدر مشاعرك. إننى لم أقصد الإساءة إليك.

تساءل (هوليس): ”ألسنا متساويين؟ أنا و(ليسبير)؟ الآن فى هذا الموقف المروع؟ إذا كان أمر ما قد انتهى، فلا رجاء يرجى منه. وسوف تموت على أى حال. ولكنه أدرك أنه يبتدع أسباباً مرضية للنفس، لكنها غير صحيحة لتفسير هذا الموقف المروع الذى يواجهونه. وكأنه يريد أن يجد الفرق بين شخص على قيد الحياة، وجثة. إذ إن هناك ومضة فى الحياة، لا توجد فى الموت، إنها مثل هالة وعنصر يكتنفه الغموض.

إن الفرق بينه وبين (ليسبير) ، مثل ذلك الفرق بين الحياة والموت. إذ عاش (ليسبير) حياته بكل ملذاتها، وقد جعلته الآن رجلاً مختلفاً.

أما (هوليس) فقد عاش كالأموات لسنوات طويلة. كلاهما يتجه إلى الموت عبر دروب منفصلة، وإذا كان ثمة احتمال بأن هناك أنواعاً متباينة

من الموت، فإن نوعيهما سيكونان مختلفين، كما اختلاف الليل عن النهار، إن نوعية الموت، - مثل نوعية الحياة - يجب أن تكون لها تنوعات غير محدودة. وإذا مات شخص ما بالفعل، فما فائدة البحث عما فى الوقت من بواعث ومبررات؟

وبعد عدة لحظات، اكتشف (هوليس) أن قدمه اليمنى قد بترت، وكاد هذا الأمر أن يجعله يضحك! وعاد الهواء للتسرب من رداءه الفضائى مرة أخرى.

انحنى بجسمه بسرعة، وشاهد الدم ينزف. فقد تسبب شهاب فى قطع اللحم وجزء من الرداء الفضائى حتى رسغ القدم. بدا له الموت فى الفضاء أمراً هزلياً حقاً، إنه يقطعك إرباً وكأنه جزء أسود خفى. أحكم وضع الصمام عند الركبة، والأمل يعصف برأسه، وأخذ يجاهد من أجل أن يظل واعياً، وبإحكام الصمام توقف نزيف الدم ومنع تسرب الهواء، انتصب جسمه وأخذ يهوى دون هوادة لأن هذا هو كل ما بقى له أن يفعله.

"(هوليس)؟"

أوماً وهو يعانى من الميل إلى النعاس، والتعب من انتظار الموت.

قال الصوت "أنا (أبلجيت) أتحدث من جديد".

"ماذا تريد؟"

“أتسع لى الوقت للتفكير، بعد أن أصغيت إليك، إن الأمر سبى لكل منا. هذه طريقة مروعة للموت، إذ إنها تفتت الجسم كله، أتسمعنى يا (هوليس)؟”
“نعم”.

“لقد كذبت عليك منذ وقت قصير، فإننى لم أقف عشرة فى طريق قبورك بالمنظمة. ولا أدرى ما الذى جعلنى أقول هذا. ربما لأننى أردت أن أسبب لك معاناة نفسية. لقد عملنا وحاربنا دائماً معاً، يبدو أننى أصبحت أندفع فى الكلام أحياناً ثم أندم بسرعة. وعندما سمعتك تقول بأنك وضع، شعرت بالخجل من نفسى. وأياً كان السبب، عليك أن تعلم أننى كنت أحقق أيضاً. إن ما قلته لك مجرد هراء. فلتذهب إلى الجحيم!”.

شعر (هوليس) بأن قلبه قد عاد ينبض من جديد، وبدأ وكأنه توقف لخمس دقائق، والآن أصبحت كل أعضائه الباقية دافئة تسرى فيها الدماء. لقد انتهى تأثير الصدمة الكبرى ومرت الصدمات التى تلتها من غضب ورعب ووحدة دون أن تحدث أثراً يذكر. وشعر وكأنه رجل انتهى لتوه من حمامه البارد الصباحى، وأصبح على أهبة الاستعداد لتناول وجبة إفطاره فى يوم جديد.

“(أبلجيت)! شكراً لك”.

“لا عليك. أيها الوغد الأحمق!”.

قال رائد الفضاء (ستون) "مرحباً".

صاح (هوليس) عبر الفضاء " (ستون) ! ماذا تريد؟ " إذ كان (ستون)
من بين كل أفراد طاقمه - صديقاً حميماً.

ووجدت نفسى فى خضم حشد من الشهب، إنها مثل كويكبات
بالغة الدقة.

"شهب"؟

أعتقد أنها الشهب (المرامدة)^(٥) التى تتجاوز كوكب المريخ وتتجه
إلى مدار كوكب الأرض، مرة كل خمس سنوات. أعتقد أننى فى وسطها
تماماً، وهى تبدو لى مثل المشاكل الهائل الذى يحتوى فى داخله كل
الألوان والأشكال والحجوم، يا إلهى، كم هى رائعة الجمال، تلك الأجرام
السماوية المكونة من الصخور والمعادن.

ساد صمت فرض نفسه.

استطرد (ستون) ضاحكاً: "إننى أنجرف معها، إنها تأخذنى فى
طريقها، فلتحل على اللعنة".

تطلع (هوليس) إلى الفضاء حوله، ليشاهد (ستون) ولكن دون
جدوى، فقط لمح سدما هائلة بألوان الماس والياقوت الأزرق والزمرد.

(٥) نسبة إلى (المرامدة) وهم جماعة من المرتزقة الإغريق، وكانوا محاربين أشداء قادهم
بطل الإلياذة (أخيل) فى حرب طروادة. (المترجم).

والمخمل الحالك السواد للفضاء، وتخيل بأن ثمة ترانيم سماوية تتخلل
نيران الكون البلورية.

كان ثمة إحساس خارق ومثير للإعجاب وصورة ذهنية خيالية
مبدعة، عندما يفكر فى (ستون) وهو ينجرف مع حشد الشهب بعيداً عن
كوكب المريخ لسنوات، ثم يقترب من مدار كوكب الأرض كل خمس سنوات،
ويظل يدخل ويخرج من مدار الكوكب لمليون قرن فى المستقبل. (ستون)
وعنقود الشهب (المرامدة)، يدورون إلى الأبد بلا نهاية، وتتغير مواقعها
وأشكالها مثل ألوان المشكال، التى كنت - فى طفولتك - توجه أنبويه
الطويل، نحو الشمس ثم تديره فيتألق بالألوان المتباينة.

جاء صوت (ستون) بالغ الضعف "(هوليس)! وداعاً، وداعاً".

صاح (هوليس) عبر ثلاثين ألف ميل من الفضاء "حظاً سعيداً".

قال (ستون) ساخراً "لا تكن مضحكاً".

واختفى وكأنما أطيقت عليه النجوم.

وقتئذ خفقت كل أصوات رواد الفضاء المقضى عليهم، الذى كان كل
منهم ينطلق فى مساره المنحنى عبر الفضاء إلى مصيره المحتوم،
البعض منهم يسقط بلا هوادة فى اتجاه كوكب المريخ والبعض الآخر
يهوى إلى أعماق أبعد فى الفضاء، أما (هوليس) بالتحديد، فكان يتطلع
إلى أسفل إلى الهوة التى لا قرار لها، إذ إنه - من بين كل رواد الفضاء -
كان يتجه وحيداً إلى كوكب الأرض.

وداعاً".

"هون عليك".

قال (أبلجيت) "(هوليس)! وداعاً".

كثرت عبارات الوداع الأخير بينهم، كانت مؤثرة وقصيرة مفعمة بالحزن والألم.

حينئذ كان الدماغ الجماعى الكبير ينحل ويتفسخ. وكانت أجزاؤه التى كانت تعمل بكفاءة وانتظام رائعين فى المركبة الفضائية، قد طالها الموت واحدة تلو الأخرى، بعد أن انفجرت المركبة الفضائية. وكما يموت الجسد عندما يتوقف الدماغ عن العمل، هكذا أيضاً روح المركبة والمدة الطويلة التى قضّاها رواد الفضاء داخلها، وكأنهم كيان واحد. وحتى تلك العلاقة الحميمة بين كل منهم والآخر قد زالت وانقضت، ولم يعد (أبلجيت) الآن، إلا ما يشبه الإصبع الضخم الذى نبت من جسد، ولم يعد أحد يزدري به أو يقاومه. لقد انفجر الدماغ وتناثرت أجزاؤه، فاقدة الوعى وغير الفعالة، بعيداً فى الفضاء.

تلاشت الأصوات وساد السكون الفضاء كله، وشعر (هوليس) بالوحدة وهو يهوى متقرداً فى بئر الظلمة، الواقع أن كل رواد الفضاء كانوا منعزلين عن بعضهم البعض، وزوت أصواتهم وأصبحت كمجرد أصدااء لكلمات ترانيم سماوية تتذبذب فى أعماق الكون المرصع بالنجوم.

سوف يرتطم الكابتن بالقمر، ويرحل (ستون) مع حشد الشهب،
وها هو ذا (ستمسون) وعلى البعد (أبلجيت) يتجه إلى كويكب (بلوتو)،
وها هو ذا (سميث) و(تيرنر) و(أندروود) وكل الآخرين. كانوا مثل
كسرات زجاجية مهشمة من مشكال محطم، تكون فيما بينها نموذجاً
عقلانياً لرواد الفضاء، المندفعين بعنف وسرعة إلى حتفهم، كل فى عالمه
الخاص به، منعزل عن الآخرين.

فكر (هوليس) فى نفسه "أما أنا؟ فما الذى أستطيع أن أفعله؟ أثمّة
شئ يمكننى فعله الآن لأعوض عن حياتى التى كانت فارغة ومريعة؟
لو استطعت أن أفعل شيئاً واحداً طيباً، لأعوض تلك التفاهة التى
صادفتنى كل سنين عمرى، والتى حتى لم أشعر بها داخلي! ولكن لا
يوجد أحد فى هذا المكان المروع سوى، وما الخير الذى بمقدورى أن
أفعله وأنا وحيد تماماً؟ لا أحد يستطيع. غداً ليلاً سوف أصطدم بالغلاف
الجوى لكوكب الأرض.

وفكر فى أنه سوف يحترق، ويتناثر رماده فوق كل القارات، ومع
هذا فإننى سأكون ذا فائدة، ولو بقدر ضئيل، إذ سوف يضاف رماذ
جسدى إلى تربة هذه القارات.

سقط بسرعة خارقة مثل رصاصة أو حصاة أو ثقل حديدى، الآن
أصبح عقلانياً طوال الوقت، لم يكن حزيناً أو سعيداً، كما لم ينتبه أى شعور
آخر، وكان كل ما يجرّوه - أثناء احتضاره - أن يفعل أمراً طيباً بعد أن
انتهى كل شئ. أمراً طيباً حتى لو كان ذلك لمتعته الشخصية.

وفكر لنفسه بأنه عندما يدخل الغلاف الجوى لكوكب الأرض،
سوف يحترق مثل شهاب.

وقال هامساً: "إننى أتساءل، هل سوف يشاهدنى أى شخص
أثناء احتراقى؟"

تطلع طفل صغير يقف على طريق زراعى فوق كوكب الأرض،
وصرخ قائلاً "انظرى يا أمى انظرى! إنه نجم يهوى!"

كان نجم أبيض يسقط متقدماً فى ظلمة أول الليل فوق ولاية "آلينوى"
الأمريكية، قالت الأم بلهفة "تمن شيئاً ما، تمن شيئاً ما".

رائد الفضاء

أخذت الحباحب^(١) الكهربائية تحوم فوق شعر الأم الأسود لتضيء لها طريقها.. ووقفت هي عند باب حجرة نومها تنظر إلى الخارج إلى وأنا أمر في القاعة الساكنة.

سألتني: "هل ساعدتني لأبقيه هنا هذه المرة؟"

قلت لها: "أعتقد ذلك". وقالت: "أرجوك، هذه المرة يجب ألا يذهب أبداً". وكانت الحباحب تسلط عليها أشعتها الضوئية المتحركة على وجهها الأبيض.

بعد أن وقفت لحظة قلت لها: "لا بأس.. لكن هذا لن يفيد.. إنه بلا جدوى".

انصرفت والحباحب تحوم وراءها في نواثرها الكهربائية مثل كوكبة نجمية شاردة.. لكي تبين لها كيف تسير في الظلام الحالك.. وسمعتها تقول بصوت خافت: "علينا أن نحاول على أية حال".

(١) نوع من الحشرات التي لها أعضاء مضيئة عضوياً. (المترجم)

تبعتنى حياحب أخرى إلى غرفتى، وعندما قطع ثقل جسمى دائرة كهربائية بعدما تمددت على السرير، انطفأت أضواء الحياحب. كان الوقت منتصف الليل، وانتظرت أنا وأمى، كل منا فى سريره وغرفته الخاصة التى يفصل بينهما الظلام الحالك. وبدأ السرير يهزنى ويغنى لى، ولمست أحد المفاتيح وعندئذ توقف الهز والغناء.. لم أكن أريد أن أنام، لم أرغب قط فى النوم.

لم تختلف تلك الليلة عن آلاف الليالى الأخرى فى زمننا.. كان لا يغمض لنا جفن فى الليل وكنا نشعر بالهواء البارد وهو يتحول إلى هواء ساخن ونشعر بالنار فى الريح أو نرى الجدران تتلألأ بلون زاه لحظياً، وعندها علمنا أن سفينة الفضاء تتطلق فوق منزلنا.. وأشجار البلوط الضخمة تتمايل من شدة الارتجاج.. وأنا أتمدد هناك وعيناي مفتوحتان وألهث وأمى قابعة فى غرفتها.. وصوتها يصلنى عن طريق أجهزة اللاسلكى التى تربط بين الغرف كلها.

هل شعرت بذلك؟

وأجبتها قائلاً: نعم يا أمى. هذا كان هو بلا شك.

كانت هذه سفينة أبى وهى تتطلق فوق بلدتنا، وهى بلدة صغيرة لا تأتى إليها السفن الفضائية أبداً.. وتمددنا مستيقظين طوال الساعتين التاليتين ونحن نفكر ونقول: "أبى الآن هبط فى (سبرينجفيلد).. والآن هو فى (تارماك).. والآن هو يوقع على الأوراق.. الآن هو فى الحوامة.. الآن هو فوق النهر.. الآن هو على الجبال.. الآن هو يهبط بحوامته

فى المطار الصغير بـ (جرينفيلاج) هنا" .. وينتهى نصف الليلة ونحن، أنا وأمى، نستمع ونصغى ونحن ممددان فوق سريرينا: "الآن هو يسير فى شارع (بيل) .. إنه يتكلم باستمرار .. لم يستقل عربة آجرة قط .. الآن هو يعبر الحديقة .. الآن يدور فى منعطف (أوكهورست) والآن"

رفعت رأسى من على الوسادة .. ومن الشارع أخذت تقترب أكثر فأكثر وقع أقدام رشيقة ونشيطة وسريعة .. والآن يستدير باتجاه منزلنا ويصعد على درجات سلم المدخل، وابتسم كلانا فى الظلام البارد، أنا وأمى، وعندما سمعنا الباب الأمامى ينفتح كالمعتاد وبعض كلمات ترحيب .. ثم ينقل الباب وتتردد أصدااء وقع أقدام متجهة إلى الطابق السفلى.

بعد ثلاث ساعات أدت المقبض النحاسى لغرفتهما بهدوء وأنا أحبس أنفاسى وأتوازن وسط الظلام الكثيف مترامى الأطراف مثل الفضاء الهائل بين الكواكب .. وفردت يدى إلى الأمام للوصول إلى حقيبة سوداء صغيرة تحت سرير والدى .. وبمجرد أن أمسكت بها، عدوت فى صمت إلى غرفتى وأنا أفكر .. فهو لن يخبرنى بشئ، كما أنه لا يريدنى أن أعرف شيئاً.

ومن الحقيبة المفتوحة تدفق زيه الرسمى الأسود كسديم أسود والنجوم تتلألأ هنا وهناك كمادة كونية تطل من بعيد .. عصرت هذه المادة الزرقاء فى يدى الدافئتين وشممت رائحة كوكب المريخ ووجدتها رائحة نفاذة .. ورائحة كوكب الزهرة، وهى رائحة اللبلاب النضرة ..

ورائحة كوكب عطارد، وهى رائحة الكبريت والنار.. وأمكننى شم رائحة القمر اللبنى والرائحة النفاذة للنجوم.

دفعت بالزى الرسمى إلى داخل جهاز طرد مركزى كنت صنعتة فى المختبر خلال الصف الدراسى العاشر ذلك العام وتركتة ليدور بسرعة هائلة، وعلى الفور ترسب مسحوق دقيق فى المعوجة^(٢). وضعت هذا المسحوق تحت المجهر.

وبينما نام والدى غير مدرك بما أفعله، وبينما كان منزلنا كله نائما، وبينما كانت كل المحمصات الآلية والحواسيب المساعدة والمنظفات الروبوتية فى سبات كهربائى، حدثت فى آثار لامعة لغبار شهاب أو نيزك، وذيل مذهب وطفل^(٣) من كوكب المشتري البعيد المتألق، كعوالم سحبتنى لبلايين الأميال فى الفضاء بتسارعات مروعة.

وفى الفجر، وفى حالة من الإنهاك الشديد والخوف من أن يكتشفنى أحد، أعدت الزى الرسمى إلى صندوقه فى غرفة النوم. ثم استسلمت للنوم فقط لكى أستيقظ على صوت نقيير لسيارة التنظيف الجاف للملابس التى توقفت بالحديقة بالأسفل.

(٢) قارورة مختبر مغلقة بانبوب خارجى يستخدم للتقطير والتصفيد والتحليل بواسطة الحرارة. (المترجم).

(٣) تربة هى مزيج من رمل وصلصال ومواد عضوية. (المترجم).

وأخذ هؤلاء صندوق الزى الرسمى الأسود معهم. واعتقدت أنه من الأصوب ألا أنتظر.. إذ سوف يعود الزى الرسمى بعد ساعة واحدة نظيفاً تماماً وخالياً من أى آثار للسفر فى الفضاء.

خلدت إلى النوم مرة أخرى.. وفى الجيب الأعلى لمنامتى، القارورة الصغيرة المحتوية على الغبار السحري، تماماً فوق قلبى النابض.

عندما هبطت إلى الطابق السفلى، كان أبى جالساً أمام مائدة الطعام وهو يقضم فى خبزه المحمص، وقال لى: "هل نمت جيداً يا (بوج)؟".
كما لو كان هنا طوال الوقت ولم يذهب لمدة ثلاثة شهور.

قلت: "نعم".. فأردف: "أتريد خبزاً محمصاً؟"

وضغط على زر فأعدت مائدة الطعام أربع قطع من الخبز المحمص البنى الذهبى.

أتذكر أبى فى فترة ما بعد الظهيرة هذه وهو يحفر باستمرار فى الحديقة، كحيوان يبحث بلا كلل عن شىء ما.. كان هناك يحرك ذراعيه الطويلتين السوداوين بسرعة وهو يزرع ويدك ويثبت التربة ويقطع ويقلم النباتات، ووجهه الأسمر منكب باستمرار على التربة وعيناه مركزتان بأسفل على ما يفعله.. لم ترتفع عيناه قط إلى السماء ولم تتحركا تجاهى ولا تجاه أمى.. رغم أننا جثونا بجواره ونحن نشعر بالتربة تنشع فى ملابس العمل التى نرتديها وتصل إلى ركبنا.. ونحن نضع أيدينا على التربة السوداء ولا ننظر أبداً إلى السماء الساطعة الفسيفسائية.

ثم نظر أبى إلى الجانبين.. إلى أمى وإلى.. وغمز لنا بعينه برقّة وواصل عمله منحنياً ووجهه إلى أسفل والسماء تحديق فى ظهره.

فى تلك الليلة جلسنا على الأرجوحة الآلية بالشرفة الأمامية التى أرجحتنا إلى أعلى وأسفل وأطلقت رائحة عطرة علينا وغنت لنا.. كان الوقت صيفاً والقمر بازغاً وشربنا أكواب الليمون وأمسكنا الأكواب الباردة بأيدينا، وقرأ أبى الصحف المجسمة المولجة داخل قبعبته الخاصة التى يضعها على رأسه والتى تغير الصفحة المجهريّة أمام العدسة المكبرة إذا أغمضت عينيك ثلاث مرات متتالية، وراح أبى يدخن السجائر وحكى لى كيف كان حاله وهو صبى فى عام ١٩٧٩، ويعد برهة قال لى كما يقول دائماً: "لماذا أنت هنا ولا تلعب لعبة "أركل العلبة" يا (دوج)؟".

لم أقل شيئاً ولكن أمى أجابت: "إنه يفعل ذلك فى الليالى التى لا تكون فيها معنا هنا".

نظر أبى وقتها إلىّ ثم - وذلك لأول مرة فى هذا اليوم - إلى السماء.. وكانت أمى تنتظر إليه دائماً وهو يحديق فى النجوم.. ولكن فى أول يوم وليلة أتى فيهما إلى المنزل لم ينظر إلى السماء كثيراً.. واعتقدت أنه يزرع مراراً وتكراراً فى الحديقة بجد واهتمام ووجهه تقريباً مدفون فى التربة.

لكن فى الليلة التالية نظر إلى السماء لفترة أطول. أمى لم تكن تخشى السماء فى النهار كثيراً، ولكن نجوم الليل هى التى كانت تريد

أن تنطفئ، وأحياناً كدت أراها وهي تبحث عن مفتاح فى ذهنها لقطع نور تلك النجوم بدون جدوى.

قبل نهاية الليلة الثالثة لعل أبى قبع هنا على الشرفة الأمامية وقتاً طويلاً جداً حتى بعد أن قمنا جميعاً بالاستعداد للنوم.. وعندئذ سمعت أمى تناديه مثلما تناديني دائماً من الشارع.. ووقتئذ سمعت أبى يثبت القفل الكهربائى فى مكانه بالباب وهو يتنهد. وفى الصباح التالى وقت الإفطار نظرت إلى أسفل ورأيت حقيبته السوداء الصغيرة بالقرب من قدمه، بينما كان يدهن خبزه المحمص بالزبد وكانت أمى قد نامت متأخرة فى تلك الليلة.

وقال لى: "حسناً.. أراك على خير يا (دوج)".. وتصافحنا.. وقلت له: "هل سوف نراك بعد ثلاثة شهور؟".. فقال: "نعم".. ثم اتجه إلى الخارج وسار فى الطريق دون أن يستقل حوامة أو سيارة صغيرة أو باصاً، فقط خرج حاملاً معه زيه الرسمى مختفياً داخل حقيبته تحت إبطه.. لم يكن يحب أن يعرف أحد أنه رجل يزهو لكونه يعمل رائد فضاء.

بعد ذلك بساعة خرجت أمى لتناول إفطارها، وهو مجرد قطعة من الخبز المحمص الجاف.

الوقت الآن منتصف الليل، من الليلة الأولى، الليلة الجيدة.. ولم يكن ينظر إلى النجوم كثيراً. وقلت: "لنذهب جميعاً إلى كرنفال التلفاز".. فقال أبى: "لا بأس".. واكتفت أمى بالابتسام لى.

انطلقنا كلنا فى حوامة إلى البلدة، وبذل أبى جهداً خارقاً لكى يبقى وجهه فى اتجاهنا نحن ولا ينظر إلى أى مكان آخر. وبينما نحن نضحك على الأشياء المسلية الجميلة، ظننت أن أبى يذهب إلى كوكب زحل ونبتون وبلوتو، لكنه لا يرسل أية هدايا إلى آباء الفتية الآخرين الذين يذهبون إلى الفضاء ليحضروا معهم بعض الخامات من كاليستو^(٤) أو كتلاً ضخمة من شهاب أسود أو رمالاً زرقاء. لكن كان على أن أحضر مجموعتى الخاصة وأتبادلها مع الأولاد الآخرين.. الصخور المريخية والرمال العطاردية التى تملأ حجرتى.. والتى لا يعلق عليها أبى أبداً.

أتذكر ذات مرة أنه أحضر شيئاً ما لأمى، زرع بعض نباتات عباد الشمس المريخية فى حديقتنا، ولكن بعد شهر من ذهابه كبرت نباتات عباد الشمس لدرجة أن أمى سارعت يوماً ما وقطعتها كلها. ويدون أن نفكر ونحن نحدق فى الشكل المجسم، سألت والدى سؤالاً كثيراً ما سألته:

“ما المشهد الذى يترأى لك فى الفضاء يا أبى؟”

حدقتنى أمى بنظرة مخيفة، لكن ذلك كان يحدث عادة متأخراً.

وقف أبى هناك حوالى نصف دقيقة كاملة محاولاً التوصل إلى إجابة ثم هز كتفيه وقال: “إنه أفضل شىء من بين كل الأشياء التى ستراها طوال حياتك”.

(٤) أحد أقمار كوكب المشترى. (المترجم).

ثم توقف وسيطر على نفسه وأردف: "أوه، إنه لا شيء على الإطلاق،
إنه شيء عادي جداً.. لا أظن أنك ستحبه" .. ونظر إلى بقلق.
"ولكنك دائماً ترجع إلينا".
"إنها مجرد عادة".

"أين سوف تذهب في رحلتك القادمة؟"
"لم أقرر بعد، إنني مازلت أفكر ملياً في الأمر".
إنه - على وجه الدوام - يفكر "ملياً" في كل الأمور، كانت هناك
ندرة في قائد السفن الفضائية في ذلك الوقت، ومن ثم كان يمكن لأبي
الاختيار بين عدد كبير من الشركات الفضائية لكي يعمل فيها.
وفي الليلة الثالثة منذ عودته إلى الوطن، كنت تستطيع أن تراه يحدق
في السماء بمتعة باحثاً عن النجوم التي يود اختيارها، لتكون هدف
رحلته القادمة.

قالت أمي: "هيا بنا، نذهب إلى منزلنا".
كان الوقت مازال مبكراً عندما وصلنا إلى المنزل، كنت أريد من
أبي أن يرتدي زيه الرسمي، ولكني لم أجري قط على إبداء رغبتى، إذ
كان ذلك يسبب التعاسة لأمي، بيد أنني لم أستطع كبح جماح رغبتى
هذه. فهمست بها إلى أبي، إلا أنه كان دائماً يرفض. على الرغم من أنني
لم أشاهده قط يرتدي زيه الرسمي، وأخيراً قال كمن غلب على أمره:
"أوه، لا بأس".

انتظرنا فى حجرة الاستقبال، بينما كان يصعد الدرج إلى الطابق العلوى، من خلال أنبوب هوائى يدفع بالإنسان إلى أعلى.

حدجتنى أمى ببصرها وأسارير وجهها تنم عن الاكتئاب، وكأنها لا تستطيع أن تصدق أن ابنها يمكن أن يفعل هذا بها. أشحت بوجهى بعيداً وقلت بصوت خافت: "إتنى أسفا".

ردت قائلة بصوت متهدج: "إنك لا تقدم يد المساعدة على الإطلاق".

لم تمر دقيقة إلا وصدرت همسات فى داخل الأنبوب الهوائى.

قال أبى بتؤدة: "هأنذا".

وحدقنا فيه وهو يرتدى زيه الرسمى.

كان أسود براقاً وبه أزرار فضية وحواف فضية حول عقبي حذاء به الأسودين ذوى الرقبة، وبدا وكأن شخصاً ما قد قطع ذراعى وساقى وبقى الزى الرسمى من سديم حالك السواد، مع بعض النجوم الصغيرة التى تتألق داخله. وكان الزى الرسمى يناسب والذى تماماً، كما يناسب القفاز الأصابع النحيلة الطويلة، كانت تفوح منه رائحة تشبه الهواء المنعش والمعدن والفضاء، وكذلك رائحة النار والزمن.

انتصب أبى واقفاً فى وسط الحجرة، وقد افتر ثغره عن ابتسامة تنم عن الارتباك والحيرة.

قالت أمى: "استدر".

وكانت عيناها شاردتين لا تبديان اهتماماً، وهى تحدجه ببصرها.
وعندما غادر الحجر، لم تتحدث عنه قط. ولم تتفوه بكلمة واحدة
عن أى شىء إلا فيما يتعلق بالجو والحالة التى أصبحت عليها إصابة
عنقى، ومدى الحاجة إلى نسيجة غسل^(هـ) لها، أو الحقيقة الدامغة بأنها
لم يغمض لها جفن فى ليال عديدة. وذات مرة قالت بأن السبب يرجع
إلى أن الإضاءة شديدة أثناء الليل.

قلت لها مؤكداً: "ليس ثمة قمر فى السماء هذا الأسبوع".

ردت قائلة: "ولكن هناك ضوء النجوم".

ذهبت إلى أحد المتاجر واشترت لها بعض السواثر للنوافذ أكثر
قنامة واخضراراً. وكنت عندما أرقد فى فراشى أثناء الليل، أسمعها
وهى تشدها إلى أسفل حتى تغطى بها النوافذ تماماً، وكان هذا يحدث
صوتاً خفيفاً كتحرك الريح لأوراق الأشجار.

وذات يوم حاولت أن أقطع أعشاب المرجة الخضراء. فقالت أُمى
وهى تقف عند الباب: "توقف، ودع الحصادة جانباً".

وهكذا كان العشب ينمو لثلاثة أشهر دون أن يقطعه أحد. وكان
أبى يتولى قطعه كلما عاد من الفضاء إلى الوطن، وكانت أُمى لا تدعنى
أيضاً أقوم بأى عمل آخر، مثل إصلاح صانعة الإفطار الكهربائية

(هـ) قماش يخصص للغسل وبخاصة غسل الوجه. (الترجم).

أو قارئ الكتب الآلى. وكانت تحرص على تأجيل كل شىء، حتى قبيل عيد الميلاد^(٦). وقتئذ كنت أرى والدى يثبت بعض الأخشاب بدق المسامير فيها ويقوم بإصلاح الأدوات المنزلية المعدنية التالفة، وكان يؤدي هذه الأعمال مبتسماً، وكانت أمى تبادله الابتسام والسعادة تملأ جوانحها. ولم تكن أمى تتحدث عن أبى طوال فترة غيابه فى رحلاته الفضائية. أما بالنسبة إلى أبى فلم يكن يجرى أى اتصال بنا عبر ملايين الأميال. وقد قال ذات مرة: "إذا اتصلت بكم، فسوف تفتابنى الرغبة فى أن أكون معكم. وهذا أمر لن يجعلنى سعيداً، لأننى بعيد عنكم".

وفى مرة أخرى قال لى أبى: "إن أمك تعاملنى، أحياناً، وكأننى غير موجود، كما لو كنت خفياً!".

لقد رأيتها بالفعل تتصرف على هذا النحو، فقد كانت تنظر دائماً إلى ما وراءه، عبر كتفيه، وإلى ذقنه أو يديه، ولكنها لم تحقق قط فى عينيه. وإذا حدث والتقت عيونهما، فإن عينيهما تترقرق فيهما غشاوة رقيقة، كالتى توجد عند الحيوان الذى يوشك على النوم.

وكانت تجيب مبتسمة عن بعض أسئلته بالإيجاب، فى الأوقات المناسبة، ولكن دائماً متأخرة نصف ثانية عما هو متوقع.

قال أبى مؤكداً: "إننى غير موجود بالنسبة إليها!".

(٦) اليوم الذى يحتفل فيه المسيحيون بعيد ميلاد السيد المسيح فى ٢٥ ديسمبر. (المترجم).

ولكن فى أيام أخرى يشعران بأنهما موجودان بالنسبة إلى بعضهما البعض، ومن ثم يمسك كل منهما بيدى الآخر ويسيران حول المبانى القريبة أو يذهبان فى نزهة، وكان شعر أمى الطويل يتطاير فى الهواء، كما لو كانت فتاة شابة. وكانت تحرص على إيقاف تشغيل كل الأجهزة الآلية فى المطبخ، وتخبر له بيديها كعكاً وفطائر رائعة، وهى تحدجه عميقاً ببصرها، وكان يفتّر ثغرها عن ابتسامة، ابتسامة حقيقية من القلب.

وعندما تنقضى تلك الأيام، ويحين موعد السفر فى الفضاء، كانت دائماً تبكى. وحينئذ يقف أبى حائراً، يرسل بصره فى كل أنحاء الحجرة، كأنه يحاول أن يجد إجابات عن أسئلتها المتلاحقة، ولكنه لم يتوصل إليها قط.

استدار أبى بتؤدة، مرتدياً زيه الرسمى، حتى يتمكن من رؤيته.

قالت أمى: "استدر مرة أخرى".

فى صباح اليوم التالى، اندفع أبى إلى المنزل ومعه حقنة من التذاكر. تذاكر وردية للصاروخ المتجه إلى كاليفورنيا، وتذاكر زرقاء لصاروخ المكسيك.

صاح قائلاً: "هيا بنا، سوف نشترى الثياب التى يمكن التخلص منها بعد استعمال واحد، ونقوم بحرقها عندما تلوّث. اسمعونى جيداً، سوف نستقل صاروخ الظهيرة إلى (لوس أنجلوس)، وحوامة الساعة الثانية

إلى (سانت باربارا) وطائرة الساعة التاسعة إلى (إنسنادا)^(٧)،
حيث ننام طوال الليل^(٨).

ونذهبنا بالفعل إلى كاليفورنيا وإلى أعلى وأسفل الشاطئ
الباسفيكي لمدة يوم كامل ونصف اليوم، ثم توقفنا أخيراً فوق رمال
(ماليبو)^(٩) لكي نطهو المقانق في الليل. وكان أبي دائماً يصغى أو يغنى
أو يراقب الأشياء التي تحيط به من كل جانب، ويظل مشدوداً إليها
ويتابعها بشغف، وكأن العالم جهاز طرد مركزي^(١٠) يعمل بسرعة فائقة،
وقد يقذف به بعيداً عنا في أية لحظة.

وفي يوم آخر بعد ظهيرة لنا في (ماليبو)، كانت أمي في حجرتها
بأحد الطوابق العلوية بالفندق. أما أبي فقد استلقى لمدة طويلة على
الرمال بجانبى تحت الشمس الحارة. قال وهو يتنهد: "آه. يا لها من
متعة وكانت عيناه مغمضتين بهدوء. كان يرقد على ظهره مستمتعاً
بأشعة الشمس التي تتخلل كل خلايا جسمه "إننا نفتقد هذه المتعة
هناك". وبالطبع كان يقصد "في السفينة الفضائية".

بيد أنه لم يقل قط "السفينة الفضائية" أو يذكرها مع كل الأشياء
التي لا يمكن وجودها على متن السفينة الفضائية. إذ ليس ثمة ربح

(٧) مدينة ساحلية بالمكسيك تشتهر بجمالها وسلسلة الجبال التي تقع خلفها. (المترجم).

(٨) مدينة ساحلية بجنوب كاليفورنيا. (المترجم).

(٩) جهاز الغرض منه فصل السوائل إلى أجزائها الرئيسية، وذلك لاستخدام كل جزء
على حدة أو دراسته وتحليله. (المترجم).

مشبعة بالملح، مثل تلك التي تهب من البحار والمحيطات أو سماء زرقاء أو شمس صفراء أو طبخ أمي. كما لا يمكنك أن تتحدث إلى ابنتك البالغ من العمر أربعة عشر عاماً وأنت على متن السفينة الفضائية.

قال أبي أخيراً: "دعنا ننصت إلى بعض أخبارك".

وأدركت ما الذي سوف نتحدث عنه، كما يحدث دائماً لمدة ثلاث ساعات كاملة وبدون توقف. قطوال فترة بعد الظهر، كنا نتجاذب أطراف الحديث تحت الشمس التي توشك على الغروب، على الدرجات الدراسية التي حصلت عليها، وإلى أي ارتفاع يمكنني أن أقفز في رياضة الوثب العالي، وما هي سرعتي في السباحة؟

وكان أبي يومي برأسه كلما تحدثت ثم يبتسم ويضربني على صدري بخفة، ليعبر لي عن رضائه. كنا نتحاور كثيراً، ولكننا لم نتحدث عن الصواريخ أو السفن الفضائية أو الفضاء. بيد أننا تحدثنا بإسهاب عن المكسيك، التي ذهبنا إليها ذات مرة بسيارة قديمة، والفراشات التي أمسكنا بها عند الظهيرة في المساحات الخضراء الدافئة بالغابات المطيرة هناك، كنا نشاهد مئات الفراشات يمتصها مبرد سيارتنا، وكانت تموت وهي ترتج بأجنحتها الزرقاء والقرمزية، كان منظرًا يوحى بالحزن والأسى، على الرغم مما فيه من لمحة جمال.

كنت أتحدث مع أبي عن مثل هذه الأمور، بدلاً من الأشياء التي كنت أرغب في الحديث عنها. وكان دائماً ينصت إلى ما أقول، وهذا كل ما كان يفعله، وكأنما كان يحاول على الدوام أن يملأ جوانحه بكل صوت

يستطيع أن يسمعه، كان يصغى إلى الريح وهدير المحيط وصوتى، بانتباه وتركيز فكرى، لا يعنى بالأجسام المادية التى أصدرت الأصوات، بل بنبرات الأصوات ذاتها، ليحتفظ بها فى نفسه. كان يغمض عينيه باستمتاع عندما ينصت، وكنت أراه وهو يستمع إلى صوت حاصدة المرجة وهو يقطع الحشائش بيديه، بدلاً من استخدام جهاز التحكم عن بعد بها، وكنت أشاهده يشم الحشائش المقطوعة، بينما كانت تتناثر على شكل رذاذ ومصدر أخضر متدفق، فيما وراء الحاصدة.

ذات يوم قال لى، حوالى الساعة الخامسة من بعد الظهر، وكنا نلتقط مناقشنا، ونتجه عبر الشاطئ عائدين قريباً من الأمواج المتكسرة: "(دوج)! أريدك أن تعدنى بشىء".

"بماذا يا أبى؟"

"ألن تصبح أبداً رائد فضاء".

توقفت عن السير.

قال بتؤدة: "إننى أعنى ما أقول، لأنك عندما تكون فى الفضاء تتمنى لو أنك كنت فوق كوكب الأرض، وعندما تكون هنا فوق كوكب الأرض، تشتاق إلى الفضاء، لا تدع هذه الرغبة تتقايك، لأنها سرعان ما تتملك منك".

قلت متحيراً: "ولكن...".

قاطعنى بقوله: "إنك لا تدري كم تأخذ هذه الرغبة بمجامع القلوب،
ففى كل مرة أكون فيها فى الفضاء، يجول فى خاطرى أننى لو عدت إلى
كوكب الأرض، فإننى سأبقى به ولن أذهب للفضاء أبداً، ولكنى أعود
دائماً إلى الفضاء، وأعتقد أننى سوف أذهب على الدوام فى رحلات إلى
الفضاء حتى نهاية عمرى".

قلت: "لقد فكرت لسنوات طويلة فى أن أكون رائد فضاء".

بيد أنه لم يسمعنى، واستطرد قائلاً: "صدقنى، لقد حاولت بقوة أن
أبقى هنا، وفى السبب الماضى عندما عدت إلى المنزل، حاولت بكل
جهدى أن أمكث معكم".

مازلت أتذكر أبى وهو فى الحديقة، يتصبب عرقاً ويعد لرحلة
الشاطئ وينصت إلينا، وكنت على ثقة بأنه يبذل كل هذا الجهد، ليقنع
نفسه بأن البحر والمدن والأرض وعائلته، هم الأشياء الوحيدة الحقيقية
ذات الأهمية فى هذه الحياة، ولكنى كنت أعلم جيداً أين سيكون فى هذه
الليلة، يقف فى شرفتنا الأمامية، يحدق ملياً فى السماء، حيث كوكبة
الجبار ونجومها التى تبدو كالجواهر المتناثرة فوق مخمل أسود.

قال: "أوعدنى، ألا تكون رائد فضاء مثلى".

ترددت لبرهة ثم قلت: "أعدك".

صافحنى بحرارة قائلاً: "إنك ولد طيب ومطيع".

فى تلك الليلة، كان العشاء شهياً، وكانت أمى تتحرك فى كل أرجاء المطبخ وفى يدها إما قنينة صغيرة بها قرفة وإما كتلة من العجين أو وعاء وإما مقلاة يصدر عنها صوت معدنى، وكان يتصدر المائدة ويزينها ديك رومى محشو يتصاعد منه البخار، وصلصة التوت البرى وحبات البازلاء وفطيرة القرع.

قال أبى مندهشاً: "ما هذا؟ ديك رومى فى منتصف شهر أغسطس؟"

قالت أمى مبتسمة "إنك لن تكون هنا فى عيد الشكر".

"بالفعل لن أكون هنا".

أخذ يشم الديك الرومى الشهى، ويرفع غطاء كل سلطانية ويدع البخار ذا النكهة يتخلل وجهه الذى لوحته الشمس، وكان يصدر صوتاً يعبر عن الرضا فى كل مرة. أخذ ينظر إلى غرفة الطعام ثم راح يحدق فى يديه، ويمعن النظر فى الصور المعلقة على الجدار والمقاعد والمائدة ثم يحول نظره إلى وإلى أمى، تتحنن بصوت مسموع، وشعرت بأنه قد اتخذ قراراً ما على نحو حاسم. قال: "(ليلى)؟".

قالت أمى: "ماذا تريد؟" ونظرت إليه عبر مائدة الطعام، حيث أعدت فوقها ما يشبه المصيدة الفضية الرائعة، عبارة عن وعاء كبير يمتلئ بصلصة مرق اللحم الشهية ذات النكهة المميزة، التى تبدو وكأنها وحش من عصر موغل فى القدم، يبذل جهداً عضلياً لكى يخرج من لجة بركة من القطران. كانت تريد لزوجها أن يقع فى الشرك - الذى توفره مثل

هذه الاكلات الشهية - وأن يبقى معها دائماً، وهو يتطلع إليها من خلال عظام الطيور التي تخلفت بعد أن التهم لحومها عن آخرها، وتآلفت عيناها بوميض أخاذ.

قال أبى من جديد: "(ليلي)".

فكرت باهتمام. وقلت فى نفسى: "هيا قلها بسرعة: قل لها بأنك سوف تبقى فى البيت هذه المرة، ولن تعود إلى الفضاء أبداً، هيا قلها!".

وقتنز ارتجت نافذة الحجرة لصوت حوامة مارة فوق بيتنا. واهتز اللوح الزجاجى للنافذة بصوت بلورى مميز. وحدق أبى فى النافذة مباشرة وبسرعة.

وتآلفت فى السماء، نجوم المساء الزرقاء، وارتفع من جهة الشرق المريخ الكوكب الأحمر.

حدق أبى ملياً إلى كوكب المريخ لمدة دقيقة كاملة. ثم مد يده - دون تفكير - نحوى وقال: "هل لى فى قليل من البازل؟"

قالت أمى وهى تغادر مقعدها: "أرجو المعذرة. سأنذهب لأحضر بعض الخبز".

واندفعت من غرفة الطعام إلى داخل المطبخ.

قلت مندهشاً: "ولكن هناك خبز فوق المائدة!".

ولم يوجه أبى نظره إلى، عندما بدأ يتناول وجبة طعامه.

لم يغمض لى جفن فى تلك الليلة، وهبطت الدرج إلى الطابق السفلى
فى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، وكان ضوء القمر - كالنّج -
يغطى كل أسطح المنازل،
وكان الندى يتألق بامتداد واسع - وكأنه بسطة من الجليد -
فوق الحشائش.

وقفت فى مدخل المنزل مرتدياً منامتى، شاعراً بريح الليل الدافئة،
وعندئذ أدركت أن أبى كان يجلس فى الشرفة فوق الأرجوحة الآلية،
يتأرجح بها فى هدوء، كنت أستطيع رؤية شكل جانبي لجسمه، يتمايل
إلى الأمام وإلى الخلف، وكان منهمكاً فى مراقبة النجوم فى دورانها
عبر السماء.

كانت عيناه مثل بلورتين رماديتين، وصورة القمر تنعكس فى كل
منهما! ذهبت إلى الشرفة وجلست بجانبه، وأخذنا نتأرجح معاً لبعض
الوقت فوق الأرجوحة.

وأخيراً قلت له: "كم عدد الطرق التى يمكن أن يموت بها الإنسان
فى الفضاء؟"

"مليون طريقة".

"أعطني بعض الأمثلة".

"قد يصيبك شهاب، أو أن يتسرب الهواء من سفينتك الفضائية
أو تجرفك المذنبات وتأخذك فى طيات ذيولها فى رحلاتها الطويلة عبر الكون،

أو ربما يحدث ارتجاج عنيف بالسفينة أو اختناق أو انفجار أو قد تؤثر عليك قوة الطرد المركزي أو لعلك تتعرض لتسارع أكثر من المفروض، أو أقل من اللازم أو تعاني من تأثير الحرارة اللافحة أو البرد القارس أو الشمس أو القمر أو النجوم، أو الكواكب أو الكويكبات أو الإشعاع المميت...

"وهل يقومون بدفن ضحايا الفضاء هناك؟"

"إنهم لا يجدون الضحايا أبداً".

"أين يذهبون إذن؟".

"بعيداً على مسافة بليون ميل، إنهم يطلقون عليهم المقابر المسافرة. حيث يتحولون إلى شهب أو كويكبات تتطلق في أجواز من الفضاء في رحلة لا نهاية لها".

لم أعلق بكلمة واحدة.

قال بعد فترة من الصمت فرضت نفسها: "ثمة شيء آخر، بالغ الأهمية. إن الموت زؤام في الفضاء. ينقض عليك بسرعة وبلا رجعة، وفي معظم الأحيان لا تشعر بأنك على وشك الموت. بل إنك تموت وهذا كل ما في الأمر".

ثم صعد أبي إلى الدور العلوى ليخلد للنوم.

وجاء صباح اليوم التالي..

وكان أبى يقف عند مدخل المنزل، ينصت إلى عصفور الكنارى الأصفر، يغرد داخل قفصه الذهبى.

قال أخيراً: "حسناً، لقد اتخذت قرارى، فى المرة القادمة عندما أعود إلى المنزل، فإنتنى سوف أمكث فيه وإن أغادره إلى الفضاء". قلت: "أبى!".

قال: "أخبر أمك بهذا الأمر عندما تستيقظ".

"هل أنت جاد فى هذا؟"

أوماً برأسه وقال بأسى: "أراك بعد حوالى ثلاثة شهور".

وبعد قليل كان يسير على طول الطريق، وهو يحمل زيه الرسمى فى صندوق داخلى، ويصفر ويتنظر إلى الأشجار الخضراء العالية.

وأخذ يقطف ثمار "الزترلخت"^(١٠) من شجيراتهما، التى كانت تلمسه بخفة أثناء مروره بها، ثم قطف ثمارها وألقى بها إلى الأمام، بينما كان يبتعد وتحتويه الظلال ذات اللون الفاتح، التى تنتشر فى الصباح الباكر.

فى ذلك الصباح استفسرت من أمى عن بعض الأمور، بعد أن انقضت عدة ساعات على رحيل أبى، قلت لها: "قال أبى إنك أحياناً تتصرفين كما لو أنك لا تسمعيه أو تريته".

(١٠) شجيرات برية أوراقها كبيرة سريعة النمو، أزهارها بنفسجية وثمارها كروية الشكل صغيرة الحجم. (المترجم).

عندئذ شرحت لى كل الأمور بتؤدة، قالت: "عندما ذهب إلى الفضاء منذ عشر سنوات مضت، قلت لنفسي، لقد مات. أو هو فى حالة أشبه بالموت. إذن سوف أفكر فيه وكأنه قد فارق الحياة. وعندما كان يعود من الفضاء، ثلاث أو أربع مرات فى العام، لم يكن هو قط الشخص الذى اعتدت على رؤيته، بل كان مجرد ذكرى قصيرة بهيجة أو حلم. وإذا توقفت الذكرى أو الحلم فلن تحقق ضرراً كبيراً، ومن ثم فى معظم الأحيان كنت أفكر فيه كشخص ميت...".

"ولكن ماذا عن الأحيان الأخرى".

"فى الأحيان الأخرى، لم أستطع أن أساعد نفسي؛ لهذا كنت أخبز الفطائر من أجله، وأتعامل معه كما لو كان على قيد الحياة، وفيما بعد أشعر بالآلم والأسى. كلا، من الأفضل أن أفكر أنه لم يأت إلى هنا فى غضون العشر سنوات، وإننى لن أراه مرة أخرى أبداً، وساعدنى هذا فى التخفيف من الآلم والأسى اللذين أحس بهما.

"آلم يعدنا بأنه فى المرة القادمة، سوف يمكث معنا ولن يغادرنا إلى الفضاء أبداً؟"

هزت رأسها بتؤدة وقالت: "كلا، إنه ميت، إننى واثقة تماماً من هذا الأمر".

قلت مواسياً: "عندما يعود سوف يكون على قيد الحياة من جديد".

ردت أمي قائلة: "منذ عشر سنوات، جال في خاطري، عما قد يحدث إذا مات فوق كوكب الزهرة؟ إذن لن يمكنه أبداً أن يرى كوكب الزهرة مرة أخرى، وما الذي يحدث إذا مات فوق كوكب المريخ، إذن لن يستطيع أبداً أن ينظر إلى المريخ من جديد، ذلك الكوكب الأحمر الذي يتألق في السماء، سيكون الوقت قد فات، ولا أمل يرجى، أو ما الذي يحدث إذا قضى تحبه فوق كوكب المشتري، أو كوكب زحل أو كوكب نبتون؟ وفي تلك الليالي عندما تكون هذه الكواكب مرتفعة في السماء، فإنها تتفوق في إضاءتها على النجوم".

قلت: "إننى أخالفك الرأي يا أمي".

جاءت الرسالة في اليوم التالي، أعطاني إياها ساعي البريد، وقرأتها بينما كنت أقف في الشرفة الأمامية، وكانت الشمس على وشك الغروب، وأمى تقف عند باب الحديقة خلفي، وهي ترقبني وأنا أطوى الرسالة، وأضعها في جيبى.

قلت: "أمي".

ردت قائلة بسرعة: "لا تخبرنى بأى شئ"، لقد كنت أتوقع هذا الأمر!".

ولم تذرف الدموع.

حسناً، إن أبى لم يقتله كوكب المريخ ولا كوكب الزهرة ولا كوكب
المشتري ولا كوكب زحل، ولم يكن علينا أن نفكر فيها، فى كل مرة
يضىء سماء الليل، كوكب المشتري أو كوكب زحل أو كوكب المريخ.
لقد كان الأمر مختلفاً.

إذ سقطت سفينة الفضاء فى جحيم الشمس.
وكانت الشمس هائلة الحجم ومتقدة ولا فحة ويلا رحمة، وهى دائماً
فى السماء وأنت لا تستطيع أن تتفادها.

ولدة طويلة - بعد وفاة والدى - كانت أُمى تنام طوال اليوم، ولم
تكن تخرج من المنزل قط. وكنا نتناول وجبة الإفطار فى منتصف الليل
والغداء فى الثالثة بعد منتصف الليل، أما العشاء ففى الساعة السادسة
مساء حيث العتمة والبرودة. لقد ذهبنا إلى كل الاستعراضات الليلية،
وكنا نخلد إلى النوم عند شروق الشمس.

ولدة طويلة، فإن الأيام التى قد نخرج فيها لتتمشى، كانت تلك
الأيام الممطرة التى تغيب فيها الشمس.

مؤسسة الدمى المتحركة

سار الرجلان ببطء وهما يتحدثان بهدوء بامتداد الشارع، وكانت الساعة تشير إلى حوالي العاشرة مساءً. كان كلاهما فى حدود الخامسة والثلاثين من عمره، وكانا وقورين للغاية.

قال (سميث): "ولكن لماذا مبكراً هكذا؟"

أجاب (برالينج): "لأن...".

"يا للعجب! أول ليلة لك خارج المنزل منذ سنوات ثم تريد العودة إليه فى الساعة العاشرة".

"لعلها أعصابى المتعبة، على ما أعتقد".

"الذى يدهشنى هو كيف تمكنت من الاستمرار على هذا الوضع، لقد حاولت منذ عشر سنوات أن أقنعك بالخروج من المنزل، لمجرد تناول مشروب فى مكان هادئ. والآن أول ليلة لك بالخارج، وتصر على العودة مبكراً!".

قال (برالينج): "إننى لا أريد أن أجازف يا عزيزى".

"إنن ماذا فعلت، هل وضعت مسحوقاً منوماً فى قهوة زوجتك؟".

لا، لأن ذلك أمر غير أخلاقي، وعموماً سوف تعرف عما قريب ما يكفيك". استدار الرجلان في المنعطف التالي. وقال (سميث): "بصراحة يا (برالينج)، ولو أنى أكره أن أقول لك هذا، لقد صبرت طويلاً عليها. ربما لن تعترف لى بذلك، ولكن الواقع أن زواجك كان مروعاً لك. أليس كذلك؟".

لا أستطيع أن أقول هذا".

"لقد ظلت تطاردك هنا وهناك، حتى اضطررت إلى الزواج منها. حدث ذلك فى عام ١٩٧٩، عندما كنت تستعد للذهاب إلى (ريو)...".
يا لشوقى إلى (ريو) العزيزة. إننى لم أرها قط، بعد كل الخطط التى وضعتها".

"أتذكر كيف مزقت ملابسها وشعثت شعرها، وهددتك باستدعاء الشرطة إذا لم تتزوجها؟"

"إنها كانت دوماً عصبية، كما تعرف يا (سميث)".

"كان هذا أكثر من جائر. فأنت لم تحبها، وقد صارحتها بشعورك هذا. أليس كذلك؟"

"بلى، لقد واجهت هذا الأمر بحزم".

"لكن تزوجتها على أى حال".

"هل نسيت أنه كان لدى عملى التجارى الذى يجب أن أفكر فيه، وأيضاً والدى ووالدتى.. أمر كهذا كان كفيلاً بالقضاء عليهما".

والآن مرت عشر سنوات كاملة.

قال (برالينج) وعيناه الرماديتان لا تطرفان: "نعم. ولكننى أعتقد أنه ربما يحدث تغير ما فى القريب العاجل. أعتقد أن ما انتظرت طويلاً يوشك على الحدوث! انظر إلى هذا".

وأخرج من جيبه بطاقة زرقاء طويلة.

قال (سميث): "إنها تذكرة إلى (ريو) على متن الصاروخ، الذى سينطلق يوم الثلاثاء".

"نعم، سوف أنفذ الخطة أخيراً".

"ما أروع هذا! إنك تستحق هذا فعلاً. لكن أليس ممكناً أن تعترض زوجتك أو تسبب لك بعض المشاكل؟"

ابتسم (برالينج) بتوتر وقال: "إنها لن تعلم أننى ذهبت أصلاً. وسوف أعود بعد شهر. وإن يعرف أحد بما حدث، إلا أنت".

تنهد (سميث) وقال: "أتمنى لو كنت مصاحباً لك فى هذه الرحلة".

"عزيزى (سميث) المسكين.. إن زواجك لم يكن كله وروداً. أليس كذلك؟"

"ليس تماماً، لقد تزوجت امرأة ترهق نفسها أكثر من اللازم. أقصد أنه عندما تتزوج امرأة لمدة عشر سنوات، فإنك لا تتوقع منها أن تجلس بجانبك لمدة ساعتين فى اليوم تتحدث معك بود وتحبب، وكأنها تتحدث

إلى طفل صغير، وأن تتصل بك هاتفياً فى عملك اثنتى عشرة مرة يومياً. والواقع أنه يبدو لى أن حالتها ساءت فى الشهر الأخير أكثر من ذى قبل. وأصبحت أتساءل فى نفسى، عما إذا كانت محدودة الفكر!.

"ياه.. يا (سميث). إنك تعتنق دائماً أفكاراً غريبة! هذا هو منزلى. والآن أتريد معرفة سرى؟ وكيف تمكنت من مغادرة المنزل هذه الليلة؟".

"وهل سوف تخبرنى بالحقيقة؟"

قال (برالينج): "انظر جيداً هناك".

حرق الرجلان إلى أعلى خلال الهواء الذى تكتنفه الظلمة. وفى النافذة التى فوقهما بالطابق الثانى، أطل عليهما شبح. كان لرجل فى حوالى الخامسة والثلاثين - ضرب الشيب صدغيه الاثنين، وله عينان رماديتان حزينتان وشارب رقيق صغير - ينظر إلى أسفل نحوهما.

صاح (سميث): "ما هذا! إنه أنت!".

حرك (برالينج) ذراعه إلى أعلى قائلاً: "صه..! اخفض صوتك!".

ولم يلبث الرجل الذى فى النافذة، أن أوماً إيماءة ذات مغزى ثم اختفى عن الأنظار.

قال (سميث): "لابد أننى فقدت عقلى".

"تمالك أعصابك وانتظر قليلاً".

وانتظر.. انفتح باب المبنى الخارجى المؤدى إلى الشارع، وخرج منه الرجل الغريب، طويل القامة والنحيل، ذو الشارب والعينين الحزینتين، لمقابلتهما.

ابتدرهما قائلاً: "مرحباً يا (برالينج)".

قال (برالينج): "مرحباً يا (برالينج)".

لقد كانا متطابقين تماماً!

حدّق (سميث) فيهما وقال بدهشة: "هل هذا أخوك التوأم؟ إننى لم أكن أعرف...".

قال (برالينج) بهدوء: "لا.. لا.. اقترّب منه.. وضع أذنك على صدر (برالينج) الثانى".

تردد (سميث) للحظات، ثم انحنى إلى الأمام.. ووضع رأسه على أضلاع (برالينج) الثانى.

وسمع صوت: تك - تك - تك - تك - تك - تك - تك..

"كلا.. هذا غير ممكن بالمرّة!".

"بل هو ممكن يا صديقى".

"دعنى أسمع مرة أخرى".

وسمع نفس الصوت: تك - تك - تك - تك - تك - تك - تك..

ترنح (سميث) إلى الورا وأغلق وفتح جفنيه، وبدأ مرعوباً. ومد يده ولمس بها اليدين الدافئتين والوجنتين لهذه الدمية المتحركة.

“من أين حصلت عليه؟”

“أليس مصنوعاً بشكل رائع؟”

“مدهش، لكن أين وجدته؟”

“برالينج الثاني! أعط لهذا الرجل بطاقتك.”

قام (برالينج) الثاني بحركة سريعة وأخرج بطاقة بيضاء، مكتوب عليها:

مؤسسة الدمى المتحركة

استنسخ نفسك أو أصدقائك. نماذج شبيه بشرية جديدة من البلاستيك، نموذج عام ١٩٩٩، مضمون ضد كل أنواع التلف والضعف البدني. الأسعار تتراوح من ٧٦٠٠ دولار إلى ١٥٠٠٠ دولار للنماذج الفاخرة.

صاح (سميث): “لا، هذا غير ممكن. إنها إحدى ألاعيبك.”

رد (برالينج) قائلاً: “صدقني، هذه حقيقة مؤكدة.”

قال (برالينج) الثاني: “بالطبع.”

“منذ متى يحدث ذلك؟”

"لقد حصلت عليه منذ شهر، واحتفظت به فى المخزن بالطابق تحت الأرض، داخل صندوق العدد والآلات. وزوجتى لا تهبط أبداً إلى هذا المخزن. كما أنتى الوحيد الذى معه قفل ومفتاح الصندوق. وهذا المساء قلت لها إننى أرغب فى التمشى قليلاً لشراء سيجار، ثم نزلت إلى المخزن وأخرجت (برالينج) الثانى من صندوق العدد والآلات، وأرسلته ليجلس مع زوجتى، بينما خرجت أنا لمقابلتك."

"مدهش. إن رائحته تشبه رائحتك. إنه يضع نفس العطر الذى تحبه وتشتريه من أفخر المتاجر."

"ربما يبدو هذا تحذيقاً. ولكننى أظنه أخلاقياً للغاية! فقبل كل شىء، إن ما تريده زوجتى منى أساساً هو أنا، وهذه الدمية المتحركة المتكلمة والمطابقة لى - حتى أدق التفاصيل - هى أنا. لقد بقيت بالمنزل طوال المساء. وسوف أعود إلى المنزل وأظل معها طوال الشهر القادم. وفى أثناء ذلك سوف يذهب رجل محترم آخر، إلى (ريو) بعد عشر سنوات من الانتظار. وعندما أعود من (ريو)، فإن (برالينج) الثانى هذا، سوف يعود إلى صندوقه."

فكر (سميث) لمدة دقيقة أو دقيقتين، وأخيراً تساعل قائلاً: "هل سوف يتحرك فى كل مكان بالمنزل، دون معاونة لمدة شهر كامل؟"

"ولمدة ستة أشهر إذا لزم الأمر. إنه مصمم لكى يقوم بكل شىء، يأكل وينام ويتنفس، كل شىء وبشكل طبيعى مثلنا تماماً. وأنت يا (برالينج) الثانى، سوف ترعى زوجتى فى غيابى، أليس كذلك؟"

قال (برالينج) الثانى: "إن زوجتك لطيفة إلى حد كبير، وأنا بدأت أحبها".

بدأت فرائص (سميث) ترتعد وقال: "منذ متى تمارس مؤسسة الدمى المتحركة هذا العمل؟".

"لمدة عامين ولكن فى السر".

قال (سميث) بتردد: "هل يمكننى.. أقصد هل هناك احتمال..".
ثم أمسك بمرفق صديقه بحماسة وأردف قائلاً: "... هل يمكنك أن تخبرنى أين أستطيع الحصول على واحد مثله. أقصد روبوت أو دمى متحركة لنفسى؟ بالطبع سوف تعطينى العنوان، أليس كذلك؟".
"هناك هو".

أخذ (سميث) البطاقة وقلبها بين أصابعه مراراً وتكراراً.

ثم قال: "شكراً لك.. أنت لا تدرك معنى هذا بالنسبة لى مجرد راحة قصيرة، ليلة واحدة أو نحو ذلك، ولو لمرة واحدة فى الشهر. إن زوجتى تحبنى للغاية لدرجة أنها لا تطيق أن أبتعد عنها لساعة واحدة، وأنا أيضاً أحبها بشغف كما تعرف، ولكن تذكر القصيدة القديمة: "الحب يسمو إذا كان حراً يختنق إذا كان مقيداً". كل ما فى الأمر، إننى أريد أن ترخى قبضتها قليلاً".

"على الأقل أنت محظوظ لأن زوجتك تحبك، إن الكراهية هى مشكلتى، والأمر ليس سهلاً".

"أوه، إن (نيتى) زوجتى تحببى بجنون. وأسعى دائماً إلى أن أجعلها تحببى بطريقة معقولة!".

"حظاً سعيداً يا (سميث)! ولكن أرجوك أن تأتى إلى منزلى فى أى وقت، عندما أكون فى (ريو). إذ سوف يبدو الأمر غريباً، لو أنك توقفت فجأة عن الاتصال بزوجتى، وبالمناسبة عليك أن تتعامل مع (برالينج) الثانى، وكأنه أنا بلحمى ودمى!".

"أعدك بهذا! إلى اللقاء، وشكراً لك".

انطلق (سميث) سائراً فى الطريق وهو يبتسم، بينما استدار (برالينج) و(برالينج) الثانى، وسارا حتى دلفا من باب المبنى.

وعند تقاطع طرق، ركب (سميث) الباص وأطلق صغيراً خافتاً، وأخذ يقلب البطاقة بين أصابعه، ويقرأ فيها:

"يجب أن يتعهد العملاء بحفظ هذا السر، إذ بينما ينظر "الكونجرس"^(١) فى قانون مطروح عليه فى الوقت الحاضر، لتقنين استخدام الدمى المتحركة، فإن أى مواطن سوف يتهم بارتكاب جناية، لو قبض عليه وهو يمتلك إحدى هذه الدمى".

همهم (سميث) ثم واصل القراءة:

(١) مجلس أمريكا التشريعى. (المترجم).

يجب على العميل أن يكون جاهزاً لعمل قالب لجسمه، وأن يخضع لاختبار لتحديد لون العينين والشففتين والشعر والجلد... إلخ، وعلى العميل أن يتوقع الانتظار لمدة شهرين حتى يتم الانتهاء من عمل قالبه.

قال (سميث) لنفسه: "هذه ليست مدة طويلة، فبعد شهرين من الآن سوف تتاح لضلوعي الفرصة للراحة من الضغط عليها لمدة طويلة، وبعد شهرين سوف تتعافى يديّ من الإرهاق الذي ينجم عن الإمساك بالأشياء باستمرار. فقط بعد شهرين، سوف تبدأ شفتي السفلى المصابة في العودة إلى شكلها الأصلي. أنا لا أرغب أن أكون ناكراً للعميل، ثم قلب البطاقة بين أصابعه واستمر في القراءة:

"تأسست مؤسسة الدمى المتحركة منذ عامين، ولديها سجل من العملاء الممتنين. وشعارنا هو: لا توجد شروط أو قيود. عنواننا: ٤٣ (ثاوث ويزلي درايف).

انطلق الباص إلى محطته الأخيرة ونزل منه (سميث)، وأثناء صعوده على سلم منزله، خطرت عليه فكرة: "أنا و(نيتي) لدينا خمسة عشر ألف دولار، في حسابنا المصرفي المشترك. وسوف أسحب ثمانية آلاف بحجة المساهمة في مشروع تجاري، وربما تقوم مؤسسة الدمى المتحركة بسداد هذا المبلغ - وبطرق متعددة - وفائدة، ولن تعرف (نيتي) شيئاً عن هذا الأمر، وفتح الباب وفي دقيقة واحدة كان في غرفة النوم. وكانت (نيتي) الضخمة الشاحبة، تغط في نوم عميق،

"عزیزتی (نیتی)". وشعر بندم طاغ عندما رأى وجهها البرىء
فى الظلمة الخفيفة التى تحيط بالغرفة.

لو كنت يقظة لكنت خنقتنى بالقبلات وأغرقتنى بكلمات الغزل
فى أذنى!

الحقيقة أنك تجعليننى أشعر بأننى مجرم، كم كنت زوجة طيبة
محبة وحنونة.

أحياناً يستحيل على أن أعتقد أنك تزوجتینى، بدلاً من هذا المدعو
(بدُ شابمان) الذى أعجبت به ذات يوم. يبدو لى أنك أحببتنى فى الشهر
الأخير بعنف أكثر من أى وقت مضى!.

انسابت الدموع من عينيه تأثراً. وفجأة دأهه إحساس بأنه يريد
تقبيلها، والاعتراف لها بحبه، ثم يمزق بطاقة مؤسسة الدمى المتحركة
وينسى الموضوع برمته، ولكن ما إن هم بالتحرك ليفعل ذلك شعر بالهم
فى يده وأخذت ضلوعه تنن؛ توقف وفى عينيه نظرة أسى واستدار خارجاً
من غرفة النوم. سار قليلاً فى الصالة، ثم خلال الحجرات المظلمة. همهم
بكلمات غير مفهومة، فتح المكتب الكلوى^(٢) الشكل بالمكتبة وسرق دفتر
المصرف، وقال لنفسه: "فقط سوف أخذ ثمانية آلاف دولار لا أكثر، هذا
كل ما فى الأمر!" ثم توقف وأردف: "... دعنى أتحقق من الرصيد".

(٢) الذى يشبه الكلية. (المترجم).

تصفح دفتر المصرف على عجل وصاح مندهشاً: "ما هذا! هناك عشرة آلاف دولار ناقصة...!". وتصلب جسمه من فرط المفاجأة. ثم أردف: "... لا يوجد سوى خمسة آلاف دولار! ما الذى فعلته (نيتى) بهذا المبلغ الناقص؟ لعلها اشترت به المزيد من القبعات والملابس والعطور، هذا كل ما فى الأمر. أو ربما ابتاعت ذلك المنزل الصغير الذى يطل على نهر (مدرسون)، الذى كانت تتحدث عنه منذ عدة شهور، ولكن دون أن تستأذنى!".

اندفع (سميث) كالعاصفة إلى غرفة النوم وهو غاضب واثار. تُرى ما الذى كانت تقصده بإنفاق أموالهما هكذا؟ انحنى فوقها وصاح "(نيتى)! (نيتى) استيقظي".

لم تتحرك قيد شعرة، صرخ بصوت كخوار الثور: "ما الذى فعلتيه بنقودى؟".

تقلبت بعصبية، وسطح الضوء المنساب من الشارع، على خديها الجميلين.

ثمة شيء غريب فيها! وأخذ قلبه يدق بعنف، وشعر بأن لسانه يجف وجسمه يرتعد، وسرعان ما أحس بضعف شديد فى ركبتيه، ثم سقط على أرضية الغرفة. واستمر فى الصراخ بصوت متهدج: "(نيتى)! (نيتى)! ما الذى فعلته بنقودى!".

وعندئذ خطرت فكرة مروعة على ذهنه المكبود. واجتاحه موجات من الرعب والشعور بالوحدة، ثم انتابته الحمى وحالة من الهذيان.

لأنه - وبدون أن يرغب في هذا - وجد نفسه ينحني أكثر وأكثر على جسمها، حتى استقرت أذنه المحمومة بقوة على صدرها الوردى المكتنز. وصرخ: "(نيتي!)".

وسمع صوت: "(تك) - (تك) - (تك) - (تك) - (تك) - (تك) - (تك) - (تك)!"

بينما كان (سميث) يسير في الطريق الواسع ليلاً، استدار (برالينج) و(برالينج) الثانى عند باب الشقة. وقال (برالينج): "أشعر بالرضا لأنه سوف يكون سعيداً أيضاً".

قال (برالينج) الثانى وهو شارد الذهن: "أجل".

أمسك (برالينج) بمرفق (برالينج) الثانى يقوده على الدرج إلى المخزن السفلى. وقال له:

"حسناً! ها هو ذا الصندوق الخاص بك يا (برالينج) الثانى".

قال (برالينج) الثانى: "هذا بالضبط ما أريد أن أتحدث عنه معك...". وعندما وصلا إلى الأرضية الخرسانية للمخزن وسارا فوقها، أرفف قائلاً: "... لا أحب هذا المخزن، ولا صندوق العدد والآلات!".

"سوف أحاول أن أجهز لك مكاناً أكثر ملاءمة".

"صنعت الدمى المتحركة لكى تتحرك، لا أن تظل جامدة ساكنة، ترى هل يسعدك أن ترقد فى صندوق معظم الوقت؟".

”حسناً إنتى....“.

قاطعه (برالينج) الثانى قائلاً: ”إنك لن تسعد بهذا أبداً. إنتى مصمم لكى أعمل باستمرار ولا توجد وسيلة ما لإيقافى. إنتى أتمتع بالحيوية مثلك تماماً، ولى شعورى وأحاسيسى!“.

”إن الأمر لن يستغرق سوى بضعة أيام هذه المرة. إنتى سوف أذهب إلى (ريو)، وأنت لست مضطراً للبقاء فى الصندوق، بل يمكنك البقاء فى الطابق العلوى“.

أوماً (برالينج) الثانى برأسه فى ضيق وقال: ”وعندما تعود بعد قضاء وقت سعيد، أعود أراجعى إلى الصندوق، أليس كذلك؟“.

قال (برالينج): ”إنهم لم يخبرونى فى متجر الدمى المتحركة، إنتى سوف أشتري دمية تسبب لى المشاكل هكذا“.

رد (برالينج) الثانى قائلاً: ”هناك الكثير الذى يجهلونه عنا، إننا نماذج حديثة، نتمتع بالحساسية. وأنا أكره فكرة ذهابك إلى (ريو)، لكى تمرح وتضحك وتستجم تحت أشعة الشمس، بينما أقبع أنا فى هذا المكان البارد الكئيب!“.

قال (برالينج) بهدوء: ”ولكننى انتظرت هذه الرحلة طوال عمري“. وسرح بفكره إلى بعيد، وصدق بعينين نصف مغمضتين حالمتين. وأحس بأن بمقدوره أن يرى البحر والجبال والرمال الصفراء الذهبية.

وشعر بغبطة داخلية من صوت الأمواج المتدفقة والشمس الحانية على كتفيه العاريتين، أما النبيد فمذاقه أكثر من رائع،

قال (برالينج) الثانى: "أما أنا فلن أذهب أبداً إلى (ريو). هل فكرت للحظة فى هذا؟"

"كلا، إننى...".

"وثمة شىء آخر.. زوجتك!".

سأله (برالينج) بينما كان يتجه إلى الباب: "وماذا بشأنها؟".

"لقد أصبحت معجباً بها إلى حد كبير".

لعق (برالينج) شفطيه بعصبية وقال: "يسعدنى أنك بدأت تستمتع بعملك؟".

"أخشى أنك لم تفهم ما أعنيه.. أعتقد.. أننى أحبها!".

تقدم (برالينج) بخطوة أخرى ثم جمد فى مكانه، وقال بذهول: "أنت ماذا؟".

رد (برالينج) الثانى قائلاً: "ولقد كنت أفكر.. لا شك أن الجو رائع فى (ريو).. ولكننى لن أتمكن أبداً من زيارتها.. كما فكرت فى زوجتك و...". ثم أردف قائلاً: "... أعتقد أننا سنكون سعيدين للغاية".

خطا (برالينج) خطوات واسعة بقدر الإمكان إلى باب المخزن وهو يقول:

"هذا شيء رائع! ولعلك لا تمنع في أن تنتظر لحظات، أليس كذلك؟
إذ على أن أقوم بمكالمة هاتفية الآن".

سأله (برالينج) الثاني وهو مقطب الجبين: "مع من؟"
"ليس شخصاً مهماً".

"بالتأكيد سوف تتصل بمؤسسة الدمى المتحركة، لتطلب منهم
الحضور لأخذي!".

حاول أن يندفع إلى الباب وهو يقول: "لا.. لا.. لا شيء كهذا!".
أمسكت يداً قويتان - وكأتهما من معدن - بمعصميه وقال
(برالينج) الثاني:

"لا تحاول الهرب".

"أبعد يديك عني!".

"لا".

"هل طلبت منك زوجتي، أن تفعل هذا؟"

"لا".

"هل خمنت؟ هل تحدثت معك؟ هل تعرف حقيقتك؟"، وصرخ
(برالينج)، وفي تلك اللحظة أطبقت يد حديدية على فمه.. ل تمنعه
من الكلام..

ابتسم (برالينج) الثانى مبتهجا وقال: "إنك لن تعرف أبدا. أليس كذلك؟ لن تعرف أبدا!".

حاول (برالينج) أن يبدو غير مكترث وقال: "لابد أنها خمنت! وأثرت على مشاعرك!".

قال (برالينج) الثانى: "سوف أضعك الآن فى صندوق العدد والآلات، وأغلقه عليك بالقفل ثم ألقى بالمفتاح بعيداً، بحيث لا يعثر عليه أحد. وبعد ذلك اشترى تذكرة أخرى إلى (ريو) لزوجتك".

"والآن.. تمهل للحظات.. تحل بالصبر قليلاً.. لا تكن متهوراً وتندفع هكذا. دعنا نتناقش رويداً فى الأمر".

"(برالينج)! وداعاً".

تخشب جسم (برالينج) وقال: "ماذا تعنى بكلمة (وداعاً)؟".

بعد عشر دقائق، استيقظت السيدة (برالينج). ووضعت يدها على خدها. شخص ما قبلها لتوه. ارتعد جسمها ونظرت إلى أعلى. وهمست بمرح: "لكنك لم تفعل ذلك منذ سنوات!".

أجابها (برالينج) الثانى: "سوف نرى ما يمكننا عمله بهذا الشأن يا عزيزتى!".

ليس ثمة ليل معين أو صباح محدد

دخل عربة كاملة من السجائر في غضون ساعتين ثم تساءل:
"كم نبعد الآن في الفضاء؟"
"بليون^(١) ميل^(٢)".

قال (هيتشكوك) "بليون ميل عن ماذا؟".
رد عليه (كليمنز) الذي لم يكن يدخل قط "إن الأمر يعتمد على
أشياء كثيرة، ويمكنك القول بأننا على بعد بليون ميل من الوطن".
قال (هيتشكوك) "إذن قلها دون موارد".
"الوطن. كوكب الأرض. نيويورك. شيكاغو. من أي مكان أتيت منه".
قال (هيتشكوك) في حيرة: "إنني حتى لم أعد أتذكر. بل لا أصدق
أن كوكب الأرض موجود الآن. ما رأيك يا (كليمنز)؟".
قال (كليمنز) مازحاً "آجل هناك أرض. فقد حلمت بها هذا الصباح!".

(١) البليون يساوي ألف مليون. (المترجم).

(٢) الميل يساوي ١.٦ كيلو متر تقريباً. (المترجم).

"ليس ثمة صباح فى الفضاء".

"إذن تراءت لى الأرض فى المنام، خلال الليل".

رد (هيتشكوك) بتؤدة "إن الظلمة دائمة فى الفضاء، فأى ليل تقصد؟".

صاح (كليمنز) منفعلاً "صه. دعنى أكمل".

أشعل (هيتشكوك) سيجارة أخرى. ولم تكن يداه ترتعدان، ولكن يبدو أنه داخل جسمه الذى لفحته الشمس، أحدثت يداه رجّة داخلية، هزة بسيطة فى كل يد وتشنج لا إرادى قوى وخفى فى كل جسمه.

جلس الرجلان على أرضية قمرة الرصد ينظرون إلى النجوم. (كليمنز) يحدق بعينيه المتقدتين.. أما (هيتشكوك) فقد كانت عيناه شاردتين، ليس بهما من التعبير إلا الحيرة.

قال (هيتشكوك) وكأنه يتحدث إلى نفسه: "لقد استيقظت فى الساعة ٥.٥٠. وكنت أصرخ "أين أنا؟ أين أنا؟ وأجابنى شيء ما داخلى فى لا مكان تساءلت: "أين كنت من قبل؟" وجاءتنى الإجابة "فى كوكب الأرض! ما كوكب الأرض؟ ثم قلت مندهشاً "أين ولدت؟".

إننى لا أستطيع أن أقبل شيئاً ما كحقيقة أو واقع، إلا إذا استطعت رؤيته أو سماعه أو لمسه. إننى لا أتمكن من رؤية كوكب الأرض، فلماذا أعتقد بوجوده؟ من الأفضل إذن ألا أصدق هذا!.

أشار (كليمنز) بيده إلى السماء، وقال مبتسماً "ها هو ذا كوكب الأرض، تلك النقطة من الضوء التي تراها هناك".

"هذا ليس كوكب الأرض، إنها شمسنا، فأنت لا تستطيع رؤية الأرض من هنا".

"بل إننى أتمكن من رؤية الأرض داخل ذهنى، إن ذاكرتى قوية".

قال (هيتشكوك) بغتة ورنه غضب فى صوته: "إن الأمر مختلف أيها الغبى، إننى أعنى أن ترى كوكب الأرض متجسداً وحقيقياً أمامك وليس كمجرد فكرة فى رأسك! إننى كنت دائماً واقعيًا. فعندما أكون فى مدينة (بوسطن)، تعد مدينة (نيويورك) غير موجودة بالنسبة إلى، وعندما أكون فى مدينة (نيويورك) تعد مدينة (بوسطن) غير موجودة بالنسبة إلى. وعندما لا أرى إنساناً ما لمدة يوم كامل، فإننى أعتبره ميتاً. وحين أشاهده قادماً من الطريق؛ أقول فى نفسى: يا إلهى، إنها حالة بعث من الموتى! وأكاد أن أرقص فرحاً؛ من فرط سعادتى برؤيته. على الأقل، هذا ما اعتدت عليه. إننى لم أعد أرقص بل أكتفى بالمشاهدة. وعندما يذهب الرجل بعيداً عني، فإننى أعتبره قد مات من جديد".

وضحك (كليمنز) قائلاً: "إن الأمر ببساطة، أن ذهنك يعمل على نحو بدائى ساذج. إذ لا تستطيع الاحتفاظ بالذكريات واسترجاعها. فليس لديك - يا صديقى العزيز (هيتشكوك) - خيال. عليك إذن أن تتعلم كيف تحتفظ بالذكريات وتوظف الخيال".

رد (هيتشكوك) قائلاً، وعيناه متسعتان ومازالتا تحدقان في الفضاء لماذا يجب على أن أتخيل أشياء، لا أستطيع استخدامها؟ إننى رجل واقعى، فإذا لم يكن كوكب الأرض هنا لأسير فوقه، هل تريدنى أن أمشى على ذكرياتى عن كوكب الأرض؟ إن هذا الأمر يزعجنى ويكدرنى، لقد قال لى والدى ذات مرة، إن الذكريات مثل أشواك حيوانات (الشيهم)^(٢)، اللعنة على الذكريات ابتعد عنها، إنها تجعلك تعيشاً وتدمر ما تقوم به من عمل، بل إنها تدفعك أحياناً لتذرف الدموع بسبب الحزن أو الألم.

قال (كليمنز) وهو ينظر إلى نفسه بعينين شبه مغمضتين وينفث دخان سيجارته: "فى هذه اللحظات بالذات، أتخيل أننى أسير فوق كوكب الأرض".

قال (هيتشكوك) بصوت جامد أجوف: "إنك تسير فوق أشواك الشيهيم، وفى نهاية اليوم لن تستطيع تناول غذائك من قرط الألم، وسوف تتسائل عن السبب، دعنى أخبرك به، لقد أدمت قدميك حفنة من الأشواك.

اللعنة على الأرض! إن الشيء الذى لا أستطيع أن أتقبله، اضغط عليه أو اضربه بشدة أو ارقد عليه ثم ألقى به فى الشمس، إننى ميت بالنسبة إلى الأرض، وهى أيضاً ميتة بالنسبة إلى، فلا أحد فى مدينة (نيويورك) يذرف على الدموع فى هذه الليلة. دعك من (نيويورك)، ليس

(٢) من القوارض، لها أشواك منتصبة منتشرة على شعرها الخشن. (المترجم).

ثمة فصل مناخى هنا، فقد مضى الشتاء والصيف وكذلك رحل الربيع والخريف. ليس هناك ليل معين أو صباح محدد. بل مجرد الفضاء واللامتناهى. إن الحقيقة الواضحة فى الوقت الراهن، هى أنت وأنا، وهذه المركبة الفضائية. أما الشيء الوحيد الذى أنا متأكد منه ولا يقبل الشك أو الجدل، هو وجودى شخصياً، هذا كل ما فى الأمر.

تجاهل (كليمنز) كل ما قاله (هيتشكوك) وقام ببعض حركات التمثيل الإيمائى^(٤) وافتر ثغره عن ابتسامة وهو يقول: "إننى أضع عشرة سنتات فى فتحة الهاتف فى التو واللحظة. وأطلب حبيبتي فى مدينة (إيفانستون)، مرحباً، (باربارا)!"

وكانت المركبة تشق أجواز الفضاء.

رن جرس الاستدعاء لوجبة الغداء فى الساعة ١٣٠٥. هرع رواد الفضاء إلى قاعة الطعام، مرتدين أحذيتهم الخفيفة المطاطية ثم جلسوا حول المناضد فوق مقاعد مزودة بوسائد مريحة.

لم يكن (كليمنز) يشعر بالجوع.

قال (هيتشكوك) بصوت ألى بطيء وجاد: "هل أدركت ما قلته لك! أنت وحيواناتك اللعينة ذات الأشواك! دعك منها، كما أخبرتك من قبل. انظر إلى، ولاحظ أننى أبتلع طعامى بشهية." تريث لبرهة ثم استطرد

(٤) التمثيل بالحركات الجسمية دون كلمات. (المترجم).

قائلاً: "تابعنى بانتباه". ووضع قطعة كبيرة من فطيرة فى فمه وأخذ يتحسسها بلسانه. وحدق فيما تبقى من الفطيرة فى طبقه، كما لو كان يدرس مكوناتها الرئيسية، حركها بشوكتة بينما كان يتحسس مقبضها، ثم هرس حشوة الليمون بها، فتدققت فى كل أجزاء الفطيرة، بعد هذا لمس زجاجة من الحليب من أولها إلى آخرها، وكأنه يريد أن يتأكد أنها موجودة، ثم سكب منها نحو نصف لتر فى كوب وأخذ ينصت إلى ما حوله. ثم حدق فى الحليب كأنما يريد أن يجعله أكثر بياضاً! وشرب الحليب بسرعة كبيرة، إلى الحد أنه كان من الصعب عليه، تذوق طعمه.

تناول وجبة الغداء كلها فى عدة دقائق، وكان يبتلع الطعام بشراهة محمومة.

وأخذ يتلفت حوله للبحث عن المزيد، ولكنه لم يجد شيئاً يأكله، فأخذ يمعن النظر بشرود من خلال نافذة المركبة الفضائية، وقال: "حتى هذه ليست حقيقية".

سأله (كليمنز) "عم تتحدث؟".

"أتحدث عن النجوم. من استطاع أن يمسك بإحداها؟ حقاً إننى أراها. ولكن ما فائدة أن تر شيئاً ما على بعد مليون أو بليون ميل؟ إن شيئاً على هذا البعد المروع لا يكون مصدراً للإزعاج أو القلق. والأفضل ألا تلقى إليه بالاً على الإطلاق".

سأله (كليمنز) فجأة: "لماذا انضمت إلى هذه الرحلة الفضائية".

راح (هيتشكوك) يرمق بذهول كوب الحليب الفارغ، وأمسك به بإحكام ثم تراخت يده ولكن سرعان ما شدد قبضته على الكوب من جديد.

قال وهو يمر بلسانه على حافة الكوب: "لا أدري، لقد اضطررت إلى الانضمام لهذه الرحلة الفضائية، هذا كل ما فى الأمر. كيف يمكنك أن تعرف لماذا تفعل شيئاً ما فى هذه الحياة؟

"هل أحببت فكرة الرحلات عبر الفضاء ومشاهدة أماكن عديدة بعيدة؟

"لا أدري. نعم ولا!! لم يكن هدفى مشاهدة أماكن عديدة بعيدة، بل أشياء أخرى!!

لأول مرة حاول (هيتشكوك) أن يركز نظره على شىء ما، بيد أنه كان ضبابياً وبالغ البعد، حتى أن عينيه لم تستطيعا التركيز، على الرغم من أنه حاول استخدام عضلات وجهه ويديه. ثم أردف قائلاً: "... فى الأغلب، كان الانطلاق فى الفضاء هو السبب. فأنا أعشق الفضاء اللامتناهى. وأحب فكرة ألا يكون شيئاً فوقك أو تحتك، وفراغ كثير بين الاثنين، وأنا وسط هذا اللاشئ".

رد (كليمنز) وأمارات الدهشة واضحة فوق وجهه: "من الذى أوحى إليك بهذه الفكرة الغريبة عن السفر فى الفضاء.. إننى لم أسمع بها قط من قبل".

"أنا الذى توصلت إليها، أرجو إنك كنت منصتاً إلى".

وأخرج (هيتشكوك) علبة سجائره من جيبه، وأشعل واحدة منها وأخذ يسحب وينفث دخانها، مراراً وتكراراً.

عاد (كليمنز) يسأله قائلاً " (هيتشكوك)! كيف كانت طفولتك؟".

"لم أكن طفلاً قط.. وكل شخصية كنتها فى كل الأعمار، ماتت. إن أسئلتك لا معنى لها وتؤلمنى وكأنها الأشواك، إننى لا أريد أن أتذكر الماضى، كما أننى لا أخفى شيئاً، لقد كنت دائماً على ثقة بأن المرء يموت فى كل يوم ويوضع فى صندوق. وكل الصناديق مرقمة ومرتبعة، ولكن عليه ألا يعود أبداً ويرفع الغطاء، لأنه مات ألفى مرة خلال حياته. وثمة العديد من الجثث، كل منها مات بطريقة متباينة، ويرتسم على وجه كل ميت تعبير مروع. وتصبح شخصاً مختلفاً فى كل يوم، شخصاً لا يمكنك التعرف عليه أو فهمه أو تكون لديك الرغبة فى التفاهم معه".

"إنك بهذه الطريقة، تعزل نفسك عن العالم".

"لماذا تكون لى علاقة بالطفل (هيتشكوك)؟ لقد كان أحرق. ومستغلاً للظروف ويأخذ كل ما ليس له. لم يكن أبوه عطوفاً عليه، وشعر بالسعادة عندما ماتت أمه لأنها كانت مثل أبيه. أتريد منى أن أعود إلى ذلك اليوم، لكى أتأمل وجهه الذى يرتسم عليه الرضا والسرور لوفاتها! لقد كان طفلاً أحرق بالفعل".

قال (كليمنز) "إننا جميعاً حمقى، فى كل الأوقات. إلا أن حمقنا يختلف من يوم لآخر، وقد نقول لأنفسنا، إننى لست أحمق اليوم. إذ وعيت الدرس القاسى واستفدت من التجربة المؤلمة. لقد كنت أحمق بالأمس، ولكن ليس فى هذا اليوم. وفى الغد سوف ندرك أننا كنا حمقى أيضاً اليوم. والرأى عندى أن الطريقة الوحيدة، التى يمكننا بها أن نشق طريقنا فى الحياة وننمو، هى أن نتقبل الحقيقة بأننا لسنا مثاليين بل إن لنا عيوبنا، وعلينا أن نعيش وفقاً لذلك".

قال (هيتشكوك) "إننى لا أريد تذكر الأشياء المعيبة. ولا يمكننى مصافحة هذا الهيتشكوك الصغير! أليس كذلك؟ فأين هو؟ أتستطيع أن تجده من أجلى؟ لقد مات، فليذهب إلى الجحيم إذن! لا أصوغ ما أفعله فى الغد، مسترشداً بأعمال حقيرة قمت بها بالأمس".

"إنك مخطئ، وقد أسأت الفهم".

"أرجو أن تخبرنى بالصواب".

ثم جلس (هيتشكوك) وانتهى من وجبة طعامه، وأخذ يحدق عبر كوة زجاجية جانبية، وراح رواد الفضاء الآخرون يرمقونه بدهشة.

قال (هيتشكوك) متسائلاً: "هل الشهب والنيازك موجودة بالفعل؟".

رد (كليمنز) عليه بحدة قائلاً: "إنك تعلم جيداً أنها موجودة".

"فقط فى أجهزة الرصد لدينا، إنها تبدو كخطوط من الضوء فى الفضاء، كلا، إننى لا أقبل شيئاً كحقيقة أو كواقع، إذا كان لا يوجد

ولا يتجسد أمامي. أحياناً.. ثم توقف وأوماً لرواد الفضاء الذين يكملون تناول طعامهم. وأردف قائلاً: "... أحياناً لا أعتقد بوجود شخص ما أو أى شئ، غيرى. فأنا الموجود الحقيقى الوحيد!".

استوى واقفاً بغتة وقال "هل هناك طابق علوى فى مركبة الفضاء هذه؟".

"بالطبع".

"دعنى أذهب لرؤيته فى التو واللحظة".

"اهداً قليلاً ولا تنفعل".

خرج (هيتشكوك) بسرعة وهو يقول "انتظرنى هنا، سوف أعود على الفور".

كان رواد الفضاء الآخرون يقضون طعامهم برفق وتأن وتؤدة، ومرت دقيقة. ورفع رائد فضاء رأسه وقال: "منذ متى و(هيتشكوك) يعانى من هذه الحالة التى انتابته؟".

رد (كليمنز) قائلاً: "اليوم فقط".

"لقد كانت تصرفاته غريبة أيضاً، منذ عدة أيام".

"نعم، ولكنه اليوم فى أسوأ حالاته".

"هل أبلغ أحدكم الطبيب النفسانى؟"

”كنا نظن أنه سوف يتغلب على تلك الحالة، فإن كل شخص يصاب بمثل هذه الصدمة عندما ينطلق في الفضاء لأول مرة. لقد أصبت بها ذات يوم. إنها تنتج عن تفكير فلسفى جامع يؤدى إلى خوف مروع، ويتسبب منك العرق بغزارة، ثم تشك فى نسبك وسلالتك، وتفقد اعتقادك بوجود كوكب الأرض، وتحتسى الخمر حتى الثمالة، وتستيقظ من نومك وأنت تعاني من الآثار الجسدية الناتجة من إسراف المرء فى شرب الخمر، وهذا كل ما فى الأمر“.

قال شخص ما ”ولكن (هيتشكوك) لم يكن قط ثملاً! كنت أتمنى أن يسرف فى شرب الخمر“.

كيف استطاع أن يجتاز اختبارات مجلس فحص رواد الفضاء؟

”لقد اجتزنا كنا هذه الاختبارات، إنهم يحتاجون إلى رواد قضاء، والفضاء يخيف معظم الناس، ومن ثم فقد تقدم لمجلس الفحص عدد كبير من ذوى الشخصيات الحديدية“^(٥).

قال شخص ما: ”إن (هيتشكوك) ليس من ذوى الشخصيات الحديدية، بل إنه يتمتع بقدرة بدنية وذهنية جيدة“.

انتظروا خمس دقائق، ولكن (هيتشكوك) لم يعد.

(٥) تتميز بعدم ثبات العلاقات الشخصية. (المترجم).

وفى نهاية الأمر، نهض (كليمنز) وخرج من صالة الطعام وصعد على الدرج الدائرى إلى الطابق العلوى لمركبة الفضاء. وهناك وجد (هيتشكوك) يلمس الجدار برقة.

"إن الجدار موجود هنا بالفعل".

"بالطبع أنه موجود هنا".

حذق (هيتشكوك) فى وجه (كليمنز) وقال: "كنت أخشى ألا يكون موجوداً!".

تريث لبرهة ثم استطرد متسائلاً: "إننى حى أرزق منذ زمن طويل". قال (هيتشكوك) "كلا. إنك حى الآن والآن فقط فى هذه اللحظة، بينما أنت معى. أما منذ دقائق فلم تكن شيئاً".

رد (كليمنز) مؤكداً "بالنسبة إلى، أنا حى فى كل وقت".

قال (هيتشكوك) مجادلاً "هذا أمر لا أهمية له. إنك لم تكن هنا معى، وذلك هو الأمر الوحيد الذى له أهمية، أخبرنى هل أفراد الطاقم موجودون بالطابق الأسفل؟".

"نعم".

"هل يمكنك أن تثبت هذا؟"

"(هيتشكوك)! استمع إلى جيداً، من الأفضل لك أن تذهب إلى الدكتور (إدواردز). إذ أعتقد أنك فى حاجة إلى عناية طبية بسيطة".

كلا. إننى بخير. من هو هذا الطبيب على أية حال؟ هل يمكنك إثبات أنه على متن مركبة الفضاء هذه؟

"بالطبع يمكننى ذلك، وكل ما أفعله هو أن أتصل به هاتفياً، أو أن أستدعيه إلى هنا".

"إنك لم تفهمنى. إن ما كنت أقصده، هو أنك وأنت تقف هنا فى هذه اللحظات، لن تستطيع أن تثبت أنه أيضاً موجود أمامنا. أليس كذلك؟ إذا لم أستطع التحرك من مكانى، فلن أستطيع إثبات ذلك".

"أرأيت. ليس لديك دليل عقلى، إن هذا ما أريده: دليلاً عقلياً، أستطيع أن أشعر به. لا أريد دليلاً مادياً، إثباتاً عليك أن تخرج وتسحبه إلى هنا. بل أرغب فى دليل يمكنك أن تحمله معك فى عقلك، وتستطيع دائماً أن تلمسه وتشمه وتشعر به. ولكن ليس ثمة طريقة لعمل هذا. إذ لو أردت الاعتقاد فى شيء ما، فإن عليك أن تحمله معك. ولكنك بالطبع لن تستطيع أن تحمل معك كوكب الأرض أو شخصاً ما فى جيبيك!

إننى أريد وسيلة ما تمكننى من تحقيق هذا الأمر، أن أحمل معى الأشياء دائماً، ومن ثم أستطيع أن أقبلها كحقيقة أو واقع. فمن الغباء أن يكون على أن أتحمل مشقة الذهاب لأحضر شيئاً مادياً، لكى أثبت أمراً ما. إننى أكره الأشياء المادية، إذ يمكن الاستغناء عنها وتركها فتختفى عن مجال رؤيتك، ومن ثم يكون من المستحيل الاعتقاد بوجودها".

"(ميتشكوك)! إن هذه هى المبادئ التى تقوم عليها حياتنا".

إننى أريد تغييرها، ألا تعتقد أنه سوف يكون أمراً رائعاً، إذا استطعنا أن نتحقق من الأشياء بإعمال عقولنا، وأن نعرف - بما لا يدع مجالاً للشك - بأن كل الأشياء دائماً فى مكانها الصحيح؟ إننى أتوق إلى معرفة كيف يبدو موضع معين، عندما لا أكون موجوداً فيه. فأنا دائماً أريد التأكد من كل شيء."

"هذا ليس ممكناً فى كل الأحوال."

قال (هيتشكوك) بتؤدة: "أتدري أن فكرة السفر فى الفضاء راودتني لأول مرة منذ نحو خمس سنوات. حينئذ كنت قد فقدت عملى، هل تعرف أننى كنت أتمنى أن أصبح كاتباً؟ أجل، واحداً من هؤلاء الرجال الذين يتحدثون دائماً عن الكتابة، ولكنهم نادراً ما يكتبون. إنها مهنة تثير الأعصاب، ومن ثم تخلت عن هذه الوظيفة الجيدة، وتركت وظيفة التحرير، ولم أستطع أن أحصل على وظيفة أخرى، وصادفت أياماً عصيبة للغاية. ثم ماتت زوجتى، رأيت كيف تسوء الأمور على غير ما كنت تأمل وترجو، واكتشفت أننى لا أستطيع أن أثق بالأشياء المادية. واضطرت إلى ترك ابنتى فى رعاية عمته، وساءت الأمور أكثر، وذات يوم نُشرت لى قصة واسمى عليها، ولكن انتابنى الشك فى أن يكون هذا هو اسمى فعلاً."

"إننى لا أفهمك."

كان وجه (هيتشكوك) شاحباً ويتصبب عرقاً.

كل ما يمكننى قوله أننى عندما نظرت إلى القصة واسمى تحت العنوان، تأليف (جوزيف هيتشكوك)، اعتقدت أنه اسم لرجل آخر، لم يكن ثمة طريقة للتحقق من أنه اسمى، حقاً وفعلاً. وإن مؤلف القصة هو أنا، لقد كانت القصة مألوفة، وكنت أعرف أننى كتبت هذه القصة، بيد أن اسم المؤلف لم يكن يخصنى بالتحديد. لقد كان مجرد رمز ولقب، كان غريباً عني، ثم أدركت أنه حتى لو صادفنى النجاح فى الكتابة، فلن يعنى هذا شيئاً بالنسبة إلى، ذلك أننى لن أستطيع التعرف على نفسى، من خلال اسم (جوزيف هيتشكوك) الذى سوف يكون غير ذى فائدة، مثل سناج ورماد الفرن. ومن ثم لم أكتب المزيد من القصص، ولم أكن متاكداً على الإطلاق، أن القصص التى وجدتها فى أدراج مكتبى بعد عدة أيام، هى من تأليفى، على الرغم من أننى أتذكر قيامى بطباعتها!

لقد كان هناك دائماً ذلك الشعور بعدم قدرتى على الإثبات، لقد كان مثل هوة تفغر فاهها، بينى وبين الحقيقة والواقع. تلك الهوة التى تفصل ما بين فعل شئ، ما، وبين ما قد أنجز. إن ما تم إنجازه قد مات وانقضى، ومن ثم لا يعد دليلاً على حدوث أى شئ، لأنه لا يمثل نشاطاً ما، إن سلسلة الأحداث هى التى تعد ذات أهمية. وقصاصات الأوراق التى تتضمن هذه الأحداث؛ قد انقضت وأصبحت خفية. وبالتالي فإن إثبات فعل الشئ، أصبح منقضيًا، لا شئ يبقى سوى الذاكرة، وأنا لا أثق بذاكرتى، أيمكننى بالفعل إثبات أننى كتبت هذه القصص؟ كلا. وهل يمكن لأى مؤلف آخر إثبات ذلك؟ أعنى تقديم برهان مقنع، بالتأكيد كلا.

إلا إذا جلس شخص ما فى الغرفة، التى تقوم فيها بطباعة القصة، وفى هذه الحالة ربما تكون قد استوعبت أحداثها من ذاكرتك.

وما أن يتم إنجاز أى عمل، فليس ثمة دليل يثبت حدوثه. اللهم إلا ما يحتفظ به فى الذاكرة. ومن ثم، بدأت فى إيجاد الثغرات بين كل الأشياء، وساورنى الشك فى أننى قد تزوجت أو أنجبت ولداً أو أننى ألحقت بعمل ما طوال حياتى.

وأصبحت أرتاب فى أننى ولدت فى ولاية (إلينوى)، أو أن أبى كان سكيراً عربيداً وأمى قاسية وسليطة اللسان. لم أستطع أن أثبت صحة أى شىء. وحقاً قد يقول الناس، إن ذاكرتك ضعيفة، هذا كل ما فى الأمر ولكنى أعتقد أن هذا غير صحيح بالمرة.

قال (كليمنز) " (هيتشكوك) عليك أن تتخلص من هذه الأفكار الغريبة!

"لا أستطيع أن أتخلص منها.. وكل هذه الثغرات والفراغات تشغل تفكيرى ليل نهار، وهذا ما جعلنى أفكر فى السفر إلى الفضاء إلى حيث النجوم. وجال فى خاطرى، عما سوف ينتابنى من أحاسيس إذا انطلقت على متن مركبة فضائية إلى رحلة فى فراغ الكون اللامتناهى، داخل شىء ما رقيق للغاية، مثل قشرة البيض، مركبة فضاء تحتوينى جدرانها المعدنية. تنطلق بسرعة هائلة بعيداً عن الثغرات والفراغات، التى تحول دون البرهنة على حقيقة الأشياء، وعرفت وقتئذ أن سعادتى الوحيدة

تكنن فى الفضاء، عندما نصل إلى النجم (الدبران)^(٦)، سوف أوقع
عقدًا للعودة معكم فى رحلة تستغرق خمس سنوات إلى كوكب
الأرض، وهكذا أروح وأغدو - طوال حياتى - مثل كرة الريش^(٧).
هل أبلغت الطبيب النفسى بهذه الأمور؟

وكيف سيساعدنى؟ هل يقوم بسد الثغرات والفراغات من أجلى،
يملاها بالضوضاء والماء الدافئ والكلمات ولس الأيدي، وغيرها؟ كلا،
شكرًا...

توقف (هيتشكوك) للحظات ثم أردف قائلاً: "... إن حالتى تسوء،
أليس كذلك؟ إننى أعتقد ذلك، إذ عندما استيقظت هذا الصباح، جال
فى خاطرى، أن حالتى تزداد سوءاً، أم لعلها تتحسن؟ إننى لا أدرى،
فالأمر محير!

تريث قليلاً ثم نظر شذراً إلى (كليمنز) واستطرد بقوله:
"... هل أنت موجود هنا؟ هل أنت حقاً تقف أمامى؟ هيا، اثبت لى ذلك!".
ضربه (كليمنز) على ذراعه بقوة.

(٦) نجم ثنائى فى مجموعة نجوم برج الثور، تبعد عن كوكب الأرض نحو ٦٨ سنة ضوئية
وهى أحد أسطح النجوم فى الفضاء. (المترجم).

(٧) كرة صغيرة من المطاط لها تاج مخروطى من الريش تستعمل فى رياضة تنس الريشة.
(المترجم)

فأخذ (هيتشكوك) يدك مكان الضربة، وينظر إلى ذراعه،
بحرص شديد وعلى وجهه أمارات الذهول، ثم راح يدهكه، وقال "حقاً!
لقد كنت موجوداً هنا منذ جزء بسيط من الثانية. ولكنى أشك فى أنك
موجود الآن".

قال (كليمنز) بنفاد صبر "حسناً، أراك فيما بعد".

وذهب بسرعة ل يبحث عن الطبيب النفسى.

دق جرس الإنذار، وتبعه جرسان ثم ثلاثة أجراس.

ارتجت المركبة الفضائية بشدة كما لو أن يداً عملاقة قد لطمتها
بقوة. ثم كان هناك صوت امتصاص هائل كما لو أن مكنسة كهربائية
جبارة، تم تشغيلها فجأة.

سمع (كليمنز) الصرخات المروعة، وشعر بالهواء داخل المركبة
الفضائية يصبح رقيقاً خانقاً، وراح يئن حول أذنيه، ويغتنه أحس بأن
ليس ثمة هواء يتنفسه، سواء يدخل أنفه أو يصل إلى رئتيه. تقدم
(كليمنز) متعثراً بسبب إحساسه بالاختناق، ثم توقف صوت الهواء
الصافر الحاد.

سمع صوت شخص ما يصيح قائلاً: "إنه شهاب!" وصرخ شخص
آخر قائلاً: "لقد تم إصلاح الثقب الذى أحدثه وكان هذا صحيحاً.
إذ زحفت وحدة الإصلاح (التي يطلق عليها: عنكبوت الطوارئ الآلى)
على هيكل مركبة الفضاء من الخارج، ولصقت رقعة معدنية ساخنة
على الثقب، ولحمته بإحكام.

كان شخص ما يثرثر ثم بدأ يصرخ على البعد. ركض (كليمنز) عبر المعبر، خلال الهواء المنعش المتجدد الذى يزداد كثافة. وعندما استدار عند الفاصل العمودي^(٨)، شاهد الثقب الذى كان فى الجدار الصلب، بعد أن تم لحامه حديثاً. كما رأى بقايا الشهاب مبعثرة فى أنحاء الغرفة. مثل أجزاء من لعبة، وكان هناك الكابتن وأفراد الطاقم وثمة رجل يرقد على الأرضية، إنه (هيتشكوك). كان مغمض العينين، ويصيح بأعلى صوته: "لقد حاول الشهاب أن يقتلنى" ثم أخذ يردد هذه العبارة مراراً وتكراراً، ساعده لكى يقف على قدميه، عاد يقول: "إنه لن يتمكن من قتلى، إن مثل هذه الأمور لا يمكن أن تحدث. أليس كذلك؟ لقد جاء الشهاب يقتفى أثرى. لماذا فعل ذلك؟ إننى أتعجب!".

قال الكابتن "هيتشكوك"! على رسلك. إنك بخير".

كان الطبيب يضمّد جرحاً صغيراً فوق ذراع (هيتشكوك)، الذى رفع وجهه وحملق فى الحاضرين بوجه شاحب، وشاهد (كليمنز) بينهم يتطلع إليه، فقال له: "لقد حاول الشهاب قتلى!".

قال (كليمنز) "أعرف ذلك".

مرت سبع عشرة ساعة والمركبة تتطلق فى الفضاء. تخطى (كليمنز) أحد الفواصل العمودية وانتظر. كان الكابتن والطبيب النفسى موجودين هناك.

(٨) تقوم الفواصل العمودية بتقسيم المركبة الفضائية إلى أجزاء مستقلة. (المترجم).

بينما جلس (هيتشكوك) فوق الأرضية وساقاه مرفوعتان إلى صدره،
وذرعه مطويتان بإحكام حولهما.

قال الكاتب " (هيتشكوك) !".

لا رد، فقال الطبيب النفسى " (هيتشكوك) ! انصت إلى جيداً".

استدارا إلى (كليمنز) وقالا "أنت صديقه، أليس كذلك؟".

"بلى".

"أتريد أن تساعدنا؟".

"إذا استطعت".

قال الكاتب: "إنه ذلك الشهاب اللعين، ربما لو لم يصطدم بنا،

لما أصيب (هيتشكوك) بهذه الصدمة العصبية!".

قال الطبيب النفسى: "كان سيصاب بهذه الصدمة عاجلاً أو آجلاً"

ثم وجه حديثه إلى (كليمنز): "يمكنك التحدث إليه".

سار (كليمنز) بتؤدة، وانحنى بجانب (هيتشكوك)، وهز ذراعه برفق

وقال له هامساً: " (هيتشكوك)، مرحباً".

لا جواب.

قال (كليمنز) "مرحباً، إنه أنا (كليمنز) صديقك، إننى بجانبك هنا"

ولمس ذراعه بحركة مرحة ودلك عنقه المتصلب بلطف، وكذلك خلف

رأسه المتشنج.

ثم حُذِقَ في اتجاه الطبيب النفسى، الذى تنهد بصوت واهن،
وهز الكابتن كتفيه باستهجان وقال: "هل يعانى من صدمة عصبية
يا دكتور؟".

أوماً الطبيب النفسى برأسه قائلاً: "سوف نبدأ العلاج فى
غضون ساعة".

جال فى خاطر (كليمنز) أن علاج الصدمة العصبية، يتم بسماع
عدد من تسجيلات موسيقى الجاز^(٩) والتلوّيح أمام أنف المريض بزجاجة
ممتلئة بالكوروفيل الأخضر الطازج ونباتات الهندباء^(١٠) وتدايك قدميه
بالعشب، ورش عطر (شانييل) الفرنسى فى جو الغرفة، وقص شعره،
وتقليم أظافر أصابعه، وتعريفه بامرأة والصراخ فى وجهه وضربه بعنف
وياستمرار، والارتطام به، وتعريضه لصدمة كهربائية. وهكذا يتم سد
الثغرات والفراغات، ولكن أين هو إثباتك؟ إنك لا تستطيع أن تثبت له
وجود كل شىء، هكذا إلى الأبد. تماماً كما أنك لا تستطيع أن تسلى
طفلاً يبكى بتقديم لعب له مثل الخشخيشات والصفارات طوال الليل،
فى كل ليلة لمدة ثلاثين عاماً. وسوف يأتى الوقت الذى يجب أن تتوقف
فيه. وعندما يحدث هذا، يعود الطفل إلى بكائه، وربما لا يلقى إليك
بالاً على الإطلاق.

(٩) نوع من الموسيقى الشعبية الأمريكية الصاخبة. (المترجم).

(١٠) نبات ذو أزهار صفراء وأوراق متشعبة. (المترجم).

صاح (كليمنز) بأعلى صوته ويَقْمة انفعاله يسقط هو نفسه من تل:
إنه أنا، صديقك الوفى! مرحباً".

استدار (كليمنز) واندفع خارجاً من الغرفة الصامتة.

وبعد اثنتى عشرة ساعة دق جرس الإنذار من جديد، وبعد أن
انتهت جلبة الركض داخل مركبة الفضاء، شرح الكابتن الأمر: "عاد
(هيتشكوك) إلى حالته الطبيعية لمدة نحو دقيقة، وكان فى الغرفة بمفرده،
فارتدى حلة الفضاء، وفتح حاجز الضغط الهوائى، ثم خرج إلى
الفضاء وحيداً.

فتح (كليمنز) عينيه وأغمضهما بسرعة وعلى نحو متكرر، وحقق
عبر الكوة الزجاجية الضخمة لمركبة الفضاء، حيث كانت النجوم
الضبابية والظلمة اللامتناهية. وهمس قائلاً: "إنه الآن هناك".

نعم. وراءنا بمليون ميل. لن نعثر عليه أبداً. لأول مرة عرفت أنه
خارج مركبة الفضاء، عندما تداخلت موجات خوذة رأسه الراديوية،
مع إشعاعات غرفة التحكم لدينا. وسمعته وهو يتحدث إلى نفسه".

ماذا قال؟

شيئاً مثل، لم يعد لمركبة الفضاء أى وجود الآن. بل لم يكن ثمة
مركبة فضاء على الإطلاق. ليس هناك أناس فى كل الكون، ولم يكن
هناك أناس قط. ولا نباتات ولا نجوم، هذا هو ما قاله. وبعد هنيهة قال

شيئاً عن يديه وقدميه وساقيه. لا توجد يدان، لم تعد لى يدان، ولم يكن لى يدان قط. ليس لدى قدمان، ولم يكن لى قدمان قط. لا أستطيع أن أثبت هذا. ليس لى جسم، ولم يكن لى جسم قط. لا أستطيع أن أثبت هذا. ليس لى شفاه ولا وجه ولا رأس، لا شيء، إلا الفضاء. الفضاء فقط، هوة مظلمة بلا قرار.

استدار رواد الفضاء بتؤدة، ليحدقوا من خلال الكوة الزجاجية، إلى النجوم الباردة النائية.

جال فى خاطر (كليمنز) أن (هيتشكوك) الآن فى رحاب الفضاء الذى يحبه حباً جماً، الفضاء الذى ليس ثمة شيء فى قمته ولا فى قاعه، وبينهما خواء مروع.

وهكذا سقط (هيتشكوك) فى خضم فراغ لا نهائى، أثناء رحلته إلى حيث لا ليل معين أو صباح محدد.

المدينة

انتظرت المدينة مدة عشرين ألف سنة..

كانت فوق كوكب يندفع عبر أجواز الفضاء، وتنامت زهور حقولها
ثم ذبلت وتساقطت، وما زالت المدينة في انتظارها، وتدفقت أنهار الكوكب
وفاضت مياهها ثم انحسرت وتناقصت وجفت وتحولت إلى مجرد تراب،
وما زالت المدينة تنتظر، والرياح التي كانت عاتية لا تبقى ولا تذر، صارت
هادئة وساكنة كأنما أصابتها الشيوخوخة. حتى السحب التي كانت تتساب
في السماء، تمرقت عن بعضها البعض، وصارت تنجرف - كجزر منعزلة
- تتشح بالبياض، وبقيت المدينة على انتظارها.

انتظرت بنوافذها المظلمة وجدرانها المشيدة من السَّيْح^(١) الأسود
وأبراجها التي تناطح السماء وبريجاتها^(٢) الخالية من الأعلام وطرقها
المهجورة ومقابض أبوابها الموصدة التي لم تمسها يد ولا توجد عليها
قصاصة ورق ولا بصمة إصبع، انتظرت المدينة بينما كوكبها يتخذ مداراً،

(١) زجاج بركاني أسود لامع. (المترجم).

(٢) أبراج صغيرة أو بروجات بشكل أبراج على المباني. (المترجم).

حول شمس زرقاء ضاربة إلى البياض، وتتوالى الفصول فوقه من جليد إلى قيظ ثم يعود الجليد من جديد، وبعده جو معتدل يسمح بنمو حقول خضراء نضرة ومروج صيف صفراء.

وفى بعد ظهيرة أحد أيام الصيف فى منتصف العشرين ألف سنة، توقفت المدينة عن الانتظار، إذ ظهر فى السماء صاروخ يقترب، حوّم عاليًا ثم استدار وعاد من جديد، وهبط أخيراً فوق مرج مغطى بالطين الصفحى^(٢) على بعد خمسين ياردة^(١) من أحد الجدران المشيدة من الزجاج البركانى الأسود.

كانت ثمة وقع أقدام لأشخاص منتعلين أحذية ذات رقبة، فوق العشب الرقيق. وأصوات رجال من داخل الصاروخ إلى آخرين خارجه.

هل أنتم على استعداد؟

”حسنًا أيها الرجال، كونوا حذرين عند دخولكم المدينة. (جينسن) أنت و(هتشنسون) فى المقدمة، افتحا عيونكما جيدًا“.

عندئذ بدت المدينة وكأنها تتنفس من فتحات أنف سرية، داخل جدرانها السود، وراح جهاز ماص مدفون عميقًا فى جسم المدينة، يمتص برتابة عواصف من الهواء، إلى الداخل ليتخلل القنوات والمرشحات

(٢) صخر يتكون من طبقات رسوبية شبيهة بالطين. (المترجم).

(١) الياردة تساوى ٩١،٤٤ سنتيمتر. (المترجم).

ذات الأهداب ومجمعات الغبار، ومنها إلى سلاسل من الملفات والشبكات المعدنية المرتجفة، الدقيقة والرائحة. والتي راحت تتوهج بضوء فضي أخاذ، وأخذت عملية الامتصاص المروعة تحدث مراراً وتكراراً. واستمرت الرياح الدافئة تحمل الروائح من المرج إلى داخل المدينة.

روائح تنبعث من نيران، والرائحة المميزة لسقوط نيزك، والرائحة المخلفة لمعدن ساخن. سفينة فضاء قادمة من عالم آخر، تنبعث منها رائحة النحاس الأصفر والرائحة المغبرة لنيران مسحوق محترق وكبريت ووقود صاروخ.

سجلت كل هذه المعلومات على الأشرطة الممغنطة لحاسوب، وتم الدفع بها إلى شقوق صغيرة ضيقة. ثم انزلقت - من خلال تروس مسننة - إلى أجهزة أخرى.

كليك - تشاك - تشاك - تشاك.

أصدر الحاسوب صوتاً أشبه بصوت بندول الإيقاع^(٥) بينما كان يحصى العدد، خمسة، ستة، سبعة، ثمانية، تسعة، إنهم تسعة رجال! قامت طابعة بتسجيل تلك المعلومات لحظياً على شريط ممغنط، انزلق ثم اختفى.

كليكتي - كليك - تشاك - تشاك.

(٥) آلة تستخدم لتغيير الوقت من خلال صوت خفيض متكرر. (المترجم).

كانت المدينة فى انتظار الوطاء الناعم لأحذيتهم المطاطية
ذات الرقبة.

رائحة زبدة تعبق هواء المدينة، مصدرها الرجال الذين يسيرون
متصلبين وحذرين، واندفع برقة وسلاسة خلال الهواء شذى خفيف
إلى الأنف الهائل، الذى قام بتحليله ليتبين فيه استرجاع لخبرات
ماضية عن الحليب والجبن ومثلجات الحلوى والزبد والروائح المتصاعدة
لمنتجات الألبان.

كليك - كليك،

"أيها الرجال، كونوا حذرين!"

"(جونز)، أخرج مسدسك، لا تكن أحمق!"

"المدينة مهجورة ولا أثر للحياة فيها. فقيم القلق؟"

لم نتأكد من هذا الأمر بعد.

حينئذ تفتحت أذان المدينة على ضجيج الحديث المنفعل، وبعد قرون
من التنصت للرياح التى كانت تهب بخفوت ويهدوء، وسماع صوت الأوراق
وهى تنتزع من الأشجار والعشب ينمو بسلاسة بعد ذوبان الثلوج،
عندئذ، زينت الأذان نفسها بتشحيم ذاتى، وشدت أوتارها السمعية،
وأخذت تصفى إلى دقات قلوب الغزاة، وكأنها طبول جبارة تخفق
بإيقاع أو جناح بعوضة عملاقة تهتز برتابة.

أرهفت الأذان سمعها وتنشقت الأنف كميات هائلة من الروائح المتباينة.
تسربل العرق من الرجال الخائفين، وتصيب غزيراً تحت أذرعهم،
ونزاً فوق أيديهم المسكة بالمسدسات.

قام أنف المدينة بفحص دقيق لهذا الهواء الذي سحبه، وكأنه خبير
فى الخمور المعتقدة منهمك فى تحليلاته النوعية.

تشيك - تشيك - تشاك - كليك.

تعاقبت المعلومات على محاور إلى أسفل، نحو أشرطة فحص
متوازية. تعرق يحتوى على نسبة كذا من الكلوريدات^(٦) والكبريتات^(٧)
ويوريا النيتروجين^(٨) ونشادر النيتروجين^(٩) وكذلك: الكرياتين^(١٠)
والسكر وحمض لبنى، فى مكان آخر.

دقت أجراس فى مكان سرى، وظهرت مجموعات أرقام صغيرة
بشكل مفاجئ. أطلق الأنف الهواء - الذى تم تحليله - إلى الخارج،
وراحت الأذن العظيمة تنصت إلى الحديث الذى يدور:

"كابتن! أعتقد أننا يجب أن نعود إلى الصاروخ".

(٦) مركب ثنائى يحتوى على الكلور. (المترجم).

(٧) يوجد الكبريت فى كل خلايا الجسم المختلفة، وخصوصاً فى الجلد والعضلات والأظافر.

(٨) مادة توجد فى الدم ويقاس بها وظائف الكلى. (المترجم).

(٩) عنصر أساسى فى تكوين البروتينات لنمو الخلايا. (المترجم).

(١٠) يوجد فى العضلات ويستخلص من الدم عن طريق الكلى. (المترجم).

"أيها السيد (سميث)، أنا الذي أعطى الأوامر هنا".

"حسناً يا سيدى".

"أنتما يا عضوى دورية الاستطلاع، هل وجدتما شيئاً ما؟".

"لا شىء يا سيدى. يبدو أن المدينة مهجورة منذ زمن طويل".

"(سميث)! كما ترى، لا شىء يخشى منه".

"إننى لا أحب هذه المدينة، ولا أدرى ما هو السبب. ألم تشعر قط

بأنك رأيت مكاناً ما من قبل؟ حسناً. إن المدينة تبدو مألوفة للغاية.

"محض هراء. إن هذه المنظومة الكوكبية تبعد بلايين^(١١) الأميال^(١٢)

عن كوكب الأرض. ومن ثم فمن المستحيل أننا كنا هنا من قبل.

إن صاروخنا هو الوحيد الذى يمكنه قطع السنوات الضوئية^(١٣).

"سيدى! هذا ما أشعر به، على أية حال. وأعتقد أننا يجب أن نغادر

هذا الكوكب".

أصبحت خطوات الرجال مضطربة ومترددة. ولم يكن يُسمع سوى

صوت تنفس الغرباء فى الهواء الساكن.

(١١) البليون يساوى ألف مليون. (المترجم).

(١٢) الميل يساوى ١,٦ كيلو متر تقريباً. (المترجم).

(١٣) السنة الضوئية مقياس كونى عبارة عن المسافة التى يقطعها الضوء فى سنة كاملة، مع العلم بأن سرعته فى الثانية الواحدة ٣٠٠ ألف كيلو متر. (المترجم).

تناهى إلى سمع الأذن كل شىء، فسارعت بالتأهب، انزلت وتحركت بسلاسة وبسهولة الأجزاء الدوارة بها. وتآلقت سوائل وهى تندفع إلى شقوق صغيرة عبر صمامات ومراوح، وكان كل شىء، يجرى وفق نماذج رياضية، معادلات واستنتاجات، الواحدة تلو الأخرى فى تتابع مستمر، وبعد عدة دقائق، واستجابة للأوامر باتخاذ أفعال محددة، صدرت من الأذن والأنف، ومن خلال ثقب هائلة فى جدران المدينة، انبعث بخار منعش من كل جانب على الغزاة التسعة.

"(سميث) هل تشم هذا؟ إنها رائحة عشب أخضر، لم أشم قط شيئاً أطيب منها، يا إلهى، كم أتمنى أن أقف هنا وأشمها.
انتشرت رائحة اليخضور^(١٤) بين الرجال التسعة الواقفين.
يا لها من رائحة رائحة رائحة.

وتتابع خطى الأقدام، تواصل السير.
ليس هناك ما يدعو إلى القلق، أليس كذلك يا (سميث)؟ هيا بنا.
استرخت الأذن والأنف لجزء من بليون من الثانية، فقد نجحت حركتها المضادة، وبقيت العمليات على وشك تحقيق أهدافها، حينئذ انبثقت العيون الغائمة للمدينة من بين الضباب وبخار الماء المكثف الذى يحجب الرؤية.

(١٤) (الكوروفيل) المادة الخضراء فى النباتات، التى تقوم بعملية التمثيل الضوئى (المترجم).

"كابتن، انظر إلى النوافذ!"

"ماذا؟"

"نوافذ المنزل هناك! لقد شاهدتها تتحرك!"

"لم ألاحظ هذا؟"

"لقد تبدلت، وغيّرت ألوانها، من ألوان داكنة إلى فاتحة."

"إنها تبدو لي كأى نوافذ مربعة عادية."

أصبحت بعض الأشياء الضبابية الغامضة أكثر وضوحاً واتضح
تفاصيلها. وفي أودية المدينة الضيقة شديدة الانحدار، غطست قضبان
مشحمة، وغُمرت عجلات الموازنة^(١٥) فى برك من الزيت الأخضر. وانثنت
إطارات نوافذ المنازل، وأخذت النوافذ تتوهج.

عبر الطريق، سار عضوا الدورية فى المقدمة، وتبعهما - على مسافة
أمنة من الخطر - الرجال السبعة الآخرون، كان زيهم الرسمى الموحد،
باللون الأبيض، ووجوههم حمراء وردية كما لو أنهم تلقوا صفعات،
وكانت عيونهم زرقاء، مشوا منتصبى القامة، وحملوا فوق أفخاذهم
أسلحتهم المعدنية. كانوا ينتعلون أحذية ذات رقبة. كلهم رجال بعيون
وأذان وأفواه وأنوف، ارتجفت النوافذ، ورققت، ثم اتسعت على نحو
لا يمكن إدراكه بالحس، وبدت وكأنها قزحات عيون لا تحصى.

(١٥) تنظم معدل حركة أجزاء آلة. (المترجم).

"كابتن! أؤكد لك أنها النوافذ!"

"هيا نتقدم."

"إننى عائد يا سيدى."

"ماذا دهاك؟"

"سوف أعود إلى الصاروخ."

"سيد (سميث)!"

"لا أريد أن أقع فى أى شرك!"

"أتخاف من مدينة مهجورة لا حياة فيها."

ضحك الآخرون "بشكل غير مريح".

"استمروا فى الضحك!"

كان الطريق مرصوفاً بالحجارة التى تحيط بها حصوات دائرية الشكل، كل حجر بعرض ثلاث بوصات وطول ست بوصات^(١٦). وبحركة غير مدركة، جهز الطريق نفسه لتسجيل أوزان الغرباء.

وفى قبو تحت الأرض، كان ثمة ميزان هائل، أخذ مؤشره الأحمر فى تسجيل أوزان الرجال الغرباء: ١٧٨ رطلاً^(١٧)، ٢١٠، ١٥٤، ٢١٠، ١٩٨ -

(١٦) البوصة تساوى ٢,٥٤ سنتيمتر. (المترجم).

(١٧) الرطل يساوى ٤٥٣,٥٩ جرام تقريباً. (المترجم).

كل رجل تم وزنه بدقة وتسجيله ثم انحدر شريط التسجيل - الذى يلف على بكره - إلى أسفل حيث الظلام الدامس.

عندئذ كانت المدينة فى حالة يقظة تامة، وراحت فتحات سرية فى امتصاص الهواء وإخراجه، وكان محملاً برائحة التبغ من أفواه القزاة، وعطر الصابون الأخضر من أيديهم. حتى مقلاة أعينهم كانت لها رائحة لطيفة، اكتشفت المدينة كل هذه الروائح، وكونت أرقاماً لتعبر عنها ثم شكلت أرقاماً أخرى تمثل مجموعات لها.

تألفت النوافذ البللورية، شددت الأذن أوتار أجهزتها السمعية، والأغشية الرقيقة لطيلة الأذن التى تنصت بها، حتى أصبحت مشدودة أكثر وأكثر.

احتشدت كل حواس المدينة وكأنها تلج غير مرئى يتساقط.

وأخذت تحسب بدقة باللغة كمية التعرق وديقات قلوب الرجال الخافتة، تحت زيهام الرسمى الفضائى. راحت المدينة تنصت وتراقب وتجرب تجاربها وتتذوق.

كانت الطرق مثل الألسنة، وحيثما مر الرجال، كانت أعقاب أقدامهم، يتم تذوقها وفحصها عن طريق مسام فى حجارة الطريق، ثم تسجل فوق أشرطة فحص مكونة من مسحوق أزرق. هذه المجموعة الكيميائية المتكاملة، التى جمعت بطريقة باللغة الدقيقة، ألحقت بالأرقام المتنامية، انتظاراً للنتائج النهائية، بين العجلات التى تدور بسرعة حول محاور، وأشعتها الهامسة حينئذ سمعت أصوات وقع أقدام، تركض.

"(سميث)! ارجع!"

"كلا! اللعنة على كل شيء!"

"أيها الرجال، أمسكوا به!"

صوت اندفاع خطوات عديدة.

حان وقت الفحص النهائي. إذ بعد أن المدينة راقبت وتذوقت

وأحست ووزنت وتوازنت، يجب عليها أن تنجز المهمة الأخيرة.

فجأة، انفتح فخ عريض في الطريق، واختفى فيه الكابتن، دون أن

يراه أحد من رجاله، إذ إنهم كانوا مشغولين بالركض وراء (سميث).

علّق من قدميه، وبترت رقبتة شفرة، وأخرى شقت صدره، ثم

أفرغت جثته - لحظياً - من أحشائه الداخلية، وسجن جثمانه فوق منضدة،

تحت الأرض، في تجويف صغير خفي. وهكذا مات الكابتن.

حدقت عدسات مجاهر بللورية هائلة، في الجدران الحمراء للعضلات،

وراحت أصابع غير مادية تسير غور القلب الذي مازال ينبض، ثبتت فوق

منضدة التشريح شرائح مسطحة من جلده المسلوخ، بينما أخذت أياد

تبدل أجزاء من جسده، بخفة وسرعة لاعب شطرنج، مستخدماً بيادق^(١٨)

وقطع أخرى حمراء.

(١٨) إحدى قطع لعبة الشطرنج. (المترجم).

وفى الأعلى، ركض الرجال، وكذلك (سميث). تعالت صيحات
الرجال من خلفه، وصاح هو الآخر.

وفى الأسفل، فى داخل التجويف الخفى، تدفق الدم إلى أوعية
هلامية، رجته وبورته ودفعته إلى شرائح شفاة ليكون مسحات فوقها، ثم
وضعت تحت مجاهر أخرى، وتم استخلاص المزيد من الحسابات،
وقيست درجات الحرارة، وقطع القلب إلى سبعة عشر جزءاً، والكبد إلى
نصفين وكذلك الكلى، بخبرة فائقة، أفرغ الدماغ من الجمجمة ونُظف من
تجاويف العظام، وسحبت الأعصاب إلى الخارج، وبدأت كأسلاك قديمة
فى مقسم الهاتف، واقتلعت العضلات ثم مطت بقدر ما تسمح به
مرونتها. بينما فى القبو الكهربائى للمدينة، أجرى الحاسوب الهائل
حساباته النهائية.

وعندئذ توقفت كل الآلات الجبارة بشكل مفاجئ وكامل.

النتيجة النهائية..

هؤلاء رجال، إنهم رجال من عالم بعيد، من كوكب معين، حيث إن
لهم عيوناً وأذاناً مميزة، وهم يسировون على أرجل بطريقة محددة، كما
أنهم يحملون أسلحة، وبإمكانهم التفكير والقتال، ولهم قلوب ذات طبيعة
خاصة تعمل بدقة، وتتطابق كل أعضاء أجسامهم، مع ما تم تسجيله منذ
زمن طويل.

وفى الأعلى ركض الرجال على طول الطريق فى اتجاه الصاروخ.

كذلك كان (سميث) يركض.

النتيجة النهائية الأخيرة..

هؤلاء هم أعداؤنا. هؤلاء من انتظرنا لمدة عشرين ألف سنة، لكي نراهم من جديد، لننتقم منهم. كل النتائج تؤكد هذا. إنهم رجال من الكوكب المسمى "الأرض"، الذي أعلن سكانه الحرب على كوكب "تاوان" منذ عشرين ألف سنة، واستعبدونا وحطموا حضارتنا ودمرونا بالوباء المروع. ثم هربوا لكي يعيشوا في مجرة أخرى، حفاظاً على أنفسهم من هذا الوباء الرهيب الذي نشره بيننا، بعد أن نهبوا عالمنا. لقد تناسوا هذه الحرب وذلك الزمان، ونسونا نحن أيضاً. بيد أننا لم ننسهم. هؤلاء هم أعداؤنا. هذا أمر غير مشكوك فيه. لقد انقضى انتظارنا الطويل.

"(سميث)! ارجع!"

على جناح السرعة، وفوق المنضدة الحمراء حيث جسد الكابتن المفرغ الشبيه بالنسر الباسط^(١٩)، بدأت أيد جديدة تعمل بنشاط داخل الجسد الرطب المجوف، ووضعت فيه أعضاء من النحاس الأصفر والأحمر والفضة والألومنيوم والمطاط والحديد. آلات هائلة تشبه العناكب، غزلت نسيجاً ذهبياً، وقامت بتثبيته وحيالته على الجلد، وزود الجسد بقلب صناعي ينبض، وفي داخل الجمجمة وضع دماغ مناسب من البلاتين،

(١٩) شكل نسر بجناحين وساقين مبسوطتين، يتخذ شعاراً على وجه ختم الدولة في الولايات المتحدة الأمريكية، (المترجم).

يطن ويخفق بسرعة ويطلق شرراً بسيطاً من النيران الزرقاء. ثم مدت
أسلاك رفيعة للغاية عبر كل الجسد، إلى الذراعين والرجلين، ولم تمر
لحظات حتى خيط الجسد بإحكام، وسدت الشقوق بالشمع بدقة لإخفاء
آثار المبضع، عند الرقبة والحنجرة والجمجمة. لقد أصبح جسم الكابتن
سليماً بلا عيوب ونضراً وجديداً.

نهض الكابتن ثم جلس، تمطى وتثاءب وثنى ذراعيه.
"توقف!"

ظهر الكابتن من جديد في الطريق، صوب مسدسه وأطلق النار.
سقط (سميث) قتيلاً ورصاصة في قلبه.

استدار الرجال الآخرون.

وركض الكابتن في اتجاههم.

"هذا الأحمق! يخاف من مدينة!"

حدقوا في جسد (سميث) الممدد تحت أقدامهم.

وتطلعوا إلى الكابتن. وأخذت عيونهم تتسع وتضيق.

قال الكابتن "أنصتوا إلى! ثمة أمر مهم ينبغي لى أن أبلغكم به".

الآن، المدينة التى وزنت وتذوقت وشمت الغزاة، واستخدمت

كل قواها ما عدا واحدة، استعدت لاستخدام قدرتها النهائية،
القوة على التلغظ.

لم تتحدث بالغضب أو العدوانية التى توحى بهما كتل جدرانها
الهائلة أو أبراجها الشاهقة، أو جاداتها^(٢٠) ذات الحصى الدائرى الشكل،
أو حصونها التى تزخر بالآلات. لقد تحدثت المدينة بالصوت الهادئ
لرجل واحد قال: "أنا لم أعد كابتنًا لكم! كما لم أعد بشراً مثلكم".

عندئذ تراجع الرجال إلى الوراء.

استطرد مبتسمًا: "أنا المدينة".

تمهل هنيهة ثم أكمل: "لقد انتظرت مائتى قرن. انتظرت عودة
أبناء الأبناء".

"سيدي الكابتن".

"دعنى أتابع حديثى. من بنانى؟ إنها المدينة. إن السكان الذين ماتوا
هم الذين بعثوا فى الحياة. الجنس القديم الذى عاش يوماً ما هنا.

السكان الذين تركهم البشر الأرضيون يموتون بوباء مروّع أشبه ما
يكون بمرض "الجذام"^(٢١) الذى لا شفاء منه. وظل أفراد ذلك الجنس
القديم يحلمون باليوم الذى قد يعود فيه الأرضيون، وهم الذين شيدوا
هذه المدينة، وكان اسمها - ولا يزال - "الانتقام"! فوق كوكب الظلمة،
بالقرب من ساحل بحر القرون، وتطل عليها جبال الموت. كل هذا
شعري للغاية.

(٢٠) طرق رئيسية عريضة. (المترجم).

(٢١) مرض مزمن ومعد يقسم بتقرحات تؤدى إلى الشلل والتشوه. (المترجم).

أرادوا لهذه المدينة الرائعة، أن تكون بمثابة آلة متقنة ومتوازنة،
وكيان دقيق للقياس، هوائى لتفحص واختبار كل مسافر فى الفضاء
المستقبلين.

وخلال عشرين ألف سنة، لم يهبط فوق هذا الكوكب سوى سفينتى
فضاء آخرين، أولاهما من مجرة نائية تدعى "إينت"، وقد تم تفحص
روادها ووزنهم، واتضح أنهم أبرياء، ومن ثم فقد أطلق سراحهم من
المدينة، دون أن يصابوا بأى أذى. وهذا نفس ما حدث، لرواد السفينة
الفضائية الثانية. ولكن اليوم! وبعد انتظار طويل جئتم! سوف ينفذ فيكم
الانتقام حتى أدق التفاصيل. لقد مات سكان هذه المدينة منذ مائتى
قرن، إلا أنهم تركوا هذه المدينة تنتظركم وترحب بكم!"

"سيدى الكابتن، إنك لست على ما يرام. ربما يكون من الأفضل أن
تعود إلى السفينة الفضائية"

ارتعدت المدينة.

وفرغت أرصفة الطرق أفواهها وسقط الرجال فى الشراك صارخين.
أثناء سقوطهم إلى أسفل، شاهدوا الشفرات الحادة البراقة،
تومض استعداداً لملاقاتهم!

ثم مر بعض الوقت، وسرعان ما سمع نداء الكابتن:

"(سميث)؟"

"موجود".

"(جنسن)".

"موجود".

"(جونز)، (هتشنسون)، (سبرنجر)؟"

"موجود، موجود، موجود!".

وقفوا جميعاً بجانب سفينة الفضاء.

"سوف نعود إلى كوكب الأرض على الفور".

"أمرك يا سيدى".

كانت الشقوق - الناتجة عن العمليات الجراحية التي أجريت لهم - غير واضحة للعيان، وكذلك قلوبهم النحاسية والأعضاء الفضية في أجسادهم، والأسلاك الذهبية الرقيقة التي استبدلت بأجهزتهم العصبية. كان ثمة طنين كهربى خافت، ينبعث من رؤوسهم.

"هيا أسرعوا".

أسرع الرجال التسعة بوضع القنابل الذهبية المحملة بجراثيم الوباء المروع فى سفينة الفضاء.

قال الكابتن: "يجب أن تسقط هذه القنابل فوق كوكب الأرض".

"أمرك يا سيدى".

أغلقت صمامات سفينة الفضاء بإحكام، ثم اندفعت إلى السماء.

وما أن تلاشى الصوت المدوى للانطلاق، حتى استلقت المدينة فوق
مروج الصيف، وأغلقت العيون الزجاجية الجامدة، واسترخت الأذان
الآلية، وتوقفت الفتحات السرية الهائلة للأنف عن العمل، ولم تعد
الطرق تقوم بالوزن أو التوازن، وتريثت الآلات الخفية، فى الأحواض
الممتلئة بالزيت.

وتلاشت سفينة الفضاء وصواريخها فى أجواء الفضاء وببطء - مع
إحساس بالغبطة والرضا - نعمت المدينة - بعد انتظار استمر العشرين
ألف سنة - بالراحة التى يبعثها الموت فى النفس.

بالونات النار

انتشرت النيران فى المروج الخضراء فى تلك الليلة من لىالى الصيف..
وكنت ترى بريقها منعكساً فى وجوه الأعمام والأخوال والعمات والخالات..
وترى الألعاب النارية تنفجر فى العيون البنية المتألقة لأبناء الأعمام
والخالات عند المدخل المسقوف للمنزل.. وسقطت العيدان المحروقة
الباردة إلى أسفل فى المراعى الجافة البعيدة.

فتح الأب الموقر للغاية (جوزيف دانيا بريجرين) عينيه.. وغمغم:
"يا له من حلم عجيب" .. هو وأبناء عمومته وهم يلهون بلعبهم النارية
بمنزل جده القديم بولاية أوهايو منذ سنوات كثيرة مضت.

تمدد وهو يستمع إلى صوت الفراغات الهائلة بالكنيسة
والصوامع^(١) الأخرى التى يتمدد فيها الآباء الآخرون. ترى هل رقدوا هم
أيضاً فى عشية رحلة الصباروخ (كروسيفكس) محملين بذكريات اليوم
الرابع من يوليو؟.. نعم، كان ذلك كمثل أوقات الفجر من أيام الاستقلال

(١) حجيرات ضيقة للإقامة والعبادة. (المترجم).

الساكنة، حيث كنت تنتظر الصدمة الأولى ثم لا تلبث أن تركض مندفعاً على الأرصفة الندية ويداك مشغولتان بمعجزات مدوية.

والآن ها هم أولاء هنا.. أباء الكنيسة الأسقفية فى الفجر الساكن الوادع قبل أن ينطلقوا إلى المريخ تاركين وراءهم بخورهم داخل فراغات الكاتدرائية المخملية.

همس الأب (برجيرين) قائلاً: "هل يجب علينا أن نذهب أصلاً؟.. ألا يحسن بنا أن نعالج خطايانا هنا على الأرض؟".

نهض وجسده البدين يتحرك بتثاقل من فرط التهامه للفراولة واللبن وشرائح اللحم.. وحدث نفسه: "أم هل هذا كسل؟.. هل أخاف من الرحلة؟". خطا إلى داخل الدش الذى يطلق رذاذاً رقيقاً من المياه وواصل حديثه مع نفسه: "لكننى سوف أخذك يا جسمى إلى المريخ.. وأترك خطاياى هنا.. لأرتكب خطايا جديدة هناك". وكانت هذه فكرة رائعة تقريباً.. إنها خطايا لم يفكر فيها أحد قط.. والحقيقة أنه كتب كتاباً صغيراً باسمه "مشكلة الخطيئة فى العوالم الأخرى".

ثم تجاهلها باعتبارها غير مهمة بما يكفى لرهبان الأسقفية. وفى الليلة الماضية فقط تناول سيجاراً أخيراً وتحدث هو والأب (ستون) عنه.

قال الأب (برجيرين) وهو يتنسم مبتهجاً: "على المريخ لعل الخطيئة تبدو كالفضيلة.. وعلينا أن نحترس من السلوكيات والتصرفات هناك

التي قد يتضح فيما بعد أنها خطايا!.. إن هذا أمر مثير فعلاً!..
لقد مرت قرون منذ اقترحت مثل تلك المخاطرة بإمكانية كونك مبشراً!..

قال الأب (ستون) باقتضاب: "إنني سوف أعرف الخطيئة حتى
على المريخ".

عقب الأب (برجيرين) بقوله: "آه.. نحن القساوسة نفخر بأننا مثل
ورق عباد الشمس، يتغير لونا في وجود الخطيئة.. ولكن إذا كانت
كيمياء المريخ تجعلنا لا نتغير أبداً!.. وإذا كانت هناك حواس جديدة غير
حواسنا، فعليك أن تتوقع أن توجد خطايا لا يمكننا التعرف عليها".

أجاب الأب (ستون): "إذا كانت هناك أفكار لاحقة خبيثة، فلن تكن
فيها خطيئة ولا عقاب.. الرب يؤكد لنا ذلك".

- "على الأرض نعم، ولكن لعل خطيئة المريخين تنم عن عقل باطن
شرير، من خلال التخاطر، تاركة العقل الواعي للمرء لكي يتصرف بحرية
بدون مكر أو خبيث!.. فماذا بعدئذ؟".

- "أى شيء يمكن وجوده هناك في طريق ارتكاب خطايا جديدة؟".

انحنى الأب (برجيرين) بشدة إلى الأمام ثم قال: "آدم بمفرده لم
يخطئ قط.. ثم جاءت حواء فوجد الإغراء.. زد رجلاً ثانياً، عندئذ تصبح
جريمة الزنا ممكنة.. مع زيادة الناس والجنس، تزداد الخطايا.. وإذا
كان الناس بدون أيد، فإنهم لن يخنقوا بأيديهم.. وحينئذ سيختفى ذلك
النوع من القتل.. زد الأيدي سوف تنشأ خطيئة الجريمة.. فمثلاً الأميبا

لا ترتكب أية خطيئة لأنها تتكاثر بالانقسام الذاتى، فهي لا تشتت زوجات وبالتالي لا يقتل بعضها بعضاً.. ضف الجنس إلى الأميبا وضم إليها أذرع وسيقاناً، وسوف ترتكب الأميبا القتل والزنا.. وباختصار كلما أضفت ذراعاً أو ساقاً أو فرداً، أو كلما أنقصت ذراعاً أو ساقاً أو فرداً؛ زدت أو قللت من الشرور الممكنة.

.. وعلى المريح، ما الذى يمكن أن يحدث لو كانت هناك حواس خمس جديدة علينا.. أية أعضاء أو أطراف أو زوائد لا نراها أو نتصور وجودها.. ألم تكن هناك خمس خطايا جديدة؟

فغر الأب (ستون) فاه من الدهشة وقال: "أعتقد أنك تستمتع بهذا التفكير".

- "إننى أحافظ على اتقاد ذهنى دائماً يا أبى.. بحيث يكون نشطاً طوال الوقت.. هذا كل ما هناك".

- "أى أن ذهنك يقذف بالأفكار مثلاً يقذف لاعب السيرك بالمرايا والمصابيح والأطباق.. أليس كذلك؟"

- نعم، فالكنيسة أحياناً تبدو مثل مشهد نراه فى السيرك.. حيث ترتفع الستارة ويتوقف الرجال كتماثيل من أكسيد الزنك ومسحوق التلك للتعبير عن الجمال المطلق.. عظيم جداً.. ولكننى أمل فى أن يكون هناك دائماً مساحة لى لكى أندفع بين تلك التماثيل.. ألا تفعل ذلك يا أبى (ستون)؟"

ابتعد الأب (ستون) قليلاً ثم قال: "أعتقد أنه يستحسن أن نخلد إلى النوم الآن.. ففى غضون بضع ساعات سوف نقفز لنرى خطاياك الجديدة يا أبانا (برجيرين) ."

وقف الصاروخ جاهزاً للانطلاق. وتحرك القساوسة من صلواتهم وتكريساتهم فى الصباح قارس البرودة.. عدد كبير من أعظم قساوسة نيويورك وشيكاغو ولوس أنجلوس.. كانت الكنيسة قد أرسلت أفضل ما عندها.. ساروا جميعهم خلال البلدة حتى وصلوا إلى حقل قارس البرودة.. وأثناء سيرهم تذكر الأب (برجيرين) كلمات الأسقف:

"أيها الأب (برجيرين)، سوف ترأس مجموعة المبشرين، على أن يكون الأب (ستون) بجانبك دائماً.. لقد اخترتك لهذه المهمة الخطيرة، ولعل أسباب اختياري لك غامضة بعض الشيء.. غير أن مذكرك عن الخطايا الكوكبية يا أبى لاقت منا اهتماماً.. وأنت رجل متنور ومرن الفكر.. والمريخ يشبه حماماً قذراً أهملناه آلاف السنين. لقد تراكمت الخطايا هناك مثل تراكم التحف القديمة بالمنزل.. والمريخ عمره ضعف عمر الأرض وبه ضعف عدد ليالى السبت وحنفيات الخمر والعيون التى تحمق فى النساء العرايا كالفقعات البيضاء. وعندما نفتح باب ذلك الحمام، سوف تسقط عليك أشياء ما.. ونحن محتاجون إلى رجل ذكى مرن يمكن لعقله أن يتصرف ويناور.. أى شخص متشدد أو متغطرس سوف يتحطم هناك ولن يصمد.. وأنا أشعر بأن لديك قوة تحمل كبيرة ومرونة أيضاً.. ولذلك فإن هذه المهمة لك ."

ركع الأسقف والأب فى خشوع.. وقال كلمات تمجيد مباركة
ورشوا بعض الماء المقدس على الصاروخ.. وبعد اعتدالهما قال الأسقف
مخاطباً القساوسة:

– "أعرف أنكم ستذهبون والرب معكم، لتجهيز المريخين لاستقبال
حقيقة الإيمان به.. أتمنى لكم جميعاً رحلة ممتعة ومتعددة
الاهتمامات..".

اصطفوا كلهم أمام الأسقف.. عشرون رجلاً أرديتهم تحف
بالأرض.. لكى تلامس أيديهم يديه المباركتين.. قبل التوجه إلى الصاروخ
النظيف.

وفى آخر لحظة قال الأب (برجيرين): "إننى أتعجب.. إذا كان المريخ
هو الجحيم.. فهل هو ينتظر وصولنا قبل أن ينفجر إلى كبريت ونار؟".
قال الأب (ستون): "يا إلهى، كن معنا واحفظنا"..
وانطلق الصاروخ.

كان الخروج إلى الفضاء بالنسبة إليهم كخروجهم من أعظم وأروع
ما وقعت عليها أعينهم.. والهبوط على المريخ كان كملامستهم للرصيف
خارج الكنيسة بعد خمس دقائق من وقوفهم بين يدي الرب الذى
يحبونه بحق.

خطا القساوسة بنشاط إلى خارج الصاروخ وركعوا على رمال المريخ
بينما أخذ الأب (برجيرين) يعبر عن شكره لله قائلاً:

يا إلهى شكراً لك على سلامتنا بعد رحلتنا فى ملكوتك.. لقد وصلنا يا إلهى إلى بلاد جديدة ونريد أن تكون لنا أعين جديدة.. وسوف نسمع أصواتاً جديدة ونريد أذاناً جديدة.. وسوف نجد هناك خطايا جديدة، ولذلك نسألك أن تمنحنا قلوباً أقوى وأفضل وأنقى.. آمين.. ثم وقفوا جميعاً.

هنا كان المريح كبحر وهم يخوضون أعماقه فى غواصة متذكّرين فى رى علماء بيولوجيا يبحثون عن أشكال حية جديدة. هاهنا أنواع من الخطايا الخفية، إن عليهم أن يحققوا توازناً بارعاً، مثل ريشات رمادية، فى هذه البيئة الجديدة التى يخشون أن يكون السير نفسه فيها أو التنفس أو حتى الصوم خطيئة!

أقبل محافظ البلدة الأولى لمقابلتهم بيدين مفتوحتين وقال لهم: "ما الذى أستطيع أن أفعله لكم، يا أبى (برجيرين)؟".

- "نريد أن نعرف الكثير عن المريخين.. لأنه فقط لو عرفنا كل شىء عنهم لأمكننا التخطيط الصحيح لبناء الكنيسة.. على سبيل المثال: هل يبلغ طولهم ثلاثة أمتار؟.. لأنه فى هذه الحالة سوف نصمم أبواباً عالية.. هل جلودهم زرقاء أم حمراء أم خضراء؟.. إذ يجب علينا أن نعرف متى نضع البشر فى الزجاج الملون بحيث نستخدم لون الجلد الصحيح.. هل أوزانهم ثقيلة؟.. إذ نصنع مقاعد متينة لهم.. وهكذا..

قال المحافظ: "أبانا.. لا أعتقد أن هناك سبباً لقلقك بخصوص المريخيين.. فهناك جنسان منهم.. أحدهما مات معظمه والباقي مختبئون.. والجنس الثانى، حسناً.. إنهم ليسوا بشراً بالمعنى المفهوم".

تسارعت دقات قلب الأب (برجيرين) وهتف: "أوه.. يا إلهى!".

قال المحافظ: "إنهم عبارة عن كرات مستديرة لامعة من الضوء.. وهم يعيشون يا أبانا فى تلك التلال.. لكن هل هم بشر أم وحوش؟.. لا أحد يعرف؟.. لكنهم يتصرفون بذكاء وعقل كما علمت". وهز المحافظ كتفيه وواصل كلامه "بالطبع هم ليسوا بشراً.. ولذلك لا أظن أنه يهمك...".

قال الأب (برجيرين) بسرعة: "بالعكس، لكن هل قلت ذكاء وعقل؟".

- هناك قصة معينة.. فقد كسرت قدم أحد المستكشفين فوق تلك التلال وكان على وشك الموت.. ثم حضرت كرات الضوء الزرقاء إليه.. وعندما استيقظ وجد نفسه على طريق سريع ولم يعرف كيف وصل إلى هناك".

قال الأب (ستون): "لعله كان مخموراً".

قال المحافظ: "لقد قلت لكم هذه هى القصة التى أعرفها.. أبانا (برجيرين)، على ضوء حقيقة أن المريخيين ماتوا ولأنه لا يوجد سوى تلك الكرات الزرقاء.. وأنا بصراحة أعتقد أنكم ستكونون فى حال أفضل فى البلدة الأولى.. فالمريخ يفتح أبوابه على آخرها.. إنه أرض جديدة تستقطب المغامرين والباحثين عن الثروة، مثلما كانت الأرض قديماً فى الغرب

والأسكا.. والناس يتدفقون كالشلالات إلى هنا.. ويوجد هنا الآن ألفان من الميكانيكيين والمشتغلين بالتعدين وعمال اليومية السود فى البلدة الأولى ويلزمنا الحفاظ عليهم.. لأن هناك الكثير من النساء الساقطات جنن معهم.. وكذلك الكثير من النبيذ المريخى المعتق منذ ألف عام..

كان الأب (برجيرين) يحدق فى التلال الزرقاء الناعمة.. وهنا تتحنج الأب (ستون) وقال: "حسنأ أبانا.. وماذا بعد؟". لم يسمعه الأب (برجيرين) وغغم: "كرات من النار الأزرق؟".

- "نعم، يا أبانا".

تنهد الأب (برجيرين) وقال: "آه.. نعم".

هز الأب (ستون) رأسه وقال: "بالونات زرقاء من الضوء.. إذن نحن فى سيرك!".

شعر الأب (برجيرين) برعشة فى قبضتيه.. ونظر إلى المدينة الحدودية الصغيرة التى بها خطايا وليدة مستحدثة.. ورأى التلال القديمة التى يوجد بها أقدم، وربما أيضاً أحدث الخطايا..

- "السيد المحافظ.. هل يمكن لعمالك الأيرلنديين السود أن يتحملوا يوماً آخر فى الجحيم؟".

- "سوف أعود وأحبسهم من أجلك يا أبانا".

نظر الأب (برجيرين) إلى التلال وقال: "هذا هو المكان الذى سوف نذهب إليه".

تعالى اللفظ من الجميع، فأسرع الأب (برجيرين) بشرح الفكرة:
"الموضوع بالغ البساطة.. هو الذهاب إلى البلدة هناك.. أنا أفضل أن
أعتقد أنه لو جاء السيد يسوع المسيح إلى هنا وقال له الناس: "هذا هو
الطريق الذي نعرفه" لأجابه "دلوني على مكان الأحرار، وسوف أصنع
لكم طريقاً أفضل".

- "ولكن...".

- "أيها الأب (ستون)، تخيل مقدار تأنيب ضميرنا لو مررنا من هنا
بالخاطئين ولم نمد يدنا إليهم".

- "ولكن لا تنس أنها كرات من نار!".

- "أظن أن الحيوانات كلها نظرت إلى الإنسان باستهزاء وسخرية
عندما ظهر لأول مرة.. ومع ذلك فإن له روحاً رغم بساطته.. وحتى تثبت
العكس، دعنا نفترض أن تلك الكرات النارية لها أرواح".

وافق المحافظ وقال: "لا بأس.. ولكنكم ستعودون إلى البلدة".

- سوف نرى.. ولكن أولاً لنتناول الإفطار.. وبعد ذلك سوف نسير
أنا وأنت أيها الأب (ستون) إلى داخل تلك التلال.. فأننا لا نريد إخافة
أولئك المريخين الناريين بماكيناتنا وزحامنا.. والآن هل سنتناول الإفطار؟..
وبعدها تناول القساوسة إفطارهم في صمت..

وعندما أسدل الليل أستاره، كان الأب (برجيرين) والأب (ستون)
على قمة التلال.. توقفوا هناك وجلسا على صخرة كبيرة يستمتعان بلحظة

استرخاء وانتظار للمجهول.. لم يظهر المريخيون بعد.. وشعر كلا الرجلين بالإحباط وخيبة الأمل.

مسح الأب (برجيرين) وجهه وقال: "إننى أتساءل: هل تعتقد أننا لو قلنا "أهلاً بكم" فإنهم يردون علينا؟"

"أبانا (برجيرين)، ألا تكون جاداً أبداً؟"

"لا، حتى يكون الأعظم جاداً أيضاً.. ما هذا، أرجوك، لا تبدو مصدوماً للغاية هكذا.. إن الرب ليس جاداً.. الحقيقة أنه من الصعب إلى حد ما فهم طبيعته بالضبط سوى أنها هي الحب.. والحب مرتبط بالحالة المزاجية، أليس كذلك؟.. إذ إنك لا يمكنك أن تحب شخصاً ما ما لم يمكنك أن تتحمله وتتقبله ولا يمكن أن تتحمل وتتقبل شخصاً ما باستمرار ما لم يمكنه أن تسخر منه.. أليس ذلك صحيحاً؟.. وبالطبع نحن مجرد حيوانات صغيرة سخيفة تتمرغ وتلهو فى حوض ممتلئ بالطين.. والأجدر أن يحبنا الرب كثيراً لأننا نروق له ولروح الدعابة لديه!"

قال الأب (ستون): "إننى لم أفكر قط فى الرب على أنه يحب الدعابة."

ضحك الأب (برجيرين) وقال: "يا رجل، إنه خالق البطة والجمل والنعامة والإنسان، أليس كذلك.. والآن تعال معي."

ولكن فى تلك اللحظة، ظهر المريخيون كطابور متتابع من اللميات الزرقاء لتدلهما على الطريق الذى يسلكانه.. رآهم الأب (ستون) أولاً وهتف: "انظروا!"

استدار الأب (برجيرين) وفي الحال تلاشت الضحكات من فمه..
فقد كانت كرات النار الزرقاء تنطلق بين النجوم اللامعة وتتذبذب عن
بعد.. ووثب الأب (ستون) من مكانه قائلاً: "الوحوش!".. بيد أن الأب
(برجيرين) لحقه وقال له: "انتظر يا رجل!".

- "كان الأفضل لنا أن نذهب إلى البلدة!".

رد عليه الأب (برجيرين) بقوله: "لا، استمع، انظروا!".

- "ولكنني خائف!".

- "لا، لا تخف.. إن هذا من صنع الرب!".

- "لا، أنا أعتقد أنه من صنع الشيطان!".

هدأ الأب (برجيرين) من روعه بقوله: "لا، هذا ليس صحيحاً.. الزم
الهدوء الآن يا رجل!".. وعندها جثم الرجلان مكانيهما بينما سقط
الضوء الأزرق الرقيق على وجهيهما الملتفتين إلى أعلى عندما اقتربت
منهما الكرات النارية.

مرة أخرى فكر الأب (برجيرين) في ليلة الاستقلال.. وشعر وقتئذ
بأنه طفل صغير في إحدى ليالي الرابع من يوليو^(٢).. والمساء تتمزق إرباً..
وتتحطم إلى نجوم متفتتة.. وصوت الحريق وهو ينشب في كل شيء..

(٢) عيد استقلال الولايات المتحدة. (المترجم).

والارتجاجات العنيفة تهز النوافذ بقوة مثل سقوط قطع الجليد على آلاف البرك الضحلة.. وكل الخالات والأعمام وأبناء الأعمام والعمات والأخوال والخالات يصيحون: "آه" كما لو كانوا يكلمون طبيباً سماوياً خفياً!.

ما أجمل ألوان سماء الصيف!! بينما الكرات النارية مضاءة بمعرفة أحد الأجداد الطيبين، ثابتة بين يديه الهائلتين الحانيتين.. ما أعجب ذكريات تلك الكرات النارية الجميلة، ذات الأنسجة الدافئة المنتفخة التي تشبه أجنحة الحشرات الممددة كدبابير مطوية في صناديق.. وأخيراً بعد كل شيء في نهاية يوم من الشغب والهياج والثوران.. تخرج أخيراً من صناديقها مفرودة بشكل رائع.. ككائنات لونها أزرق وأحمر وأبيض.. بالجمال كرات النار!..

شاهد وجوهاً داكنة لأقارب أعزاء ماتوا منذ زمن طويل وكستهم الطحالب، بينما الجد يضيء شمعة وينفخ الهواء الدافئ من صدره ليصعد إلى أعلى لتشكيل الكرة النارية في الحال بين يديه.. إنها رؤية مضيئة تمسكت بها ورفضت أن تتركها تضيع، لأنه بمجرد ضياعها تضيع سنة أخرى من حياتها.. جزء رابع آخر من الجمال يضيع ويتبدد..

إلى أعلى وإلى أعلى أخذت الكرات النارية تتصاعد تدريجياً وسط المجموعات النجمية في تلك الليلة من ليالي الصيف الدافئة.. بينما تابعتها عيون حمراء وبيضاء وزرقاء، بدون التفوه بأية كلمة، من شرفات ومداخل المنازل.. ثم لم تلبث الكرات النارية أن ابتعدت في أعماق ولاية (الينوى)، فوق أنهار الليل والمنازل الهاجعة.. وأخيراً صغرت وتناقصت حتى تلاشت تماماً..

شعر الأب (برجيرين) بترقرق الدموع فى عينيه.. وفوقه بدا أن المريخين، ليس واحداً منهم فقط بل آلاف من الكرات النارية الهامسة، يحلقون عالياً.. وفى أى لحظة قد يجد جده المبجل الذى مات منذ زمن طويل واقفاً بجواره ويحرق فى ذلك الجمال الرائع العالى.. لكن لم يكن موجوداً سوى الأب (ستون)، الذى بادره قائلاً: "هيا بنا نذهب يا أبانا من فضلك!".

اندفع الأب (برجيرين) إلى الأمام قائلاً له: "يجب أن أتحدث إليهم!".. ولكنه كان لا يعرف ماذا يقول بالضبط، لأن كل ما قاله من قبل للكرات النارية عن الزمن الماضى لم يكن سوى: "إنك جميلة، إنك جميلة حقاً"..
بيد أن ذلك لم يعد كافياً الآن. كل ما يمكنه فعله الآن هو رفع ذراعيه الثقيلتين ومناداة الكرات بأعلى.. وهذا ما كان يتمنى دائماً أن يفعله بالنداء على الكرات النارية الساحرة قائلاً لها: "مرحباً!".

غير أن الكرات النارية سرعان ما توهجت مثل صور فى مرآة معتمة.. وبدأت ثابتة وغازية ومذهلة وأبدية!.. ونادى الأب (برجيرين) على السماء قائلاً: "إننا نأتى مع الرب!".. وعرض الأب (ستون) ظهر يده وقال: "ياللسخف، ياللسخف!.. توقف يا أبونا (برجيرين) عن هذا باسم الرب!".. ولكن فى تلك اللحظات تلاشت الكرات المتألقة داخل التلال واختفت تماماً.

نادى الأب (برجيرين) عليها مرة أخرى.. ولكن كل ما حدث أن الجبال العالية رددت صدى صرخته الأخيرة.. واستدار فرأى كتلاً هائلة

من الصخور وهى تطلق سحابة من التراب.. ثم تتوقف، ثم فجأة تطلق صوتاً هادراً كالرعد وتنهار من أعلى الجبل عليهما.

صرخ الأب (ستون) قائلاً: "انظر ما الذى فعلته!".. وكان الأب (برجيرين) وقتئذ منبهراً لكن سرعان ما دب الرعب فى أوصاله.. واستدار وهو يعلم أنه ليس بوسعهما سوى الركض لبضعة أمتار قبل أن تسقط تلك الصخور والحطام عليهما.. لم يكن أمامه سوى القليل من الوقت للابتهاال فهتف: "يا إلهى!.. رحمتك!".. وفى تلك اللحظة هوت الصخور! - "آبانا!.. آبانا!"

كانا مبتعدين عن بعضهما البعض مثل قشور القمح عن الغلة ذاتها.. وكان هناك ضياء وميضى صادر من عدد الكرات وإزاحة لبعض النجوم الهامدة وأيضاً دوى وصخب.. كانا واقفين فوق اقريز يبلغ عرضه سبعين متراً وهما يحدقان فى البقعة التى كان من المحتمل أن جثتيهما سوف تدفنا فيها تحت أطنان من الصخور.

الضوء الأزرق اختفى وتلاشى تماماً، وأمسك الأبوان بقوة ببعضهما البعض وقال أحدهما: "ما الذى حدث؟".. أجابه الآخر: "النيران الزرقاء رفعتنا!"

"لقد جريتا، هذا هو ما حدث.. أليس كذلك؟"

"لا.. الكرات هى التى أنقذتنا!"

"لا، ليس بمقدورها ذلك!"

نعم، ولكنها فعلت ذلك فعلاً!..

كانت السماء خالية، وتولد لديهما احساس بأن جرساً هائلاً توقف عن الدق.. ولكن ترجيع الصدى بقي كامناً لبعض الوقت فى أسنانهما وتضاع عظامهما.

دعنا نبتعد عن هنا.. وإلا فإنك سوف تقتلنا هنا.

إننى لم أخش الموت قط لسنوات طويلة جداً أيها الأب (ستون).

إننا لم تثبت أى شىء حتى الآن.. تلك الأضواء الزرقاء هربت عند أول صيحة.. إنها لا قيمة لها.

كان الأب (برجيرين) متمسكاً بعناده العجيب وقال: لا، لقد أنقذتنا على نحو ما.. وذلك يثبت أن لها أرواحاً!

لا، إنه يثبت فقط أنها قد تكون أنقذتنا.. كل شىء هنا غامض وملتبس.. وربما نكون هربنا بأنفسنا.

إنها ليست حيوانات يا أبانا (ستون).. الحيوانات لا تنقذ أرواحاً، وخصوصاً أرواح الغرباء.. هنا تجد رحمة وشفقة.. وربما نتأكد غداً من وجود أشياء أخرى.

شعر الأب (ستون) بالتعب والإجهاد الشديدين، وأظهر غضبه البدنى والذهنى الصورة الحقيقية لشخصيته العنيدة القاسية وقال: نتأكد من ماذا؟.. وكيف؟.. هل تريد مثلاً أن نطاردها بطائرة حوامة أم

نقرأ كل المراجع والمصادر التى تتناول هذا الأمر؟.. إنها ليست بشراً..
ليس لها عيون أو أذان أو أجسام مثلاً.. أليس كذلك؟..

رد الأب (برجيرين) بقوله: "ولكنى أشعر بإحساس ما تجاهها..
وأعرف أننا على وشك الوصول إلى أحد التجليات العظيمة الآن..
الحقيقة أنها أنقذتنا.. فهى إذن تفكر.. لقد كان أمامها خيار أن تتقذنا
لنعيش أو تتركنا لنموت.. وهذا يثبت أنها تتمتع بحرية الإرادة".

شرع الأب ستون فى إيقاد نار ومكث يحدق فى الأعواد التى فى
يده وهو يسعر من الدخان الرمادى المنبعث من النار.. ثم قال: "أنا
شخصياً سوف أفتح ديراً لصغار الأوز.. ورهبانية للخنازير المقدسة..
وكذلك سوف أنشئ بروزاً دقيقاً للغاية فى مجهر بحيث يمكن
للباراميسيوم^(٢) حضور الصلوات والطقوس الدينية ثم تخبر أطرافها
المحبة بذلك بزوائدها السوطية".

"كفى أيها الأب (ستون).. أرجوك توقف".

طرفت عينا الأب (ستون) الحمراءوين من تأثير النار وقال: "آسف يا
أبانا (برجيرين).. ولكن هذا يشبه مباركتك للتمساح قبل أن يلتهمك
حيّاً.. إنك تعرض كل أفراد البعثة التبشيرية للهلاك.. إننا ننتمى إلى
القرية الأولى ونمنع الناس من تناول المشروبات الكحولية ونزيل العطر
من أيديهم".

(٢) حيوان مجهرى وحيد الخلية له أهداب. (المترجم).

“ألا تستطيع إدراك الحالة البشرية فى الكائنات غير البشرية؟”

“إننى أستطيع إدراك الحالة غير البشرية فى البشر”.

ولكننى إذا أثبت لك أن تلك الأشياء ترتكب خطايا وتعرف ما هى الخطية وتعرف الحية الأخلاقية وتعيش بإرادة حرة.. ولها عقل تفكر به أيها الأب (ستون).. فماذا تقول إذا أيها الأب الجليل؟”.

“لكن ذلك سوف يحتاج إلى إقناع أكثر بكثير”.

انقضت الليلة الباردة سريعاً وحدث الرجلان فى النار وتركاً لأفكارهما الجامحة العنان.. بينما طفقاً يتكلمان بالسكوت والتوت.. وسرعان ما استعدا للنوم تحت مرأى النجوم المتلألئة فى السماء، ولكن قبل أن يتقلب الأب (ستون) مرة أخيرة، وأثناء تفكيره لدقائق كثيرة فى الوصول إلى شىء ما يضايق به الأب (برجيرين)، حدث لبعض الوقت فى الفحم المتقدم أمامه وقال: “لا يوجد آدم وحواء على المريخ.. لا توجد هنا خطيئة أصلية.. ولعل المريخين يعيشون فى حالة من الاستمتاع بفضل ورحمة الرب.. وهكذا يمكننا العودة إلى البلدة لنبدأ العمل مع البشر الأرضيين”.

ذكر الأب (برجيرين) نفسه بأداء صلاة قصيرة من أجل الأب (ستون) الذى يبدو أنه فقد عقله وأصبح يفكر فقط فى الانتقام.. ليساعده الرب..: “نعم أيها الأب (ستون)، ولكن المريخين قتلوا بعضاً من البشر المستوطنين.. وهذه خطيئة.. نعم، لابد أن هناك خطيئة أصلية

وبالتالى لا بد من وجود آدم وحواء على المريخ.. وسوف نجدهما إن عاجلاً أو آجلاً.. ولسوء الحظ فإن البشر هم البشر، مهما كان شكلهم ومهما كانت ميولهم تجاه الخطيئة.. وفى ذلك الوقت كان الأب (ستون) يتظاهر بالنوم.

لم يغلق الأب (برجيرين) عينيه.. بالطبع لم يكن بمقدورهما ترك أولئك المريخين يذهبون إلى الجحيم.. فمع التساهل مع ضميرهم، هل يمكنهم العودة إلى بلدان المستعمرات الجديدة.. تلك البلدان الممتلئة بالرجال والنساء الخاطئين نوى العيون الصغيرة والأجسام البيضاء الرخوة التى تمرح وتصخب بلا مبالاة فى السرر مع كادحين وحيدين؟.. أليس ذلك مكان الآباء؟.. ألم تكن تلك الرحلة فى التلال مجرد نزوة شخصية؟..

أكان هو يفكر حقاً فى كنيسة الرب أم يريد أن يطفىء ظمأه لحب استطلاع لا يهدأ؟.. هذه الكرات الزرقاء المدورة من نور القديس (أنطونى) - كيف احترقت فى ذهنه!.. يا له من تحد أن تجد إنساناً يختفى خلف قناع.. البشرى يختفى خلف غير البشرى.. ألا يمكنه أن يفخر إذا أمكنه أن يقول سرّاً لنفسه إنه حول منضدة بلياردو كبيرة متموجة ممتلئة بكرات نارية!.. يا له من فخر خاطئ!.. وعلى المرء أن يتوب منه!.. ولكن لا بد أن للمرء أشياء كثيرة تنبثق من الحب يفخر بها، ولا بد أنه أحب الرب كثيراً وهو سعيد للغاية بذلك، ويتمنى أن يكون كل الناس أيضاً سعداء مثله.

آخر شيء رآه قبل أن يخلد إلى النوم كان عودة النيران الزرقاء..
كتلة طائرة من الملائكة المحتدمين وهم يغتون فى صمت، لجعله ينام نوماً
قلقاً مهموماً.

كانت الأجسام المدورة الزرقاء الساحرة ما زالت هناك فى السماء
عندما استيقظ الأب (برجيرين) فى الصباح الباكر.. أما الأب (ستون)
فقد كان نائماً كحجر صلب فى هدوء.. وأخذ الأب (برجيرين) يراقب
المريخين وهم يسبحون فى الفضاء ويراقبونه بدورهم.. وكان متيقناً
تماماً من أنهم بشر.. ولكن كان عليه أن يثبت ذلك وإلا اضطر
إلى مواجهة أسقف جامد العاطفة فظ الحديث حاد النظرات يطالبه
بهدوء أن يتنحى.

لكن كيف يثبت بشرية تلك الكائنات بينما هى تختفى دائماً عالياً
فى دهاليز السماء؟.. كيف يمكن تقريبها وتقديم إجابات شافية لعدد
كبير من الأسئلة الخاصة بها؟.. مثل: لقد أنقذتنا من الانهيار
الصخرى.

نهض الأب (برجيرين) وسار إلى بعيد بين الصخور وبدأ يتسلق
أقرب جبل إليه حتى وصل إلى مكان تهبط حافته كجرف بشكل حاد جداً
إلى أرضية تبعد نحو مائتى قدم إلى أسفل.. وكان يتنفس بصعوبة من
جراء تسلقه الشاق فى الهواء قارس البرودة.. ثم وقف واستعاد
تنفسه الطبيعى.

قال لنفسه: "لو وقعت من هنا فسوف أموت بكل تأكيد" .. وأسقط حصاة صغيرة بقدمه .. وبعد بضع لحظات قرّعت على الصخور بأسفل .. وهمس لنفسه: "الرب لن يغفر لى أبداً" .. وقذف حصاة أخرى .. ثم أردف: "لن يكون ذلك انتحاراً، نعم .. لأننى سوف أفعله بدافع الحب .. أليس كذلك؟" .. ثم رفع بصره إلى الكرات الزرقاء وقال: "لكن أولاً، يجب أن أحاول مرة أخرى" .. و نادى عليها: "مرحباً .. مرحباً!" ..

ركبت أصدااء كلماته فوق بعضها البعض .. بيد أن الأضواء الزرقاء لم تطرف لها عين أو تتحرك ألبتة .. وتحدث إليها لخمس دقائق، وعندما توقف نظر إلى أسفل ورأى الأب (ستون) الذى كان لا يزال مستغرقاً فى النوم وهو نائم بالمعسكر الصغير أسفل الجبل ..

خطا الأب (برجيرين) إلى حافة الجرف وهمس: "يجب أن أثبت كل شىء .. أنا الآن رجل عجوز، ولست خائفاً من أى شىء .. وبالطبع سيفهم الرب أننى أفعل ذلك من أجله!" .. وأخذ نفساً عميقاً .. ومر أمام عينيه شريط حياته كلها وقال لنفسه: "هل أموت بعد لحظة؟ .. أخشى أننى أحب الحياة كثيراً .. لكننى أحب أشياء أخرى أكثر .. ومن هذا المنطلق خطا إلى الأمام فوق حافة الجرف!" ..

فجأة هوى إلى أسفل وصاح "ياللى من أحمق!" .. وسقط على صخرة بعد أخرى .. وتابع: "لا شك أننى أخطأت!" .. وتدافعت الصخور تجاهه ورأى نفسه ينقض عليها فى طريق الموشك على الموت .. وهتف: "لماذا فعلت كل ذلك؟" .. وكان يعرف الإجابة .. وبعد لحظة واحدة ساد

هدوء ثقيل بينما كان مستمراً فى السقوط.. وزمجرت الرياح من حوله
وأخذت الصخور تتدفع لتتقضى عليه.

وفجأة تزعزعت النجوم وظهر ضوء أزرق.. وشعر بنفسه محاطاً
بجو أزرق وعالقاً فى الجو.. وبعد لحظة شعر بجسمه يهبط باصطدام
خفيف على الصخور، حيث جلس للحظة كاملة وهو حى يرزق.. وأخذ
يتحسس جسمه ويحدق فى تلك الأضواء الزرقاء وهى تنسحب مبتعدة
على الفور.

وهمس قائلاً: "لقد أنقذتمونى!.. ولم تتركونى أموت.. أنتم تعرفون
أن ذلك كان خطأ.. واندفع يركض باتجاه الأب (ستون) الذى كان
مازال ممدداً نائماً يهدوء وفاداه: "أبانا، أبانا.. استيقظ!".. وهرزه بقوة
حتى تمكن من إيقاظه وأردف: "أبانا.. لقد أنقذونى!".

طرف الأب (ستون) بعينيه وانتصب جالساً وهو يقول: "من الذى
أنقذك؟".. فروى له الأب (برجيرين) كل ما حدث.. فقال الأب (ستون)
بضيق: "إن هذا حلم.. أو بالأصح كابوس.. اذهب يا أبانا إلى النوم
وارتح.. نعم، ثم أنت وبالونات السيرك التى تحبها".

"لكننى كنت مستيقظاً!".

"لا بأس!.. والآن اذهب يا أبانا وارتح قليلاً.. ارتح الآن".

"أنت لا تصدقنى، أليس كذلك؟.. هل معك مسدس؟ نعم!..
إذن أعطنى إياه".

ناول الأب (ستون) الأب (برجيرين) المسدس الذى أحضره معه
لحمايتهما من الحيات أو الحيوانات الأخرى التى لا يمكن معرفتها أو
التنبؤ بها.. وأمسك الأب (برجيرين) بالمسدس وقال: "سوف أثبت ذلك!"..
وأشار إلى المسدس الموجود بيده وأطلق طلقة.

"توقف يارجل بحق السماء!".

انطلق شعاع ضوئى.. وأمام أعينهما توقفت الرصاصة وهى عالقة
فى الهواء على مسافة بوصة من راحته المفتوحة.. ومكثت عالقة فى الجو
هكذا للحظة ويحيط بها ضوء متألق أزرق.. ثم سقطت الرصاصة وهى
تصفر فى التراب.

أطلق الأب (برجيرين) النار من المسدس ثلاث مرات - واحدة
على يده والثانية على ساقه والثالثة على جسمه.. الطلقات الثلاث حلقت
فى الجو وهى تتلألأ ثم لم تلبث أن سقطت عند أقدامهما كمجموعة من
الحشرات الميتة.

ترك الأب (برجيرين) ذراعه ليهبط إلى أسفل، وسقط المسدس من
يده بعد إطلاق الرصاصات وقال: "أتري؟ إنهم يعرفون.. إنهم يفهمون..
إنهم ليسوا حيوانات.. إنهم يفكرون ويقضون فى مختلف الأمور ويعيشون
فى جو أخلاقى.. اصغ إلى، ما الحيوان الذى ينقذنى من نفسى هكذا؟..
لا يوجد أبداً حيوان يستطيع أن يفعل ذلك.. فقط مخلوق آخر كالإنسان
يمكنه ذلك يا أبانا.. والآن، هل تصدقنى؟".

كان الأب (ستون) يراقب السماء والأضواء الزرقاء.. والآن، هبط على إحدى ركبتيه في صمت والتقط الرصاصات الدافئة وأغلق كفه عليها.. وأقفل راحته بقوة.. وكانت الشمس ترتفع من خلفهما إلى كبد السماء..

قال الأب (برجيرين): "أعتقد أنه من الأفضل النزول إلى الآخرين وإخبارهم بكل هذا وإحضارهم إلى هنا".. وفي ذلك الوقت كانت الشمس قد ارتفعت فعلاً إلى كبد السماء.. وكانا وقتئذ في طريقهما عائدين إلى الصاروخ..

رسم الأب (برجيرين) دائرة مستديرة وسط السبورة وقال: "هذا هو المسيح.. ابن الله".. وتظاهر بأنه لا يسمع أصوات تنفس الآباء الآخرين. وأردف: "نعم، هذا هو المسيح بعظمته ومجده".. وبعد فترة من التأمل قال الأب (ستون): "إن هذا يشبه عرض مسألة من مسائل الهندسة".

"إنها مقارنة جديدة.. لأننا نتعامل هنا مع الرموز.. فنحن يجب أن نفهم أن المسيح لا يقل قدره بتمثيله كدائرة أو مربع... إلخ، وطوال قرون عديدة كان الصليب يجسد حبه لنا وعذابه من أجلنا.. وعلى ذلك فإن هذه الدائرة سوف تمثل المسيح هنا على المريخ.. وهذه هي الطريقة التي يمكننا أن نحضره بها هنا إلى المريخ".

تلمل الآباء في ضيق ونظر بعضهم إلى بعض.. وأردف الأب (برجيرين): "وأنت يا أبانا (ماسياس) سوف تصنع في الزجاج صورة

طبق الأصل من هذه الدائرة.. أى تصنع كرة تشع ضوء متألّقا..
وسوف نضعها على مذبح الكنيسة.

غمغم الأب (ستون) قائلاً: "يا لها من حيلة سحرية رخيصة".

واصل الأب (برجيرين) حديثه فى صبر وهدوء قائلاً: "بالعكس،
فنحن نعطيهم الرب بصورة لا يمكن فهمها.. قلو كان المسيح جاعنا فى
الأرض على هيئة أخطبوط، هل كنا تقبلناه ببساطة؟"، وفرد يديه
وأردف: "هل كانت عندئذ حيلة رخيصة من الرب أن يحضر لنا المسيح
متجسداً فى صورة إنسان؟.. والآن بعد أن نبارك الكنيسة التى نبنيها
هنا ونكرس مذبحها وهذا الرمز، هل تعتقدون أن المسيح سوف يرفض
أن يتجسد فى الشكل الذى أمامنا؟.. أنتم تعرفون من صميم قلوبكم أنه
يرفض ذلك أبداً".

قال الأب (ماسياس): "ولكنه جسم حيوان بدون أى روح".

"لقد رأينا ما هو أكثر من ذلك مرات كثيرة منذ عودتنا فى هذا
الصباح يا أبانا (ماسياس).. هذه المخلوقات أنقذتنا من انهيار الصخور..
وأدركت أن قتل المرء لنفسه خطيئة ولذلك منعنا من تنفيذ ذلك مرة بعد
أخرى.. ولذلك لابد أن نبني كنيسة فى تلك التلال ونعيش معهم لكى
نتعرف على طرقهم الخاصة فى ارتكاب الخطايا.. ونتفهم سلوكيات تلك
المخلوقات العجيبة، وأن نساعدهم على معرفة الرب".

لم يبد أن الآباء كانوا سعداء من هذا التصور.

تساءل الأب (برجيرين): هل ذلك لأنها مخلوقات ذات شكل غريب على أعيننا؟.. ولكن قيل كل شيء لنفهم ما هو الشكل؟.. إنه مجرد وعاء أو غلاف للروح المتقدمة التي يهبها الرب لنا جميعاً.. فمثلاً: إذا وجدت غداً أن أسد البحر قد امتلك فجأة إرادة حرة وعقلاً مفكراً وإدراكاً متى لا تجوز الخطيئة وفهم ماهية الحياة ودمج العدالة مع الرحمة والحياة مع الحب.. سوف أبني لهم كاتدرائية تحت سطح البحر.. ولو تحصلت العصافير غداً بمعجزة - ويمشيئة الرب طبعاً - على أرواح دائمة لها، فسوف أشحن لها كنيسة بغاز الهيليوم ثم أقتفى أثرها لكي أوصلها لها.. ذلك أن كل الأرواح مهما كان شكلها إذا كان لها إرادة حرة وتذكر خطاياها؛ سوف تحترق في الجحيم ما لم تحصل على العشاء الرباني الصحيح.. وأنا أيضاً لن أترك كرة مريخية تحترق في نيران الجحيم، لأنها في نظري ليست سوى كرة.. وعندما أغلق عيني أجدها واقفة أمامي - أجد ذكاءً، حياً، روحاً - وأنا لا أستطيع تجاهل ذلك..

اعترض الأب (ستون) قائلاً: ولكن ما بال الكرة الزجاجية التي تريد وضعها على المذبح؟..

أجاب الأب (برجيرين) برباطة جأش قائلاً: "خذ حالة الصينيين.. ما هو نوع المسيح اللازم لعبادة الصينيين المسيحيين؟.. بالطبع المسيح شرقي.. لقد رأيتكم مشاهد الاحتفال بعيد ميلاد المسيح في الشرق.. ترى ما هي الملابس التي يرتديها المسيح؟.. إنها الثياب الشرقية.. وأين يسير؟.. في مبانٍ صينية من الخيزران والجبال الضبابية والأشجار

المعقوفة.. كما أن جفونه تصبح مستدقة وتبرز عظام وجنتيه.. كل دولة وكل جنس يضيف شيئاً إلى ربنا.. وأنا أتذكر هنا "عذراء جودالوبي"^(٤) التي يحبها كل شعب المكسيك.. لكن أتعرفون ما شكل جلدها؟.. هل رأيتم رسومات زيتية لها؟.. إن جلدها داكن مثل جلد عبادها".

تمهل الأب (برجيرين) برهة ثم أردف: "أوه، هل هذا تجديد؟.. مطلقاً.. لأنه ليس من المنطقي أن الناس سوف يقبلون ربا - مهما كان حقيقياً - لونه مختلف.. إننى عادة ما أتعجب لماذا تنجح تماماً بعثاتنا التبشيرية فى أفريقيا بمسيح أبيض بلون الثلج.. ربما لأن اللون الأبيض أو اللون الأصفر أو أى شكل آخر مقدس لدى القبائل الأفريقية.. ولو أخذ الوقت الكافى، ألا يمكن للمسيح أن يصبح داكن البشرة هناك أيضاً؟.. الحقيقة أن الشكل لا يهم، فالمضمون أو الجوهر هو كل شىء.. ونحن لا نتوقع أن يتقبل أولئك المريخيون شكلاً غريباً عليهم.. ولذلك سوف نعطيهم مسيحاً على نفس صورتهم".

قال الأب (ستون): "هناك خلل فى تصورك يا أبانا.. ألا يمكن أن يشك المريخيون فى أننا منافقون؟ فسوف يدركون أننا لا نعبد مسيحاً كروياً مستديراً وإنما رجل له يداً ورجلان ورأس.. فكيف يمكن لنا أن نشرح لهم الفرق".

(٤) اسم كنيسة فى المكسيك شيدت فى المكان الذى تجلت السيدة مريم العذراء لفلاح مكسيكى فى ٩ ديسمبر عام ١٥٢١ ميلادى. (المترجم).

بأن نوضح لهم أنه ليس هناك فرق!.. المسيح سوف يملأ أى وعاء يقدم له.. فسواء كان جسماً بشرياً أو كرة فإنه موجود هناك.. وكلا الجنسين سوف يعبد نفس الجوهر أو الكيان ولكن فى شكل مختلف.. وأكثر من ذلك علينا أن نؤمن بالكرة التى نعطيها للمريخيين.. بمعنى أنه علينا أن نؤمن بشكل لا معنى له لنا كما هو عليه.. لأن هذه الكرة سوف تكون المسيح.. ولا بد أن نتذكر أننا أنفسنا وأيضاً شكل مسيحنا الأرضى لن يكون لنا أى معنى للمريخيين بل سيعتبروننا كائنات سخيفة وأكواماً وأشكالاً عجيبة من المادة..

وضع الأب (برجيرين) أصبع الطباشير جانباً وأردف: "والآن لنخرج إلى التلال ونبدأ فى بناء الكنيسة".. وعلى الفور شرع الآباء فى حمل أمتعتهم وأجهزتهم.

لم تكن الكنيسة كنيسة بالمعنى المعروف، وإنما كانت منطقة تم إخلاء الصخور منها.. بقعة منبسطة فوق أحد الجبال المنخفضة.. تربتها ناعمة وممشطة.. وهناك مذبح قائم، حيث وضع عليه الأب (ماسياس) الكرة المضوأة التى صنعها.

وبعد انتهاء ستة أيام من العمل أصبحت "الكنيسة" جاهزة.. ودق الأب (ستون) جرساً حديدياً كان أحضره معه وتساعل: "ما الذى سنفعله بهذا؟.. ما الذى يعنيه الجرس لهم؟".

وافقه الأب (برجيرين) بقوله: "أتصور أننى أحضرته لمصلحتنا نحن.. فنحن نريد بعض أشياء مألوفة لنا.. فهذه الكنيسة تبدو بالفعل

صغيرة جداً.. ونحن نشعر بنوع ما من الحيرة والحماسة.. حتى أنا.. لأن
هذا شيء جديد علينا.. أقصد ما نقوم به من هداية تلك المخلوقات
الموجودة لعالم آخر إلى دين جديد..

أنا أشعر أحياناً بأننى أقوم بدور ممثل سخيف.. ولذلك أبتهل إلى
الرب أن يمنحنى القدرة والشجاعة..

"لكن الكثير من الآباء غير سعيد بما حدث.. وبعضهم يضحك من
كل هذا.. يا أبانا (برجيرين)".

"أعرف ذلك.. ولذلك سوف نضع على أى حال هذا الجرس فى أحد
الأبراج من أجل راحتهم وطمأنيتهم".

"وماذا بشأن آلة الأرغن".

"سوف نعزف عليها فى القداس التالى غداً".

"ولكن المريخين...".

"أعرف.. ولكن مرة أخرى سوف نعزف موسيقانا من أجل راحتنا..
وفيما بعد سوف نكتشف موسيقاهم هم".

نهضوا مبكراً جداً صباح يوم الأحد وتحركوا خلال الجو البارد
كمجموعة من الأشباح.. وكرات الصقيع ترن على ملابسهم كما لو كانت
أجراس ببرج كنيسة.. وأخذوا يهزون ملابسهم ليساقط منها شلال من
المياه القضيبة.

قال الأب (برجيرين) وهو سارح فى تأملاته: "إننى أتساءل: هل هنا يوم أحد أيضاً على المريخ؟" ولما رأى الأب (ستون) يجفل، بادر بالإسراع وأردف: "ربما يكون اليوم الثلاثاء أو الخميس.. من يدري؟" على أى حال هذا لا يهم.. إنه مجرد تصور لى.. عمومًا إنه يوم الأحد بالنسبة إلينا جميعاً.. هيا".

سار الآباء واقتربوا من البقعة الواسعة المنبسطة للكنيسة وركعوا وهم يرتعدون وشفاهم زرقاء من شدة البرودة. ونطق الأب (برجيرين) بصلاة قصيرة ووضع أصابعه الباردة على مفاتيح الأرغن.. وتصاعدت النغمات الموسيقية كسلم من الطيور الجميلة الصاعدة فى السماء.. وكان يلمس المفاتيح كرجل يحرك يديه بين الأعشاب بحديقة مهجورة لا يعنى بها أحد.. وحلقت النغمات الجميلة عاليًا بين التلال والجبال..

لطفت الموسيقى الهواء.. وفاحت منها رائحة الصباح النضرة.. وتسلفت الموسيقى بين الجبال، وعلى أثرها تساقطت بعض المواد المعدنية المسحوقة فى أقطار ترابية.. وانتظر الآباء بعض الوقت.

حدق الأب (ستون) فى السماء الخالية بينما كانت الشمس تشق طريقها وسط السماء وقال: "حسنًا.. يا أباءنا (برجيرين).. أنا لا أرى أصدقاءنا.. ترى أين ذهبوا؟"

أجاب الأب (برجيرين) وهو يتصيب عرقًا: "دعنى أحاول مرة أخرى".

عزف إحدى سيمفونيات (باخ) .. كمن يشيد بناء من حجر رائع وراء آخر .. أو كمن يعلى كاتدرائية ضخمة من الموسيقى، بحيث يصل أعلى هيكل لها إلى "نينوى"^(٥) .. وأبعد قبة لها إلى يسار كنيسة القديس بطرس .. ومكثت الموسيقى ولم تصطدم بالأطلال بعد انتهائها، ولكنها اندمجت في سلسلة من السحب البيضاء ولم تلبث أن انسابت إلى بعيد خلال أراض بعيدة جداً .. بيد أن السماء كانت لاتزال خالية.

قال الأب (برجيرين): "سوف يأتون!" وفي تلك اللحظة أحس بخوف يذب في صدره وأخذ هذا الخوف يتعاظم تدريجياً .. وأردف: "دعنا نصلى ونبتهل .. دعنا نطلب منها أن تأتي .. إنها تقرأ أفكارنا وتفهمنا".

انحنى الآباء مرة أخرى وارتفع صوت حفيف ملابسهم وهمسات صلواتهم ودعائهم .. وعندئذ فجأة من اتجاه الشرق .. من بين الجبال الجليدية في السابعة تماماً من صباح يوم الأحد أو ربما الثلاثاء أو الخميس فوق سطح المريخ .. أقبلت الكرات المضيئة الناعمة ..

حلقت الكرات وهبطت وملأت المكان من حول القساوسة المرتجفين من شدة البرد .. وأغلق الأب (برجيرين) عينيه بقوة واستمر في عزف الموسيقى وقال: "أشكرك .. نعم أشكرك يا إلهي" .. وعندما فرغ من

(٥) مدينة آشورية قديمة كانت تقع شرقي جنوب مدينة الموصل بالعراق اشتهرت بمعبد الآلهة عشتار التي كان الآشوريون يقدسونها. (المترجم).

العزف استدار وصدق فى جمع المصلين المدهش العجيب من حوله.. ثم سمع فى عقله صوتاً غريباً يقول:

"لقد جئنا إلى هنا لبعض الوقت فقط".

قال الأب (برجيرين): "ويمكنكم أيضاً البقاء".

قال الصوت بهدوء شديد: "لبعض الوقت فقط.. وجئنا لنخبركم ببعض الأشياء المحددة.. لعله كان المفروض أن نتحدث إليكم من قبل.. لكننا كنا نأمل أن تنصرفوا لحال سبيلكم إذا تركناكم بمفردكم".

بدأ الأب (برجيرين) فى الكلام لكن أوقفه الصوت الغامض فى الحال.. وأضاف الصوت: "نحن القدماء".. ودخل الصوت فى عقله كسيل غاز متدفق ويحترق فى ثناها رأسه.. وواصل الصوت:

"نحن المريخين القدماء الذين تركنا مدننا الرخامية وذهبنا إلى الجبال متخلين عن الحياة المادية التى عشناها من قبل.. وعلى ذلك فقد أصبحنا منذ وقت طويل جداً تلك الأشياء التى نحن عليها وترونها الآن.

كنا ذات مرة بشراً، لنا أجسام وسيقان وأذرع مثلكم تماماً.. ويقال إن واحداً منا وهو إنسان صالح اكتشف طريقة لتحرير روح وفكر الإنسان.. تحريره من متاعب الجسد والكآبة السوداوية.. من الموت وتغيير الشكل أو المظهر الخارجى.. من سوء الأخلاق وخرف الشيخوخة.. ولذلك اتخذنا مظهر البرق والنار الزرقاء وعشنا بعد ذلك

وسط الرياح والسموات والتلال إلى الأبد.. لكن بلا تفاخر أو تكبر.. بلا ثراء أو فقر.. بلا عواطف أو برود تام..

"وعشنا منعزلين عن أولئك الذين تركناهم خلفنا.. البشر الآخرين على ظهر هذا الكوكب.. ثم نسينا كيف أصبحنا على ما نحن عليه الآن.. نسينا تلك الكيفية تماماً.. بيد أننا لن نموت أبداً، وفي نفس الوقت فإننا لن نؤذى أحداً.. تركنا وراعنا خطايا الجسد وعشنا في رعاية ونعمة الله.. ونحن لا نشتهي ممتلكات الغير، كما أنه ليس لنا ممتلكات أصلاً.. نحن لا نسرق ولا نقتل ولا نشتهي ولا نكره أحداً..

"نحن نعيش في سعادة.. لا نستطيع أن نتجرب أو نتكاثر.. لا نأكل ولا نشرب ولا نشن حرباً على أحد.. كل الرغبات الحسية والطفولية وخطايا الجسد نزعنا منا كلية عندما تخطينا عن أجسامنا.. نحن تركنا الخطايا وراعنا يا أبانا (برجيرين) وتلاشت تلك الخطايا كما تزوى أوراق الأشجار في فصل الخريف.. تبددت مثل ثلج ملوث في شتاء قارس.. ذهب مثل زهور جنسية لنبات مزدهر أحمر وأصفر.. ذهب مثل الليالي اللاهثة لأكثر مواسم الصيف سخونة.. وموسمنا الآن معتدل ومناخنا الآن ثري بالفكر والتأمل".

كان الأب (برجيرين) يقف في ذلك الوقت.. لأن الصوت الخفى لمس عقله بطبقة صوتية عالية لدرجة زلزلات كل حواسه.. كان يشعر داخله بنشوة ونار تكتسح روحه كلها.. وواصل الصوت حديثه قائلاً:

”ونريد أن نقول لكم إننا نقدر مجهودكم فى بناء هذا المكان لنا..
بيد أننا لسنا فى حاجة إليه قط.. لأن كلا منا يحمل معبداً داخل نفسه
ومن ثم لا يحتاج إلى مكان ما لتطهير نفسه من الخطايا.. واعذرونا لعدم
مجيئنا إليكم بسرعة، غير أننا نعيش منفردين ومتباعدين عن بعضنا
البعض ولم نتكلم مع أحد قط منذ آلاف السنين، بل لم نتدخل بأى طريقة
كانت فى حياة المخلوقات على ظهر هذا الكوكب..

”وقد دار بخلدكم الآن أننا عبارة عن زهور السوسن فى الحقول..
ولكننا فى الحقيقة لا نكدح ولا ندور أبداً.. غير أنكم على حق.. ونحن
نقترح عليكم أن تأخذوا أجزاء هذا المعبد معكم إلى مدنكم الجديدة التى
أنشأتموها على هذا الكوكب لكى تستخدموه فى تطهير الآخرين..
وعليكم أن تطمئنوا تماماً علينا حيث إننا نؤكد لكم أننا نعيش هنا فى
سعادة وأمان وسلام.”

كان الآباء راكعين على ركبهم تحت هذا الضوء الأزرق الهائل..
وكان الأب (برجيرين) راكعاً أيضاً معهم.. وقد استسلموا للبكاء..
ولم يعبأ أحدهم بالمرّة بالوقت الذى أضاعوه هنا.. لم يهتم أحد منهم
بذلك قط.

حدثت الكرات الزرقاء إلى بعضها البعض بصوت كالغمغم، ثم
بدأت تصعد إلى أعلى مرة أخرى بينما هبت نسمة من الهواء البارد
العليل. صاح الأب (برجيرين)، وهو لا يجرف على السؤال وعيناه
مغلقتان: ”ولكن هل يمكنى.. هل يمكنى أن أعود مرة أخرى فى يوم ما

لعلى أتعلم شيئاً منكم؟" .. غير أن النيران الزرقاء توهجت أكثر وارتجف الهواء من الرهبة.

كان متأكداً أنه سوف يعود إلى هنا فى يوم من الأيام .. نعم فى يوم ما .. وفى تلك اللحظة أسرعت البالونات النارية بالابتعاد حتى اختفت تماماً .. وكان الأب (برجيرين) راكعاً على ركبتيه كطفل منبهر والدموع تنساب على خديه ويصرخ قائلاً لنفسه: "ارجعوا! .. ارجعوا!" .. وفى أى لحظة سوف يأتى الجد ليرفعه ويحمله إلى غرفة نومه بالطابق العلوى بمدينة إلينوى القديمة.

أخذوا يهبطون من على الجبل فى طابور وقت غروب الشمس .. ونظر الأب (برجيرين) وراء ظهره ورأى النيران الزرقاء تتوهج .. وحدث نفسه قائلاً: "لا .. نستطيع أن نبني كنيسة لكائنات مثلكم .. إنكم المذهلة والجمال الساحر .. ما هى الكنيسة التى تنافس الألعاب والقدرات النارية لأرواح خالصة؟".

سار الأب (ستون) فى صمت بجواره .. وأخيراً تكلم: "ما أراه الآن معناه وجود حقيقة على سطح كل كوكب .. وكل تلك الحقائق مجتمعة تمثل الحقيقة الضخمة الكاملة .. أى أنهم فى يوم ما سوف يضمون كل تلك الحقائق إلى بعضها البعض كقطع الألغاز الخشبية المصورة التى تظهر صورة واحدة بعد ضمها كلها إلى بعضها بعضاً ..

"لقد كانت هذه تجربة مذهلة ومثيرة، ولن أشكو بعد الآن أيها الأب (برجيرين) .. لأن الحقيقة هنا حقيقية مثل الحقيقة على الأرض،

وهما يسيران بجوار بعضهما البعض.. وسوف نذهب إلى كواكب أخرى ونزيد من مجموع أجزاء الحقيقة الموزعة حتى يجيء يوم نجد فيها أمامنا الحقيقة الكاملة هائلة مثل فجر يبرغ ليوم جديد.

هذا أكثر مما توقعت منك أيها الأب (ستون).

غير أنني أسف الآن بشكل ما.. لأننا نهبط إلى القرية للتعامل مع جنسنا البشري ذاته.. والآن تلك الأضواء الزرقاء.. لقد استقرت بعيداً عنا، ولكن هذا الصوت الخفى!

وارتعد الأب (ستون)، ومد الأب (برجيرين) يده للإمساك بذراعه الأخرى.. وسارا معاً بجوار بعضهما البعض.

وأخيراً قال الأب (ستون) وهو يثبت عينيه على الأب (ماسياس) الذى أسرع أمامهما الخطى حاملاً الكرة الزجاجية برقة بين ذراعيه.. تلك الكرة الزجاجية التى تصدر ضوءاً متألّقاً من داخلها بدون توقف إلى الأبد: أتعرف، أتعرف يا أبانا (برجيرين) أن هذه الكرة التى أمامنا... نعم، أعرف ماذا؟

إنها هو.. إنها هو بكل تأكيد.

ابتسم الأب (برجيرين)، وواصل هبوطهما من على الجبل باتجاه القرية الجديدة فى هدوء.

الليلة الأخيرة من عمر كوكب الأرض

قال لزوجته "ماذا تفعلين لو علمت أن هذه هي الليلة الأخيرة من عمر كوكب الأرض؟".

أجابته مندهشة "ماذا أفعل؟ هل أنت جاد فى هذا السؤال؟".

- "نعم، إنتى جاد بالفعل".

"لا أدرى، فأنا لم أفكر فى هذا الأمر من قبل".

عندئذ صب لهما بعض القهوة، وخلفهما كانت ابنتاهما الصغيرتان تلهوان بلعبة المكعبات، فوق سجادة حجرة الاستقبال، فى ضوء المصابيح الإحصارية^(١) الخضراء، وشاع فى هواء المساء، أريج منعش ونقى لنكهة البدن المعتق.

قال "حسناً، من الأفضل أن تبدئى التفكير فى الأمر".

قالت "إنك لا تعنى ما تقول!".

(١) مصباح مزود بالتيار الكهربائى وله مدخنة رُجاجية. (المترجم).

أوماً برأسه كدلالة على الإيجاب، بأنه يعنى ما يقول.

تساءلت "هل هى حرب عالمية؟".

هز رأسه بالنفى.

عادت تتساءل "أهى قنبلة هيدروجينية أم ذرية؟".

أجابها "لا".

"أم حرب جرثومية^(٢)؟".

قال "ليس كل هذا" وأخذ يحرك قهوته بتؤدة بواسطة ملعقة

صغيرة.

ثم استطرد قائلاً: "إن الأمر لا يعدو أن يكون مثل طى كتاب كان

مفتوحاً".

"لا أظننى أفهم ما تقول".

قال "أصدقك القول بأننى أيضاً لا أفهم! إنه مجرد إحساس يملكنى،

أحياناً يروعنى وأحياناً أخرى يتركنى فى سلام داخلى".

حدق فى ابنتيه وشعرهما الأشقر يتوهج فى ضوء المصابيح.

تريث لبرهة ثم قال: "... لم أبلغك بأى شىء، ولكن الأمر حدث منذ

نحو أربع ليال".

(٢) استخدام الجراثيم الضارة كالبكتيريا والفيروسات كسلاح. (المترجم).

”ما الذى حدث؟“

”إنه مجرد حلم. فقد تراءى لى فى المنام، أن الحياة سوف تنقرض من على كوكبنا، وينتهى كل شىء، وجاعنى صوت يؤكد هذا الأمر، لم يكن صوتاً مثل باقى الأصوات التى أتذكرها، ولكنه صوت على أية حال، وقال بأن كوكب الأرض قد حانت نهايته، ولم يشغل بالى ذلك الحلم كثيراً فى اليوم التالى، ولكنى عندما ذهبت إلى عملى تعجبت عند رؤيتى زميلى (ستان وىليس) يتطلع شارداً الذهن إلى خارج نافذة المكتب، بعد الظهر، فسألته عما شغل تفكيره إلى هذا الحد، فأجابنى بأنه تراءى له حلم فى الليلة الماضية. وقبل أن يحكى لى الحلم، كنت أعرف تفاصيله، وكان يمكننى أن أقصه عليه، إلا أنه واصل الكلام فاستمعت إليه“.

تساءلت زوجته ”هل كان نفس حلمك؟“.

قال ”أجل نفس الحلم. وأخبرت (ستان) بأن الحلم نفسه تراءى لى أيضاً. ولم تنتبه الدهشة. بل إنه - فى حقيقة الأمر - بدا وكأنه قد تحرر من التوتر الذى كان يشعر به من قبل. ثم أخذنا نتجول فى مقر العمل، دون هدف معين. ولم تكن نتوى ذلك. ولم نقل لأنفسنا دعنا نتجول بين المكاتب. بل أخذنا نسير هناك بغير هدى، وفى كل مكان وجدنا زملاء، ينظرون إلى مكاتبهم أو يحملقون فى أيديهم أو يحدقون عبر النوافذ. تحدثت إلى البعض منهم، وكذلك فعل (ستان).

”وهل تراءى الحلم نفسه للجميع؟“

نعم، تراءى الحلم نفسه لجميع الزملاء، دون أدنى اختلاف.

هل تصدق ما جاء بالحلم؟

بالطبع، فلم أكن واثقاً فى حياتى، مثل ثقتى فى هذا الحلم.

ومتى تتوقف الحياة؟ أعنى فوق الأرض.

خلال الليل هنا فى الولايات المتحدة، ثم بعد هذا عبر كل العالم، وأعتقد أن الأمور كلها سوف تنتهى خلال أربع وعشرين ساعة.

جلسا لهنيهة لا يلمسان فنجائى قهوتيهما، ثم رفعاهما بتؤدة وأخذا يرتشفائهما، وهما يتطلعان إلى بعضهما البعض.

قالت الزوجة "هل نستحق مثل هذه النهاية لحياتنا؟".

"القضية لا تتعلق بالاستحقاق. ولكن يبدو أن الأمور لم تنجز كما كان مقدراً لها، لقد لاحظت أنك حتى لم تناقشى الموضوع، وأتساءل لم؟"

"أعتقد أن لدى أسباباً لهذا".

"أتعنين ذلك الحلم الذى تراءى للجميع فى مقر العمل؟"

أومأت له برأسها بتؤدة ثم قالت: "لم أشأ أن أقول أى شىء، لقد حدث الأمر فى الليلة السابقة، وتحدثت عنه اليوم النساء القاطنات فى هذه المنطقة، فيما بينهن. لقد تراءى لهن الحلم نفسه، وأعتقد أن الأمر محض مصادفة.

وتناولت جريدة المساء، وأردفت: "لم تنشر الصحيفة شيئاً عن هذا الموضوع".

"أصبح الجميع يعلمون بهذا الأمر، فلا حاجة للنشر".
استلقى على مقعده، وراح يراقبها: "هل تشعرين بالخوف؟".
"كلا، لقد اعتقدت دائماً أنني ساكون خائفة في مثل هذا الموقف،
ولكنني في حقيقة الأمر، لست خائفة".

"أين ذلك الإدراك الروحي الذي يطلق عليه غريزة البقاء،
والذي تحدثوا عنه مراراً وتكراراً؟"

"لا أدري. إنك لا تشعر بالاستشارة البالغة. إذا بدت لك الأمور
منطقية. وهذا الأمر منطقي، حيث إنه مؤكد الحدوث كنتيجة لأسلوب
حياتنا نحن البشر".

"لم نكن أشراراً إلى هذا الحد، أليس كذلك؟"
"بلى بالطبع. ولكننا أيضاً لم نكن على قدر كبير من الطهارة
والبراءة. والرأي عندي أن هذا هو ممكن المشكلة، حيث إننا لم نكن نهتم
إلا بأنفسنا فقط، في الوقت الذي كان يعاني فيه جزء كبير من العالم،
من أشياء فظيعة تقوض كيانه".

وفي أثناء حديثهما أخذت الابنتان تضحكان في الرواق.
قال: "كنت أعتقد دائماً أن الناس سوف يصرخون في الشوارع
عندما يعلمون بأن العالم سوف ينتهي".

قالت "لا أعتقد هذا . إنك لا تصرخ فى مواجهة المصير المحتوم".

"أتعلمين أننى لن أفقد شيئاً إلا أنت وابنتينا، فلم أحب قط المدن أو العمل الذى أؤديه أو أى شىء آخر، فقط أحببتكن أنتن أيتها العزيزات الثلاث، لن أفقد شيئاً إلا - ربما - التغير فى حالة الطقس، وكوباً من الماء المثلج فى يوم حار، وربما أفقد أيضاً النوم. ولكن أخبرينى كيف يمكننا أن نجلس هنا، ونتحدث على هذا النحو؟

"لأنه ليس ثمة شىء آخر نفعله".

"هذا هو - بالطبع - بيت القصيد، لأنه لو كان هناك ما يمكن عمله لقمنا به. أعتقد أنها المرة الأولى فى تاريخ العالم، أن كل شخص يعلم تماماً ما الذى سوف يفعله خلال الليل".

قالت: "يتملكنى الفضول بخصوص ما سوف يفعله الآخرون فى هذا المساء، وخلال الساعات القليلة القادمة".

"ربما يذهبون إلى أحد العروض المسرحية، أو يستمعون المذيع، أو يشاهدون التلفاز، أو يلعبون بأوراق اللعب، أو يضعون أطفالهم فى فروشهم، ثم يخلدون هم أيضاً إلى النوم فى أسررتهم، كعادتهم كل يوم".

"بشكل ما، إنه شىء يدعو للفخر، كما كان الأمر دائماً".

جلسا للحظات صامتتين ثم قام الزوج بصب فنجان آخر من القهوة لنفسه.

قالت الزوجة "لماذا تعتقد أن النهاية ستكون هذه الليلة؟"
"لأن...".

قاطعته قائلة: "لماذا لا تكون ليلة أخرى فى القرن الماضى أو منذ
خمسة قرون أو عشرة قرون؟"

"ربما لأنه لم يوجد قط يوم ١٩ أكتوبر ١٩٦٩ من قبل، عبر تاريخ
الأرض. وها هو ذا قد أتى. إن هذا اليوم يعنى الكثير، أكثر من أى يوم
آخر. ففي تلك السنة أصبحت الأمور متشابهة فى كل أنحاء العالم.
حروب مدمرة فى كل مكان. لهذا ستكون نهاية البشر".

"ثمّة قاذفات قنابل تنفذ مهام حربية عبر المحيط فى هذه الليلة،
ولكنها لن تتمكن من قذف أية قنابل أبداً".

"هذا هو جزء من أسباب عدم مناقشتى للموضوع".

قال وهو ينهض من مكانه: "حسناً. والآن ماذا نفعل؟ هل نغسل
الصحون؟".

قاما بغسل الصحون ووضعاهما فى كومة مرتبة ونظيفة. وفى نحو
الثامنة والنصف وضعا ابنتيهما فى فراشهما، وقبلاهما متمنين لهما ليلة
سعيدة وأضاءا لهما نوراً ضعيفاً بجانب فراشهما وتركا باب حجرة
النوم مفتوحاً قليلاً.

وبينما كان يأتى من حجرة النوم ومحددًا إلى الخلف بين فترة
وأخرى، ووقف للحظات يدخل غليونه ثم قال: "إننى أتساءل".

عن ماذا؟

عما إذا كنا سوف نغلق الباب أم نتركه مفتوحاً جزئياً، حتى ينسل إليهما بعض الضوء.

تري أتعرف ابتنانا بنهاية العالم؟

بالطبع لا تعرفان.

جلسا وأخذا يقرآن الصحف ويتحدثان ويستمعان إلى بعض الموسيقى التي يبيثها المذياع ثم اقتريا من المدفأة وأخذا يحدقان في جمرات الفحم.

ومر الوقت سريعاً، فقد دقت الساعة العاشرة والنصف ثم الحادية عشرة والحادية عشرة والنصف. وكانا يفكران في كل الناس الآخرين في العالم، وكيفية قضائهم لهذه الليلة الأخيرة، كل شخص وفق طريقته الخاصة.

قال أخيراً "حسناً".

ثم قبل زوجته طويلاً.

قالت "لقد عشنا حياة هادئة وكنا طيبين لبعضنا البعض".

سألها: "أترغبين في البكاء؟"

أجابته "لا أعتقد ذلك".

تحركا معاً فى أرجاء المنزل وأطفأ الأنوار ودلفا إلى حجرة نومهما،
ووقفا فى ظلام الليلة الباردة، ثم خلعا ملابسهما وأزاحا أغطية الفراش..

قال "كم هى نظيفة ورائحة تلك الملاءات".

قالت: "إننى متعبة".

"إن كل منا يشعر بالتعب".

ذهبا إلى الفراش وتمددا عليه.

قالت: "أمهلنى لحظة واحدة".

سمعها وهى تنهض من على الفراش وتذهب إلى المطبخ، وعادت
بعد هنيهة. وقالت: "لقد تركت صنبور المياه فى المطبخ مفتوحاً!".

كان الأمر مضحكاً للغاية، حتى أنه لم يملك إلا أن يضحك وضحكت
زوجته معه، فقد كان ما فعلته أمراً يثير الضحك بالفعل.

توقفا عن الضحك بعد لحظات، واستلقيا على فراشهما البارد،
ويدهما متعانقتان ورأساهما متلاصقان معاً.

وبعد لحظات قال هامساً: "طابت ليلتك".

قالت: "طابت ليلتك".

المروج الرهيبة

قالت (ليديا) لزوجها وأمارات القزع على وجهها:
"(جورج)، أرجو أن تلقى الآن نظرة على حجرة الألعاب
الإليكترونية لطفلينا".

"لا بأس، ولكن ما المشكلة هناك؟"

بدت الحيرة واضحة في صوت الزوجة وهي تقول:

"لا أعرف بالضبط ما إذا كانت هناك مشكلة أم لا!"

"ما دام الأمر كذلك، فما هو وجه السرعة في ذهابي إلى حجرة
الألعاب الإليكترونية؟"

"فقط أريدك أن تلقى نظرة على الحجرة، هذا هو كل ما في الأمر..
أو تستدعى طبيباً نفسياً ليعاينها".

"وما الذى يهتم به طبيب نفسى فى حجرة الألعاب الإليكترونية".

قالت زوجته: "أنت تعرف جيداً ما سوف يهتم به هناك
و... و... وترثش لبرهة وهي واقفة فى منتصف المطبخ تراقب الموقد وهو

يدندن مع نفسه ويعد لهم طعام العشاء لأربعة أفراد.. وأردفت: "إن حجرة طفلينا أصبحت مختلفة الآن يا (جورج) عن ذى قبل".
"حسناً جداً.. لنلق نظرة عليها الآن".

سارا فى صالة منزلهما السعيد المجهز لامتناس الأصوات، الذى كلفهما ثلاثين ألف دولار لتلك التجهيزات.. إن هذا المنزل يطعمهم ويلبسهم ملابسهم ويهزهم حتى يناموا ويلعب معهم ويغنى لهم ويفعل كل ما فيه راحتهم. وشغل اقترابهما مفتاح موجود بمكان ما ومن ثم انطلق الضوء عليهما عندما أصبحا على مسافة ثلاثة أمتار من باب الحجرة.. وبالمثل انطفأ النور خلفهما وفى كل الغرف بالمنزل أخذت الأنوار تضىء وتتطفئ بمجرد دخولهما وخروجهما منها بطريقة أوتوماتيكية دقيقة.

قال (جورج هادلى): "حسناً جداً.. ها قد وصلنا إلى حجرة الألعاب الإليكترونية".

وقفا على أرضية حجرة الأطفال المغطاة بالقش.. كان طولها يبلغ ١٢ متراً وعرضها ١٢ متراً وارتفاعها تسعة أمتار. وكلفتها تلك الحجرة نصف تكلفة المنزل بأكمله.. وقال (جورج): "لكن لا يوجد شىء مبالغ فيه بالنسبة إلى طفلينا".

كانت حجرة الألعاب الإليكترونية ساكنة وفارغة كبقعة من الغابة وقت اشتداد القيظ فى الظهيرة.. كانت جدرانها مصمتة وثنائية البعد، والآن أثناء وقوف (جورج) و(ليديا هادلى) فى منتصف الغرفة، بدأت

الجدران تهر كالقطط وتنكش إلى أسطح بلورية شفافة، وظهرت على الفور مروج أفريقية ممتدة في ثلاثة أبعاد من جميع النواحي.. ويألوان تضاهي بالضبط تلك الحصى الصغيرة والرمال والقليل من القش المتناثر هنا وهناك.. وأصبح السقف فوقهما عبارة عن سماء عميقة تسطع فيها شمس صفراء متقدة.

شعر (جورج هادلي) بالعرق يتساقط من على حاجبيه وقال: "لنخرج الآن من تحت هذه الشمس الملتهية.. إن هذا يبدو حقيقياً فعلاً، ولكنني لا أرى شيئاً خطأ أو غير سليم".

قالت زوجته: "لا، بل انتظر لحظة وسوف ترى أشياء غريبة".

في تلك اللحظة بدأت أجهزة خفية تطلق تياراً هوائياً به رائحة ما على الشخصين الواقفين في منتصف المرج الحار.. وكانت هذه الرائحة خليطاً من رائحة القش والعشب الساخن الذي تجثم عليه الأسود ورائحة نفاذة موحية بالبرودة لبثر ماء خفية في الجليد ورائحة نتن للحيوانات ورائحة الغبار التي تشبه رائحة الفلفل الحلو في الهواء المحمى.. ثم سمعا أصواتاً، صوت وقعة أو هبدة بعيدة لظبي على بقعة من الأعشاب، خشخشة أوراق الشجر من جراء اختراق النسور لها، ومر ظل ما في السماء فوقهما.. وخفق الشبح بجناحيه على (جورج هادلي) وهو رافع رأسه إلى أعلى ووجهه ميل بالعرق.

على الفور سمع زوجته تصيح: "يا لها من مخلوقات قذرة.. فقال: "أتعنين النسور؟" فقالت: "كما ترى ثمة أسود موجودة هناك من

هذه الناحية.. وهى الآن فى طريقها إلى بركة الماء لتشرب منه..
لقد كانت تلتهم شيئاً ما لتوها.. لكننى لا أعرف ماذا أكلت.

رفع (جورج هادلى) يده لكى يحجب وهج الشمس عن عينيه وقال:
"لا شك أنه حيوان ما.. حمار وحشى مخطط مثلاً أو زرافة صغيرة
أو شيء من هذا القبيل".

بدت زوجته مضطربة بشكل واضح وقالت: "هل أنت متأكد
من ذلك؟"

أجاب زوجها وهو يبتسم: "لا، فقد فات الأوان لكى أتأكد من ذلك..
إننى لا أرى شيئاً هناك سوى عظمة خالية من اللحم والنسور هابطة
لأكل أى شيء متبق بها".

سألته: "ألم تسمع تلك الصرخة المبروة؟"

أجابها قائلاً: "بلى".

"تلك الصرخة التى انطلقت منذ دقيقة تقريباً؟" فقال: "أسف،
لم أسمع شيئاً، إنه خيالك".

كانت الأسود تقترب منهما.. ومرة أخرى امتلاً (جورج هادلى)
بالإعجاب من المهندس صاحب هذه العبقرية الميكانيكية الذى صمم هذه
الحجرة.. إنها معجزة من الكفاءة مباعه بمبلغ بخس.. كل منزل يجب أن
يكون به مثل هذا.. كل شيء هنا ربما يخيفك من وقت إلى آخر بدقته
الشديدة وربما يدهشك ويجعلك تشعر بوخز فى جسمك، ولكنك تشعر

فى معظم الأوقات بمتعة وسرور.. وليس فقط ابنك أو ابنتك.. ولكن أنت نفسك حين تشعر بأنك فى نزهة سريعة إلى أرض غريبة عنك.. مجرد تغيير فى المشاهد والمرئيات.. حسناً، هذا هو ما يحدث هنا.

والأسود موجودة الآن، على بعد خمسة أمتار منك.. وهى حقيقية للغاية وساخنة جداً لدرجة أنك تحس بفرائها الساخن على يدك، وفمك يمتلئ برائحة وبر جلودها المترية الساخنة.. ولونها الأصفر اللامع يبدو لعينيك كصفار الأقمشة الفرنسية المصورة النفيسة، إنه صفار الأسود والأعشاب الصيفية.. علاوة على صوت الرئات المتلبدة للأسود وهى تطلق زفيرها فى هواء الظهيرة المحمى الساكن.. ورائحة اللحم النئى المنبعثة من أفواهها اللاهثة التى يتقاطر اللعاب منها.

وقفت الأسود تحملق فى (جورج) و(ليديا هادلى) بعيونها المروعة ذات اللون الأخضر المائل إلى الأصفر.. وصرخت (ليديا): "احترس!"

انطلقت الأسود تجرى باتجاههما.. وعلى الفور ركضت (ليديا) هاربة.. أما (جورج) فقد وثب غريزياً وراءها.. وفى الخارج فى الصالة بعد أن صفق الباب وراءه بقوة، أخذ يضحك بينما استسلمت هى للبكاء ووقف كل منهما مندهشاً من رد فعل الآخر.

قالت: "(جورج!).. وقال هو: "(ليديا!).. أه يا عزيزتى الرقيقة البائسة!"

"لقد كادت الأسود تفتك بنا يا حبيبي!"

"إنها الجدران يا (ليديا)، تذكرى ذلك.. الجدران البلورية الشفافة، هذا هو كل ما هنالك.. أوه، إنها تبدو حقيقية للغاية ويجب أن أعترف بذلك.. من يصدق أن أفريقيا موجودة بمنزلنا، ولكنه مجرد فيلم فائق الإثارة وفائق الحساسية ثلاثى الأبعاد وملون، وهو فيلم ذهنى معروض خلف شاشات بلورية شفافة.. إنها مجرد أجهزة تطلق أصواتاً وروائح يا (ليديا).. خذى منديلى هذا".

تقدمت نحوه وارتفعت فى حضنه وبكت قائلة: "إننى خائفة.. هل رأيت هذا؟.. هل شعرت به؟.. إنه حقيقى تماماً!".

قال زوجها: "نعم، ولكن الآن.. (ليديا)..."

"يجب أن تخبر (ويندى) و(بيتر) ألا يقرأ المزيد عن أفريقيا".

ربت على رأسها وقال: "بالطبع، بالطبع يا حبيبتى.. اطمئنى".

قالت: "هل تعدنى بذلك؟.. فقال: "بكل تأكيد".

"أغلق حجرة الألعاب الإليكترونية لبضعة أيام حتى ترتاح أعصابى".

"أنت تعرفين مدى ارتباط (بيتر) بتلك الحجرة.. عندما عاقبته منذ شهر بقفل الحجرة لبضع ساعات فقط.. تذكرى مدى غضبه وهياجه!.. (ويندى) أيضاً.. إنهما يعيشان من أجل حجرتهما هذه!".

ولكن الآن يجب غلقها.. هذه أهم نقطة فى الأمر..

قفّل الباب الضخم للحجرة بتردد هو يقول: "لا بأس.. لقد أجهدت نفسك فى العمل للغاية مؤخراً.. لا ريب أنك تحتاجين إلى راحة".

قالت وهى تتمخط: "لا أعرف.. لا أعرف.. وجلست على مقعد بدأ لتوه يهزها ويريحها.. وأردفت: "ربما ليس لدى الكثير لأفعله، ربما لدى وقت للمزيد من التفكير فى الأمر.. ولكن، ترى لماذا لا تقفل المنزل كله لبضعة أيام وتقوم بأجازة؟".

"هل تعنين أنك سوف تقلين البيض لى؟" .. هزت رأسها وقالت: "نعم".

"وترتقين إلى جوارى؟" .. فقالت وهى تهز رأسها وعينهاها تدمعان: "نعم".

"وتمسحين المنزل؟" .. قالت: "نعم، نعم.. أوه نعم بالطبع".
"ولكننى أعتقد أن هذا هو سبب شرائنا لهذا المنزل.. ألا نكون مضطرين لعمل أى شىء؟".

"هذا هو لب الموضوع.. أنا أشعر باننى لا أنتمى إلى هذا المنزل.. هذا المنزل عبارة عن زوجة وأم ومربية أطفال.. هل يمكننى أن أناقس مرجاً واسعاً فى غابة أفريقية؟.. هل يمكننى أن أحصى الأولاد وأدعكهم بكفاءة وسرعة مثل الحمام الذى يقوم بالدك الآلى لهم؟.. أنا لا أستطيع ذلك.. كما أن الموضوع لا يخصنى أنا فقط.. أنت أيضاً.. لقد أصبحت متوتراً للغاية مؤخراً".

"أعتقد أنني كنت أفرط في التدخين مؤخراً.. ولعل هذا هو السبب".

"لا، أنت يا حبيبي تبدو كما لو أنك لا تعرف ماذا تفعل بنفسك في هذا المنزل أيضاً.. وأصبحت تدخن أكثر في الليل وتشرب أكثر قليلاً عصر كل يوم وتحتاج إلى المزيد من الحبوب المهدئة كل ليلة.. لقد بدأت أنت أيضاً تشعر بأنك غير مهم في هذا المنزل".

قال: "هل أنا كذلك فعلاً؟" .. وتريث برهة وحاول أن يشعر بنفسه فيما في داخله ليعرف حقيقة الأمر.

نظرت خلفه إلى باب حجرة الألعاب الإلكترونية وقالت: "أوه يا (جورج) .. هل يمكن للأسود أن تخرج من هناك؟".

نظر إلى الباب ووجدته يهتز كما لو أن شيئاً ما قد وثب عليه من الجانب الآخر.. وأجابها بهدوء: "بالطبع لا يا حبيبتي".

جلسا بمفردهما لتناول طعام العشاء، إذ إن (ويندى) و(بيتر) كانا يحضران كرنفالاً تذكرياً خاصاً بعيداً في البلدة وقد اتصلا تلفازياً بالمنزل ليقولا إنهما سيتأخران إذ سوف يتناولان الطعام. ولهذا جلس (جورج هادلي) مشدوهاً يراقب منضدة الطعام وهي تخرج أطباقاً دافئة من قلبها الآلي.

قال: "لقد نسينا صلصة المائدة" .. فرد عليه صوت مبتسم من المنضدة: "آسف" .. وعلى الفور ظهرت قارورة الصلصة.

وفكر (جورج هادلى) فى حجرة طفليهما الإليكترونية ورأى أن طفليهما لن يضارا لو تم إغلاق حجرتيها لبعض الوقت.. ذلك أن الإفراط فى أى شىء لا يفيد أحداً.. ولقد ثبت قطعاً أن الطفلين يقضيان وقتاً مبالغاً فيه فى أفريقيا.. هذه الشمس المتقدة.. كان يشعر بها فى عنقه، كما لو كانت مخلباً ساخنًا التصق به.. والأسود!.. ورائحة الدم.. إنه شىء مدهش حقاً كيف أن حجرة الألعاب الإليكترونية حاكت الأفكار والتصورات والخيالات التخاطورية لعقلى الطفلين وخلقت لهما حياة تحقق كل رغباتهما.. فكما يفكر الطفلان فى الأسود، يجدانها أمامهما.. وكما يفكران فى الحمير الوحشية المخططة، تظهر لهما فى الحال.. نعم، هناك الشمس والزراف والأسود.. الموت والحياة.. هناك كل شىء فعلاً!

أخذ يقضم قطع اللحم التى جهزتها له المائدة بدون أن يجد لها طعماً.. وانتابته أفكار غريبة عن الموت.. كانا صغيرين فعلاً، (ويندى) و(بيتر)، على أفكار موت مثل هذه.. وقال محدثاً نفسه: "أوه، لا.. إنك لم تكن صغيراً قط.. فمنذ وقت طويل جداً كنت تعرف الموت وتتمناه بالفعل لشخص آخر.. وعندما بلغت عامين من العمر كنت تضرب الناس بالمسدس ذى الفلة".

ولكن هذا.. هذا المرج الأفريقى الفسيح الساخن.. وهذا الموت المروع بين فكى الأسد.. هذا شىء رهيب لا يتحمله أحد.. وأخذ يكرر ذلك لنفسه.

"إلى أين أنت ذاهب يا حبيبي؟"

لم يرد على (ليديا). كانت هناك أفكار هاجسية تطارده. أضاعت الأنوار بهدوء أمامه وانطفأت خلفه وهو يسير ببطء متجهاً إلى باب حجرة الألعاب الإلكترونية.. أنصت ساكناً لبعض الوقت.. ويعيداً جداً كان أحد الأسود يزأر بشكل يبت الرعب فى القلوب.

فتح القفل ثم فتح الباب ببطء ويحذر، وقبل أن يخطو خطوة واحدة إلى الداخل سمع صرخة من بعيد.. ثم انطلق زئير آخر من الأسود، ولم يلبث أن خفت بسرعة وران السكون.

دخل فى حجرة أفريقيا.. ترى كم مرة فى العام السابق فتح هذا الباب ورأى أليس فى بلاد العجائب والسلحفاة الصناعية أو علاء الدين ومصباحه السحري أو خطاب أوز ذا الرأس الذى يشبه القرعة العسلية أو دكتور دوايتل أو البقرة التى تقفز فوق قمر يبدو حقيقياً للغاية.. وكم مرة رأى الفرس المجنح يطير فى سقف الحجرة، أو رأى نافورات من الألعاب النارية الحمراء أو سمع أصواتاً ملائكية وهى تغنى.

لكن الآن لا يرى أمامه سوى أفريقيا الصفراء الساخنة هذه.. هذا الفرن الكونى الذى يعج بالقتل من أجل البقاء.. لعل (ليديا) كانت على حق، فربما احتاجا إلى أجازة من هذا الجو الخيالى الذى يبدو حقيقياً بأكثر مما يلزم لطفلين فى العاشرة من عمرهما.. لا بأس أن يمرن المرء ذهنه ببعض الخيالات الرياضية البدنية، ولكن عندما يركز عقل الطفل فى نمط واحد...؟ وتذكر أنه سمع منذ مدة خلال الشهر الماضى أسوداً

تزار وشم بأنفه رائحتها القوية وهي تنتشر في المنزل حتى باب حجرة مكتبه.. ولكن لأنه كان مشغولاً فلم يهتم بها قط.

وقف (جورج هادلي) على المروج الأفريقية وحيداً.. وكانت الأسود تحقق به وهي تتناول طعامها وتراقبه جيداً.. العيب أو الخلل الوحيد في هذا الوهم الخيالي كان الباب المفتوح الذي أمكنه أن يرى من خلاله زوجته، بعيداً في الصالة المعتمدة، كصورة داخل إطار وهي تاكل عشاءها بشرود ذهن.

ويهدوء قال للأسود: "هيا.. ابتعدى عن هنا".. لكن الأسود لم تبتعد.
كان يعرف قاعدة تشغيل الحجرة جيداً.. ركز في فكرة معينة، ومهما كان ما تفكر فيه فسوف يظهر لك بتأثير الأفكار والتخاطر.

صاح: "لنرى علاء الدين ومصباحه السحري".

ظل المرج الأفريقي كما هو وظلت الأسود على ما هي عليه.

قال: "هيا أيتها الحجرة!.. أنا أطلب علاء الدين الآن".

لم يحدث شيء... وأخذت الأسود تلوك الطعام بأسنانها وجلودها تكاد تتحمص من شدة الحرارة.

"علاء الدين.. أقول علاء الدين والمصباح!".

عندما شعر بأنه لا فائدة، رجع إلى تناول العشاء وغمغم قائلاً:

"الحجرة الحمقاء خرجت عن نطاق السيطرة.. إنها لن تستجيب لك أبداً.. قالت زوجته: "أوه...".

قال: "أو ماذا؟". فأجابت: "أو أنها لا تستطيع أن تستجيب، لأن طفلينا فكرا مؤخراً في أفريقيا والأسود والقتل مرات كثيرة جداً للدرجة أن الحجرة تجمدت وتعطلت عن أداء وظيفتها".

"وهل يمكن حدوث ذلك من تلقاء ذاتها؟".

"ربما ضبطها (بيتر) لكي تتصرف هكذا".

"يا للعجب!.. ضبطها!.. وكيف يمكنه أن يفعل شيئاً كهذا؟".

"لعله فتح الآلات وضبطها أو ثبتها على وضعية معينة".

"لكننى أعتقد أن (بيتر) لا يعرف كيف تعمل تلك الآلات والأجهزة".

"إنه ذكى جداً بالنسبة إلى عمره.. مثلاً معدل ذكائه الذى...".

"لا بأس يا حبيبتى، ولكن ما أريد أن أقوله...".

"مرحباً أمى.. مرحباً أبى".

عاد (بيتر) و(ويندى) الغائبان، دخلا من الباب الأمامى، وخدودهما تشبه حلوى النعناع بالفلفل وعيونهما تشبه كريات العقيق الزرقاء اللامعة، وتفوح رائحة الأوزون من سترتيهما من جراء الرحلة التى قاما بها بالطائرة الحوامة.

قال والداهما فى نفس الوقت: "لقد جننتما فى وقت عشائكما بالضبط".

قال الطفلان وهما ممسكان بأيدي بعضهما البعض: "إننا شبعنا تماماً من جيلاتى الفراولة وشطائر السجق.. ولكننا سوف نجلس معكما ونراقبكما".

قال (جورج هادلى): "نعم، هيا أخبرانا كل شىء عن حجرتكما الرائعة".

أغمض الأخ والأخت أعينهما ثم فتحاها وهما يحدقان فيه وصاحا: "حجرتنا؟".

قال الأب بمرح متكلف: "كل المعلومات عن أفريقيا وأمور أخرى عديدة".

قال (بيتر) "إننى لا أفهم".

رد عليه (جورج هادلى) قائلاً: "كنت أسافر عبر أفريقيا مع أمك ومعنا أدوات صيد السمك، كما قرأنا "توم سويرفت"^(١) وأسنده الكهربائى".

قال (بيتر) ببساطة "ليست هناك أفريقيا فى حجرتنا!".

"أوه، كن صريحاً يا (بيتر)، فلدينا معلومات مؤكدة!".

قال (بيتر) لـ (ويندى): "إننى لا أتذكر أى أفريقيا، هل تتذكرين أنت؟".

(١) شخصية رئيسية فى عدد كبير من روايات الخيال العلمى والمغامرات، بدأ نشرها فى عام ١٩١٠، كتب معظمها (فيكتور أبلتون). (المترجم).

أجابت (ويندى) بسرعة "كلا".

"اركضى إلى حجرتنا واستطلعى الأمر ثم عودى وأبلغينا بما رأيتى".
وأطاعت (ويندى).

صاح (جورج هادلى) "(ويندى)! تعالى بسرعة إلى هنا!".
ولكنها كانت قد ذهبت بالفعل. ولاحقتها أضواء المنزل مثل حشد
من الحباب^(٢).

وأدرك (جورج) - بعد قوات الأوان - أنه قد نسى أن يلق باب
الحجرة بعد تفحصه الأخير.

صاح (بيتر) "(ويندى)! استطلعى الأمر ثم عودى وأبلغينا بما رأيت!".
قال (جورج) "ليس ثمة داع أن تبلغنى، فقد شاهدتها بنفسى".

رد (بيتر) قائلاً: "آبى! لا شك أنك مخطئ!".

"لست مخطئاً يا (بيتر)، والآن قل الحقيقة".

وعادت (ويندى) لاهثة وقالت: "ليس هناك أى أفريقيا فى حجرتنا".

قال (جورج هادلى) "سوف نتأكد من الأمر".

وساروا جميعاً بطول القاعة إلى الحجرة، وفتحوا بابها.

(٢) نوع من الحشرات التى لها أعضاء مضيئة. (المترجم).

سألته قائلة: "ما هذا؟".

أجابها بقوله: "إنها محفظة نقودى القديمة".

وأراها إياها. كانت رائحة العشب الساخن تفوح منها، وكذلك رائحة أسد وكذلك كان عليها قطرات من اللعاب، لقد تم مضغها وطحنها بالأسنان، وكان عليها أيضاً لطخ من الدماء على جانبيها.

أغلق حجرة الألعاب الالكترونية، بإحكام.

حتى منتصف الليل كان لا يزال مستيقظاً وكان يعرف بأن زوجته أيضاً لم تتم.

وأخيراً قالت الزوجة وصوتها يرن فى الحجرة المظلمة هل تعتقد أن (ويندى) قد غيرت المشهد؟

"بالطبع".

"جعلته يتحول من مرج إلى غابة ووضعت (ربما) هناك بدلاً من الأسود".

"نعم".

"ولكن لماذا؟"

"لا أدري، ولكن ستظل حجرة الألعاب الالكترونية مغلقة، حتى أتبين الأمر".

"كيف وصلت محفظة نقودك إلى هناك؟"

قال لها آنا لا أعرف شيئاً، إلا أنه بدأ يساورنى إحساس بالأسف،
أننا اشترينا هذه الحجرة لطفلينا. وإذا كانا مصابين بالعصاب^(٤)،
فإن حجرة كهذه يمكن أن....

قاطعته بقولها: "من المفروض أن حجرة الألعاب الالكترونية،
تعالجها من اضطراباتها العصبية بطريقة صحيحة".

حدق فى السقف وقال: "لقد بدأ ينتابنى شعور من الحيرة والشك".
ردت عليه زوجته قائلة: "لم نبخل على طفلينا بأى شىء طلباه منا،
فهل نجازى بإخفاء الأسرار والتمرد على أوامرتنا؟"

"لا أتذكر من القائل، الأطفال كالسجاد، علينا أن نطأها بين حين
 وآخر، إننا لم نعاقبهما قط، على الرغم من أنهما لا يحتملان، دعنا نعترف
 بهذا الأمر. إنهما يجيئان ويذهبان متى أرادا ذلك، إنهما يعاملاننا
 كما لو كنا أطفالاً صغاراً إنهما مدللان بإفراط وكذلك نحن".

"الواقع أنهما يتصرفان بغرابة، منذ أن منعتهما من السفر
 بالصاروخ إلى مدينة نيويورك، منذ عدة أشهر".

"لقد شرحت لهما الأمر فى حينه، وأنهما مازالا صغيرين للسفر
 بالصاروخ إلى نيويورك بمفردهما".

(٤) اضطراب عصبى ومن أعراضه مخاوف غير عقلانية. (المترجم).

"وعلى الرغم من هذا، فإننى لاحظت أنهما يتعمدان التصرف معنا ببرود، منذ ذلك الوقت".

"أظن أننى سوف أدعو (ديفيد ماكلين) للمجيء غداً صباحاً، ليلقى نظرة على أفريقيا".

"ولكن لا يوجد أفريقيا الآن، بل بلد القصور الريفية الخضراء (ريما)!"

"لدى إحساس بأن أفريقيا سوف تعود إلى حجرة الألعاب الالكترونية قبل صباح الغد".

وبعد دقيقة سمعا الصرخات.

صرختان. شخصان يصرخان فى الطابق السفلى. ثم زئير الأسود.

قالت زوجته: "(ويندى) و(بيتر) ليسا فى حجرة نومهما.

رقد (جورج هادلى) فى فراشه وقلبه ينبض بعنف ثم صاح

"يا إلهى! لقد اقتحما حجرة الألعاب الالكترونية!"

"هذه الصرخات تبدو مألوفة".

"حقاً؟"

"نعم، مألوفة تماماً".

وعلى الرغم من المحاولات التى قام بها فراشهما الآلى -

والتي تضمنت التآرجح - لكى يجعلهما يخلدان للنوم ولو لمدة ساعة واحدة،

فإنه فشل في تحقيق ذلك. وكانت رائحة السنوريات^(٥)
تعبق هواء الليل.

قال (بيتر) "أبى؟".

"نعم".

نظر (بيتر) إلى حذاء والده. فلم يعد يتطلع قط إلى وجه أبيه أو
أمه. وقال "إنك لن تغلق حجرة الألعاب الالكترونية نهائياً. أليس كذلك؟".
"إن هذا يعتمد...".

رد (بيتر) بحدة "يعتمد على ماذا؟"

"عليك وعلى أختك، إذا عرضت - بدلاً من أفريقيا - بلاداً أخرى
مثل السويد أو الدانيمرك أو الصين".

"ظننت أننا كنا أحرار في اختيار ما نريد من ألعاب".

"بالفعل أنتم أحرار ولكن في حدود عقلانية".

"ما الذى يعيب أفريقيا يا أبى؟"

"آه، إنك تعترف الآن بأنكما كنتما تستحضران روح أفريقيا.
أليس كذلك؟"

(٥) حيوانات لاحمة مفترسة كالأسد. (المترجم).

قال (بيتر) ببرود: "لا أريد أن تغلق حجرة الألعاب الالكترونية نهائياً".

"الواقع أننا نريد أن نغلق كل أجهزة المنزل الآلية لنحو شهر، حتى نعيش مرتاحي البال دون إقلاق".

رد (بيتر) متزعجاً "إن هذا يبدو مروعاً. إذ على أن أربط حذائي بنفسى بدلاً من قيام الرابط الآلى بذلك. وأنظف أسناني وأصفف شعري وأستحم بنفسى!".

"سوف تشعر بمتعة التغيير، ألا تظن ذلك؟".

"كلا، إن الأمر سوف يكون رهيباً. لقد انتزعجت كثيراً عندما أخذت منى الرسام الآلى فى الشهر الماضى".

"يا بنى! لقد فعلت ذلك، لأننى أردت أن تتعلما الرسم بمجهودكما الذاتى دون الاستعانة بالرسام الآلى".

"لا أريد أن أفعل شيئاً سوى أن أنظر وأستمع وأشم. وهل هناك أمور أخرى يمكن للمرء أن يفعلها؟".

"حسناً، اذهب والعب فى مجاهل أفريقيا".

"هل سوف تغلق حجرة الألعاب الالكترونية فى وقت قريب؟".

"إننا نفكر فى الأمر".

"آبى! أرجو ألا تفكرا فى هذا الأمر، بعد الآن".

إننى لا أسمح أبداً أن يوجه إلى ابنى أية تهديدات!

اندفع (بيتر) إلى حجرة الألعاب الالكترونية لا يلوى على شئ، وهو يقول "حسناً جداً".

قال (ديفيد ماكلين) "هل أتيت فى الموعد؟".

سأله (جورج هادلى) "هل نتناول معنا الإفطار؟".

أجابه (ديفيد) قائلاً: "شكراً، لقد تناولت البعض منه قبل المجئ".
ما هى المشكلة؟

"(ديفيد)! أنت طبيب نفسى".

"بالطبع".

"حسناً. إننا فى حاجة إلى معونتك. أرجو أن تأتى معى لتلقى نظرة على حجرة الألعاب الالكترونية الخاصة بطفلينا (بيتر) و(ويندى). لقد رأيتها منذ عام عندما جئت لزيارتنا. هل لاحظت تصرفات غير سوية فى سلوك طفلينا فى ذلك الوقت؟".

"لا أستطيع أن أجزم بهذا، مجرد ممارسات عنيفة عادية، وتوجه نحو حدوث اضطراب نفسى خفيف من وقت لآخر، وهذا شئ اعتيادى لدى الأطفال لأنهم يشعرون بأن آباءهم وأمهاتهم يضطهدونهم باستمرار، ولكن - بالفعل - لم ألحظ أى تصرف غير عادى بدر من طفليكما".

سارا على طول الردهة. وشرح الأب الأمر قائلاً: "على الرغم من أننى أغلقت حجرة الألعاب الالكترونية، فإن الطفلين اقتحماها عنوة أثناء

الليل، وقد تركتهما يمكنان بها، حتى يتمكننا من تشكيل النماذج والمشاهد التي سوف تراها الآن".

حينئذ جاءت صرخات مروعة من داخل حجرة الألعاب الالكترونية.
قال (جورج هادلي) "هذه هي نوعية الصرخات التي سمعناها أنا وزوجتي.

ترى ما تفسيرك لها؟.

دلفا إلى داخل حجرة الألعاب الالكترونية - حيث يوجد الطفلان -
دون أن يطرقا الباب، تلاشت الصرخات، وكانت الأسود تلتهم طعامها.

صاح (جورج هادلي) "أخرجنا من الحجرة لدقيقة واحدة، يا طفلي
الحبيبين، ولكن لا تغيرا التوافقية العقلية لمشاهد أفريقيًا. بل اتركا
الجدران كما هي. هيا تحركا!".

ما أن ذهب الطفلان، حتى أخذ (ديفيد ماكلين) و(جورج هادلي)
يتفحصان الأسود التي تجمعت عن بعد، تلتهم طعامها باستمتاع شديد،
أيا كانت الفريسة التي اقتنصتها.

قال (جورج هادلي) "أتمنى أن أعرف ما هو الطعام الذي تتناوله
الأسود. أحيانًا أكاد أن أراه.. هل تظن أنني لو أحضرت منظارًا ثنائي
العينين ذا قوة تكبير عالية، إلى هنا و...".

ضحك (ديفيد ماكلين) بسخرية وقال: "إنه أمر يكاد أن يكون
مستحيلًا".

ثم استدار ليدرس كل الجدران الأربعة لحجرة الألعاب الالكترونية، واستطرد قائلاً: "كم استمرت هذه الأحداث الرهيبة؟".

"أكثر قليلاً من شهر".

"وبالطبع أصابكم هذا بأحاسيس مروعة".

"لا تهمنى الأحاسيس، بل الحقائق".

"عزيزى (جورج)، إن الطبيب النفسى لا يتعامل أبداً فى حياته مع الحقائق، بل يستمع فقط من مرضاه إلى الأحاسيس والأشياء الغامضة التى يشعرون بها، وأستطيع أنؤكد لك أن هذا ليس ممتعاً على الإطلاق، وفى كل الأوقات أعتمد على أحاسيسى الباطنية وغرائزى، وفى حالتك هذه أشعر بأن ثمة أمراً شريراً يلوح فى الأفق، بل شرير للغاية، نصيحتى لك بأن تقوم بتفكيك هذه الحجرة اللعينة، وأن تحضر طفليك إلى العلاج، يومياً لمدة عام كامل.

"هل الأمر بهذه الخطورة؟"

"أعتقد هذا. إن من أهم أهداف مثل هذه الحجرات إمكانية دراسة النماذج الفكرية التى تبقى فوق الجدران، والتى تنبثق من أذهان الأطفال، على أن تتم دراستها على مهل ومن ثم مساعدة الأطفال فى التغلب على أمراضهم النفسية، ولكن فى حالتك هذه، حدث أن أصبحت حجرة الألعاب الالكترونية، تبعث بأفكار مدمرة هدامة بدلاً من أن تكون وسيلة للتخلص منها".

"ألم تتوصل إلى هذه النتيجة من قبل؟"

"لقد أدركت منذ فترة أنك أفسدت طفليك بتدليلهما أكثر من اللازم. والآن أشعر بأنك خيبت أمالهما في أمر ما ولم تحققه لهما، فما هو؟"

"رفضت ذهابهما بالصاروخ إلى نيويورك."

"وماذا أيضاً؟"

"لقد أخذت بعض الأجهزة من المنزل، وهددتهم - منذ شهر مضى - بأن أغلق حجرة الألعاب الالكترونية ما لم يؤديا واجباتهما المدرسية. وبالفعل قمت بغلقها لعدة أيام، لأوضح لهما بأننى جاد فى تهديدى."

قال (ديفيد) بصوت يعبر عن الدهشة "آه، ها."

"هل هذا يعنى شيئاً ما؟"

"بل كل شيء. لقد كان لهما فى الماضى (بابا نويل) الذى يقدم لهما الهدايا فى عيد الميلاد، أما الآن ففى مكانه (سكروج)^(٦). إن الأطفال يحبون بابا نويل ومن على شاكلته. لقد جعلت هذه الحجرة وهذا المنزل يستبدلان بك وبزوجتك فى وجدان طفليك، إذ أصبحت حجرة الألعاب الالكترونية هى أمهما وأباهما، وأكثر أهمية فى حياتهما من والديهما الحقيقيين.

(٦) يقصد به "ابنزر سكروج" الشخصية الرئيسية فى رواية (تشارلز ديكنز) "ترنيمه عيد الميلاد". وكان شخصية مقيتة، عديم الإحساس وبخيلاً وجشعاً، وكان يزدرى عيد الميلاد وكل الأشياء التى تمنح الناس السعادة. (المترجم).

والآن أنت تأتي وتريد أن تغلقها. لا عجب أن يضمران الكراهية لكما. لا ريب أنك سوف تشعر بهذه الأحاسيس واضحة مثل شيء متألق قادم من الفضاء! (جورج) عليك أن تغير حياتك كما حدث للكثيرين من قبلك. لقد منعت طفليك من التمتع ببعض مباهج الحياة، إنك بلا شك سوف تتصور جوعاً لو حدث عطل ما في الأجهزة التي تعمل في مطبخك، فأنت لا تعرف حتى كيف تكسر قشرة بيضة مسلوقة لتأكلها، ومع هذا، يمكنك أن تغلق كل الأجهزة، وتبدأ من جديد، إن هذا سوف يستغرق وقتاً. ولكننا سوف نجعل من طفلين شريرين آخرين طيبين، في غضون سنة واحدة. اتبع نصيحتي وسوف ترى النتيجة".

"ولكن ألن تكون الصدمة مروعة للطفلين، عندما أغلق حجرة الألعاب الالكترونية نهائياً؟".

"إنني لا أريد أن تسوء حالتها أكثر من ذلك، هذا كل ما في الأمر". كانت الأسود قد انتهت من التهام فريستها المملوطة بالدماء، ثم تحركت الأسود بخطى وثيدة إلى حافة الأرض المفتوحة والواسعة في الغابة. وأخذت تراقب الرجلين بانتباه.

قال (ماكلين) "إنني أشعر الآن بالانزعاج، دعنا نخرج من هنا. إنني لم أعجب قط بهذه الحجرات اللعينة، إنها تجعلني عصبياً".

قال (جورج) بدهشة "إن الأسود تبدو حقيقية، أليس كذلك؟ إنني لا أعتقد أنه هناك طريقة...".

قاطعه (ماكلين) قائلاً: "أكمل".

استطرد (جورج) بقوله: "... لكى تصبح هذه الأسود حقيقية!".

"ليس إلى حد علمي".

"ربما ثمة خلل فى المنظومة الآلية لحجرة الألعاب الالكترونية،
أو حدوث عيب متعمد بها أو لعله أى شىء آخر".
"كلا".

واتجها إلى باب الحجرة.

قال الأب "لا أستطيع أن أتخيل شكل حجرة الألعاب الالكترونية
عندما نغلق منظومتها الآلية".

"لا شىء أبداً يريد أن يموت... حتى لو كانت حجرة".

"أتساءل عمّ إذا كانت تضمر لى الكراهية، لأننى أريد أن أغلقها؟

قال (ديفيد ماكلين) "إن الاضطرابات النفسية تتعاظم اليوم هنا.
إنك يمكنك أن تقتفى أثرها، وكأنها حيوان برى متوحش".

ثم انحنى والتقط من فوق الأرضية وشاح ملطخ بالدماء وتساءل
"هل هذا لك؟".

كان وجه (جورج هادلى) جامداً وهو يقول: "كلا إنه ليس لى،
بل يخص (ليديا)".

ذهبا معاً إلى حيث صندوق "القابس"^(٧)، وأغلق (جورج) المفتاح الكهربائي، فتوقفت المنظومة الآلية لحجرة الألعاب الالكترونية عن العمل، على أثر هذا أصيب الطفلان بحالة هysteria^(٨).

فأخذا يصرخان ويثبان في عصبية ويلقيان بالأشياء فينكسر بعضها، صاحبا بقمة انفعالهما وراحا يبكيان بحرقة ويصبان لعناتهما ويقفزان فوق قطع الأثاث.

قالا لوالدهما "إنك لا تستطيع أن تفعل هذا بحجرة ألعابنا نعم لا تستطيع!"

"(بيتر) (ويندى)! اهدأ".

ألقي الطفلان بأنفسهما فوق أريكة، وهما منخرطان في البكاء.

قالت (ليديا هادلي) "(جورج)! أعد تشغيل حجرة الألعاب الالكترونية، ولو لعدة دقائق، لا يمكن أن يكون الأمر مفاجئاً بهذا الشكل".

"كلا".

"لا يمكنك أن تكون فقط وقاسياً إلى هذا الحد".

(٧) أداة أمان عبارة عن سلك صغير يذوب، فيقطع التيار الكهربائي ضماناً للسلامة (المترجم).

(٨) انفعال عصبى غير متحكم فيه. (المترجم).

(ليديا)! لقد أغلقت الحجرة وسوف تظل مغلقة، كما أننى سأوقف كل أجهزة المنزل اللعينة، بدءاً من الآن. فكثيراً ما أصبت بالغثيان لرؤية تلك الفوضى الآلية التى أصبح منزلنا يزخر بها، وكلما زاد عدد هذه الأجهزة زاد شعورى بالغثيان، لقد كنا نعتمد إلى حد بعيد ولمدة طويلة على منظومتنا الآلية، يا إلهى، كم نحتاج إلى تنفس الهواء النقى!".

ثم طاف (جورج) بأرجاء المنزل، وأخذ يغلق الساعات الناطقة والأفران والمواقد والسخانات وأجهزة تلميع وربط الأحذية آلياً والفرش الآلية لتنظيف الجسم والمدلكات وكل جهاز آخر وجده.

وبدا أن المنزل أصبح مليئاً بالأجهزة المعطلة التى لا تعمل وكأنها جثث بلا حراك، ومن ثم صار المنزل مثل المقبرة للمنظومة الآلية، ساد السكون فى كل أنحاء المنزل. ولم يكن هناك ثمة طنين للطاقة الخفية للألات، التى تنتظر التشغيل بضغط زر.

صاح (بيتر) بصوت عالٍ مدو من بين عبراته، وكأنه يوجه حديثه للمنزل وحجرة الألعاب الالكترونية "لا تجعلوه يغلقكم. لا تدعوا أبى يدمر كل شىء". ثم استدار إلى والده واستطرد بحقد بالغ "أوه، كم أكرهك!".

"إن الإهانات والشتائم لن تجديك نفعا".

"أتمنى لو أنك كنت ميتاً!".

"لقد كنا ميّتين بالفعل لزمّن طويل باعتمادنا على المنظومة الآلية اللعينة.

والآن سوف نبدأ فى الاستمتاع بالحياة. بدلاً من أن تقوم الآلات بإدارة شئوننا وتديك أجسامنا! إننا سوف نعيش بحق وننعم بالحياة دون الآلات.

كانت (ويندى) لا تزال تنتحب، وتساقطت عبرات (بيتر) من جديد "نريد دقيقة واحدة، دقيقة واحدة لا غير، داخل حجرة الألعاب الالكترونية". وأخذا ينتحيان وينوحان.

قالت زوجته (جورج)؛ أرجو أن تستجيب لهما، فليس فى الأمر ما يسىء.

"حسناً، حسناً، ولكن عليهما أن يتوقفا عن البكاء ويلوذان بالصمت، سوف أسمح بفتح حجرة الألعاب الالكترونية لدقيقة واحدة فقط ثم سأغلقها إلى الأبد".

تهلل وجها الطفلين المبللين بالدموع وابتسما من بين عبراتهما "أبى، أبى، أبى!"

ثم سوف نذهب فى أجازة وسيعود (ديفيد ماكلين) فى غضون نصف ساعة ليساعدنا فى حزم أمتعتنا والتوجه إلى المطار. سوف أذهب لارتداء ملابسى، (ليديا) أعيدى تشغيل حجرة الألعاب الالكترونية، ولكن لمدة دقيقة واحدة، وأرجو أن تلتزمى بهذا، دقيقة واحدة لا غير.

أخذت الأم وطفلاها يثرثرون، بينما كان (جورج) يندفع - من خلال أنبوب تفريغ الهواء - إلى الطابق العلوى ليرتدى ملابسه، وبعد دقيقة ظهرت (ليديا).

قالت وهي تتنهد "سوف أشعر بالسعادة، عندما نرحل بعيداً عن هنا".

تساءل (جورج) قائلاً: "هل تركتيهما بمفردهما فى حجرة الألعاب الالكترونية؟".

"لقد أردت أن أرتدى ملابسى، أوه، هذه الإفريقية المروعة. ما الذى يعجبهما فيها؟".

"حسناً، فى غضون خمس دقائق، سوف نكون فى طريقنا إلى ولاية "أيوا". يا إلهى! ما الذى جعلنا نسكن فى هذا المنزل؟ بل ما الذى دفعنا لى نشترى كابوساً؟".

"إنه الاعتداد بالنفس. ووجود نقود معنا وقليل من الحمق".

"أظن أنه من الأفضل أن نذهب إلى الطابق السفلى، قبل أن تستحوذ هذه الوحوش اللعينة على أفكار طفلينا من جديد".

حينئذ سمعا صياح (ويندى) و(بيتر) "أبى، أمى، تعالاً بسرعة.. بسرعة".

هرعا إلى الطابق السفلى عبر أنبوب الهواء المضغوط وركضا على طول الردهة لم يستطيعا مشاهدة الطفلين فصاحا "(ويندى)؟ (بيتر)؟".

دلفا بسرعة إلى داخل حجرة الألعاب الالكترونية، كانت المروج خالية، إلا من الأسود التي كانت تنتظر وتتطلع إليهما.

عاد الأب والأم يصيحان "بيتر"، (ويندى) أين أنتما؟

عندئذ انصفق باب حجرة الألعاب الالكترونية بعنف.

"(ويندى)، (بيتر)!"

انعطف (جورج هادلى) وزوجته بسرعة مغيرين اتجاههما، وركضا فى اتجاه باب الحجرة.

صاح (جورج هادلى) "افتح الباب!" ثم حاول أن يدير مقبض الباب ولكن دون جدوى، استطرد بقمة انفعاله قائلاً "يا إلهي! لقد أغلقا الباب من الخارج! (بيتر) أين أنت؟" وأخذ يدق على الباب بقبضته مراراً وتكراراً.

ثم عاد يصيح "افتح الباب، هيا بسرعة".

سمعا صوتا من الخارج بالقرب من الباب.

كان يقول "لا تدعوهما يغلقا حجرة الألعاب الالكترونية والمنظومة الآلية للمنزل".

أخذ السيد (جورج هادلى) وزوجته يدقان بعنف على باب الحجرة "(ويندى)(بيتر)! لا تكونا سخيئين! لقد حان وقت الرحيل، سوف يكون السيد (ماكلين) هنا فى غضون دقيقة واحدة و...".

حينئذ سمعا الأصوات.

كانت الأسود تحيط بهما من ثلاث جهات، فوق عشب المرج الأصفر، كانت تتحرك بتؤدة خلال القش الجاف، وهى تصدر أصواتاً عميقة مزمجرة وهادرة وزئيراً من حناجرها.

بدت الأسود مخيفة ومروعة..

التفت السيد (هادلى) إلى زوجته ثم استدارا وتطلعا إلى الأسود وهى تتقدم ببطء إلى الأمام، وأجسامها قريبة من الأرض وأوصالها منشئية وذيلها متصلبة، كما لو كانت فى حالة تأهب وتربص واستعداد للوثوب!

صرخ السيد (هادلى) وزوجته.

وعلى حين غرة، أدركا لماذا بدت الصرخات التى سمعاها من قبل، مألوفة.

قال (ديفيد ماكلين) وهو يقف فى مدخل حجرة الألعاب الالكترونية.

"ها أنا ذا قد حضرت". ثم تطلع إلى الطفلين اللذين كانا جالسين فى وسط أرض فسيحة وواسعة فى الغابة، يتناولان غذاء خفيفاً وكأئهما فى نزهة.

استطرد قائلاً "أوه، مرحباً".

خلفهما كانت ثمة بركة حيث تأتى الحيوانات لتشرب، ومرج أصفر، وفى الأعلى الشمس المنقذة. بدأ العرق يتصبب من جسم (ديفيد ماكلين).

وتسأل قائلاً: "أين والدكما ووالدتكما؟".

تطلع إليه الطفلان وافتر ثغراهما عن ابتسامة غامضة
وقالا "أوه، سوف يأتيان إلى هنا على الفور".

"حسنًا، لأننا يجب أن نذهب في الحال".

وعلى البعد شاهد السيد (ماكلين) قطيع الأسود وهي تتصارع
وتتشب مخالباها ثم تهدأ لتلتهم طعامها في صمت، تحت الأشجار
المظلة، راح ينظر جانبياً إلى الأسود وهو يضع يديه فوق عينيه،
لحمايتهما من شدة وهج الشمس.

وقتئذ كانت الأسود قد فرغت من التهام طعامها، واتجهت إلى
البركة لتشرب.

وشعر السيد (ماكلين) بظل يخفق فوق وجهه الساخن ثم توالى
الظلال الخفاقة. كانت النسور الضخمة تنقض فوق المرج، القادمة من
السماء الملتهبة.

وفى الصمت الذى يلف الجميع سألته (ويندى):
"أتريد فنجان شاي؟".

الأمطار الأبدية

استمرت الأمطار تهطل بدون توقف.. أمطار عنيفة سرمدية،
إنه مطر يبلل ملابسك ويطلق بخاراً.. فهو عبارة عن سيل لعين أو انهمار
أو نافورات أو سيات تضرب عينيك أو تيار سفلى عند كاحليك الغاطسين
فيه.. كان مطراً يفوق - بل وينسيك - أى مطر آخر رأيته.. كانت الأمطار
تسقط بكميات هائلة تنقض بقوة على الغابة وتسقط أشجارها وكأنها
مقصات عملاقة وتمزق النباتات والأعشاب وتحفر أنهاراً في التربة وتزيل
تماماً كل الشجيرات المنخفضة.. تحولت معها أيدي الناس إلى ما يشبه
أيدي القروء العليا المتغضنة!.. كان مطراً يشبه الزجاج الساقط عليك..
وباختصار كان مطراً يبدو ألا نهاية له وأنه لن ينجو منه أحد أبداً.

- "ما هي المسافة المتبقية أمامنا أيها الملازم؟"

- "لا أعرف بالضبط.. ربما ميل^(١) واحد أو عشرة أو ألف!"

- "إذن أنت لست متأكداً بالضبط من المسافة؟"

(١) الميل يساوى ١,٦٠٩ كيلو متر (المترجم).

- "وكيف أكون متأكدًا يا رجل في مثل تلك الظروف غير الطبيعية التي نحن فيها".

- "إننى لا أحب هذا المطر.. ولو أمكننا معرفة المسافة التي علينا قطعها للوصول إلى قبة الشمس فسوف أشعر عندئذ فقط بالراحة".

- "لا عليك فربما يبقى أمامنا ساعة واحدة أو ساعتان من هنا".

- "هل تعتقد ذلك حقًا أيها الملازم؟"

- "نعم، بالتأكيد فاطمئن".

- "أو لعلك تكذب لكي تكون سعيداء وترتفع روحنا المعنوية؟"

رد ساخرًا: "نعم، أنا أكذب لكي نكون سعيداء وترتفع معنوياتنا..

فهل تصمت من فضلك بعد الآن؟"

جلس الرجلان معًا وسط الأمطار.. وجلس وراءهما رجلان آخران مبللان ومتعبان ومتهالكان مثل تربة طينية هابطة.

حرق الملازم أمامه في لا شيء.. كان وجهه من قبل أسمر والآن بعد أن غسلته الأمطار أصبح كالحا وشاحبًا، كما أن الأمطار طمست لون عينيه فأصبحتا بيضاوين كئستانه تمامًا وكشعره أيضًا.. كان كله أبيض اللون، حتى زيه الرسمي بدأ يتحول إلى اللون الأبيض ولكن للحقيقة يشوبه لون أخضر باهت بسبب الفطريات التي تراكمت عليه.

شعر الملازم بالمطر على وجنتيه فقال: "ترى كم مضى من ملايين السنين منذ توقف المطر هنا على كوكب الزهرة؟"

قال أحد الرجلين الآخرين: "لا تكن أحمق يا رجل.. إن المطر لا يتوقف أبداً على كوكب الزهرة.. إنه يستمر فى الهطول على الدوام.. لقد عشت هنا عشر سنوات ولم تمر علىّ فيها دقيقة أو حتى لحظة واحدة يتوقف فيها المطر اللعين".

قال الملازم: "إن ذلك يشبه الحياة تحت الماء.. ثم قام من جلسته وهز مسدسيه فى مكانيهما وأردف: "حسناً.. لعله من الأفضل أن نستمر فى السير.. وأظن أننا سوف نعثر على قبة الشمس".

قال الرجل بيأس: "وربما لا نعثر عليها". فقال الملازم: "إنها ساعة واحدة أو نحو ذلك".

"الآن أنت تكذب علىّ أيها الملازم، أليس كذلك؟"

"نعم.. الآن أنا أكذب على نفسي.. هذه اللحظة واحدة من اللحظات التى يجب عليك أن تكذب فيها.. لم أعد أستطيع أن أتحمل أكثر من ذلك".

سار الرجال فى ممرات ودروب الغابة، وهم ينظرون من وقت إلى آخر فى بوصلاتهم.. لم يكن أمامهم أى اتجاه معروف قط ويتم اعتمادهم كلية على البوصلة.. ولم يكن حولهم سوى سماء رمادية ملبدة بالغيوم ومطر يسقط بشكل متواصل وغابة واسعة وممر ضيق يسIRON فيه.. ومن خلفهم فى مكان ما تجثم سفينة الفضاء التى جاءوا على متنها.. وفيها يوجد الآن رجلان من أصدقائهما ميّتين ويقطر من جثتيهما المطر الأبدى!

ساروا فى صف واحد لا يتكلمون.. حتى وصلوا إلى نهر أسمر
واسع منبسط يتدفق فى البحر الأوحى العظيم.. وكان سطحه مبرقشاً
فى ملايين الأماكن من جراء سقوط قطرات المطر عليه.

قال الملازم: "الوقت مناسب الآن يا (سيمونز)" وأوماً برأسه.. وعلى
الفور أخرج (سيمونز) عبوة ما من حقيبته الظهرية.. وبقوة ضغط مادة
كيميائية خفية موجودة بداخلها، انتفخت العبوة إلى قارب كبير. بعد ذلك
قام الملازم بتوجيه عملية قطع الأشجار وسرعة عمل مجاديف من
أخشابها.. ثم انتقلوا إلى النهر وأخذوا يجدفون مسرعين عبر السطح
المستوى للنهر وسط الأمطار الساقطة.

شعر الملازم بسقوط المطر البارد على وجنتيه وعنقه وذراعيه
المتحركتين.. فى ذلك الوقت بدأ البرد يزحف إلى رتتيه.. ثم شعر بالمطر
على أذنيه وفى عينيه وعلى ساقيه.. وقال: "إننى لم أتم الليلة الماضية".

ومن استطاع؟ ومن يستطيع؟.. ومتى؟.. كم ليلة نمنا جميعاً؟..
ثلاثين ليلة، ثلاثين يوماً!.. من ذاك الذى يستطيع أن ينام والمطر يدق على
رأسه ويصطدم بكل شىء.. إننى مستعد أن أدفع أى مبلغ مقابل
الحصول على قبعة.. نعم سأدفع أى مبلغ بحيث لا يضربنى المطر
على رأسى بعد ذلك.. إن الصداع لا يفارقنى ورأسى تقرحت وتؤلنى
طوال الوقت.

قال آخر: "أنا أسف أن حضرت إلى الصين".

عجباً!.. هذه أول مرة أسمع فيها أن الزهرة تسمى الصين.

بالطبع الصين.. هذا هو العلاج الصيني بالماء.. أتذكر أسلوب التعذيب القديم؟.. عندما يربطونك بحبل فى جدار ثم يسقطون قطرة ماء واحدة على رأسك كل نصف ساعة.. ثم ينتابك الهياج انتظاراً للنقطة التالية.. حسناً، هذا الموقف هو الزهرة ولكن على نطاق واسع.. نحن لا نستطيع التعايش مع الماء، فمثلاً: أنت لا تستطيع أن تنام أو تتنفس جيداً - بل تكاد تجن - لو تبللت بالماء طوال الوقت.. ولو كنا جاهزين لاصطدام قوى لارتدينا ملابس رسمية وقبعات صامدة للماء.. إن دق الماء على رأسك باستمرار يدفعك إلى الجنون لأنه ثقيل.. إنه مثل طلاقات الرصاص.. لا أستطيع أن أعرف إلى متى سوف أتحملة.

أيها الفتى، هيا بنا إلى قبة الشمس!.. وكل من اعتقد أنها فى الطريق أمامنا فهو صائب الرأى.

عبروا النهر وأثناء عبورهم تصوروا أن قبة الشمس - الموجودة فى مكان ما أمامهم تضىء وسط الأمطار التى تهطل فى الغابة.. وأنها عبارة عن بيت أصفر اللون مستدير ومضىء كالشمس، يبلغ ارتفاعه خمس عشرة قدماً وقطره مائة قدم^(٢)، يسود فيه الدفء والهدوء ويتوفر فيه الطعام الساخن كما أنه محمٍ تماماً من الأمطار.. وفى مركز قبة الشمس توجد بالطبع "شمس" عبارة عن كرة نارية صفراء صغيرة تتحرك بحرية فى الفضاء فوق قمة المبنى بحيث يمكنك أن تراها من

(٢) القدم يساوى ٤٨، ٣٠ سنتيمتر. (المترجم).

مكان جلوسك وأنت تدخن أو تقرأ كتاباً أو تشرب كوباً من الشيكولاته الساخنة المغطاة بقطع كبيرة من الحلوى.. وهناك تجد هذه الشمس الصفراء فى حجم شمس الأرض تقريباً.. وهى دافئة وموجودة دائماً، وهناك لعلك تنسى جو الزهرة المطير طالما أنك تجلس فى هذا المأوى وتقضى فيه بعض الوقت.

استدار الملازم ونظر وراءه إلى الرجال الثلاثة الذين يجدفون ويصرون على أسنانهم.. كان لونهم أبيض كلون فطر عش الغراب أو كلونه هو.. فكوكب الزهرة يبيض كل شىء فى غضون بضعة أشهر.. حتى الغابة عبارة عن كابوس رهيب كرسم كاريكاتيرى، إذ كيف تكون الغابة خضراء بدون شمس.. أو دائمة الشمس ودائمة الغسق؟.. فالغابة بيضاء وأوراقها وأرضها بيضاء بلون (الكامامبير)^(٢) وجذوع أشجارها تشبه فطريات "خبز الغراب" السامة الهائلة ذات الثمار مظلية الشكل، كل شىء بلون أسود وأبيض.. ثم كم مرة يمكنك أن ترى التربة ذاتها؟.. أليست أساساً عبارة عن جدول أو مجرى ماء أو بركة صغيرة أو مستنقع أو بحيرة أو نهر أو - وأخيراً - بحر؟

"ها قد وصلنا".

(٢) نوع من الأجبان الفرنسية الدسمة المصنعة من حليب البقر، لونها أبيض إلى مصفر قليلاً وتغطى سطحها قشرة بيضاء رقيقة، ولها رائحة نفاذة. (المترجم).

قفزوا من القارب إلى الشاطئ، وهم ينتثرون الماء في شكل
«طرطشات»، وقاموا بتفريغ القارب من الهواء، فانكمش إلى ما يقارب
حجم علبة سجائر، ثم وضعوه في إحدى الحقائب.

بعد ذلك، وقفوا فوق الشاطئ المطر، وحاولوا إشعال بعض
السجائر لهم، ولم تمر خمس دقائق أو نحوها، حتى أخذوا يرتعدون. ثم
راحوا يحيطون القداحات بأكفهم، حتى لا تنطفئ نيرانها بفعل الأمطار
المنهمرة، ونجحوا أخيراً في سحب عدة أنفاس من السجائر، ولكن
سرعان ما انطفأت وأصبحت رخوة وسقطت من شفاههم، بتأثير صفة
مفاجئة من الأمطار المتدفقة.

استمروا في السير إلى الأمام.

قال الملازم: "انتظروا لحظة واحدة. أعتقد أنني لمحت شيئاً ما أمامنا".

"أهى قبة الشمس؟"

"لست متأكداً. فقد أطيقت علينا الأمطار من جديد".

شرع (سيمونز) يركض قائلاً: "قبة الشمس!".

- "(سيمونز)، ارجع".

- "قبة الشمس!".

واختفى (سيمونز) بين طيات الأمطار. وراح الآخرون يركضون
خلفه. وجدوه أخيراً في قطعة أرض جرداء صغيرة، توقفوا وتطلعوا إليه
وما قد اكتشفه.

سفينتهم الفضائية المحطمة!

كانت ترقد هناك ، فى المكان الذى تركوها فيه، عندئذ تأكّدوا أنهم - بطريقة ما - قد عادوا إلى حيث بدأوا. وفى وسط الحطام نمت فطريات خضراء، فوق جثتى الرجلين الميتين، وخرجت من فمهما. وبينما كانوا يراقبون المشهد المروع، اقتتص الفطر زهرة، تقوضت تويجاتها بفعل الأمطار المنهمرة، ثم مات الفطر.

- "كيف فعلنا ذلك؟"

- "لابد أن عاصفة كهربائية هبت من مكان قريب.. لنلق البوصلتين اللتين معنا بعيداً، هذا يفسر الأمر.."

- "نعم، أنت على حق."

- "علينا أن نبدأ من جديد."

- "يا إلهى.. إننا لا نقرب هكذا أبداً من أى مكان!"

- "لنحاول الاحتفاظ برباطة جأشنا ونهدأ يا (سيمونز)."

- "اهدأ.. اهدأ!.. كيف؟.. إن هذا المطر سوف يقودنى إلى الجنون."

- "إن ما معنا من طعام يكفيننا ليومين آخرين لو توخينا الحذر."

تراقصت قطرات المطر على جلودهم.. وعلى أزيائهم الرسمية المبللة.. وأخذت حبات المطر تتساقط من أنوفهم وأذانهم، من أصابعهم وركبهم.. وبدا الجميع كنافورات حجرية متجمدة فى الغابة تطلق الماء من كل

فتحة بها .. وبينما هم يقفون إذ سمعوا زئيراً من بعيد .. ثم خرج الوحش
من بين طيات المطر.

كان الوحش مرتكزاً على ألف ساق زرقاء كهربائية .. ويمشي
بسرعة ورشاقة على نحو مروع .. وسدد برجله ضربة هائلة، وفي كل
مكان كانت ضربة واحدة من إحدى أرجله تسقط شجرة وتحرقها ..
وامتلاً الهواء الذي تفوح منه رائحة المطر بهبات من غاز الأوزون،
وانتشر الدخان ولم يوقفه إلا زخات المطر. وكان عرض الوحش
حوالى نصف ميل وارتفاعه ميل واحد. وكان يتحسس الأرض كما
لو كان أعمى جباراً لا يرى .. والغريب أنه فى بعض الأوقات لم يكن له
أى رجل على الإطلاق! ..

ولكن بعد لحظة واحدة يسقط ألف سوط من بطنه، وهى سياط بنية
بيضاء تلسع الغابة وتمزق أوصالها .

قال واحد من الفريق: "ها هى ذى العاصفة الكهربائية! .. ها هو ذا
الشيء الذى خرب بوصلاتنا .. وهو يقترب الآن من هذا الطريق".

صاح الملازم: "ارقدوا، ارقدوا جميعاً" .. وصرخ (سيمونز):
"لنركض جميعاً .. هيا!".

"لا تكن غيبياً .. ارقد .. إنه يضرب الأماكن العالية فقط .. ربما يمر
بنا دون أن نصاب بأذى .. ارقدوا على مسافة نحو خمسين قدماً من
السفينة الفضائية .. ربما يستنفد قوته هناك ويتركنا نعيش ..
هيا ارقدوا! .. وعلى الفور ارتدى الرجال على الأرض.

وبعد برهة سأل كل منهم الآخر: "هل الوحش قادم؟"

- "نعم".

- "هل هو قريب منا؟"

- "على مسافة ٢٠٠ ياردة^(٤) تقريباً".

- "هل اقترب أكثر الآن؟"

- "ها هو ذا قد وصل!".

جاء الوحش ووقف يطل عليهم ثم أسقط عشرة صواعق ضوئية زرقاء ضربت سفينتهم الفضائية. قومضت وأصدرت صوتاً معدنياً رناناً وواضحاً مثل جرس هائل ضربه شيء ما.. وأطلق الوحش خمس عشرة صاعقة أخرى تراقصت بحركة صامتة وعشوائية وهي تتحسس طريقها إلى الغابة والتربة الرطبة.

قال أحد الرجال وهو يشب واقفاً: "لا، لا!".

صرخ الملازم قائلاً: "ارقد على الأرض أيها الغبي!". فرد عليه قائلاً: "لا!".

ضربت الصواعق الضوئية السفينة الفضائية اثنتا عشرة مرة أخرى.. ولف الملازم رأسه من فوق ذراعه ورأى الومضات الزرقاء المنقطة..

(٤) الياردة تساوي ٩١,٤٣٩١ سنتيمتر. (المترجم)

وشاهد الأشجار وهي تنهار وتتحول محترقة إلى حطام.. كما أبصر الوحش الذى كان على شكل سحابة معتمة رهيبة تستدير كقرص جبار أسود بأعلى وتطلق مائة صاعقة كهربائية أخرى.

الرجل الذى هب واقفاً كان يجرى الآن كشخص يجرى فى قاعة ضخمة بها الكثير من الأعمدة.. ثم اختفى بين تلك الأعمدة، وأخيراً اثنا عشر عموداً منها تحطم بقوة فوق الأرضية وارتفع صوت يشبه صوت ذبابة وهي تهبط على الأسلاك الحارقة بجهاز إبادة الذباب. تذكر الملازم ذلك من أيام طفولته بالمزرعة.. وبدأت تفوح رائحة رجل احترق حتى التفحم.

أحنى الملازم رأسه وقال للآخرين: "لا تنظروا إلى أعلى".. وكان يخشى أن يركض هو نفسه فى أى لحظة، وأمطرتهم العاصفة التى فوق سلسلة جديدة من الصواعق، ثم لم تلبث أن انطلقت إلى حال سبيلها.. ومرة أخرى لم يكن هناك سوى المطر، الذى نقى بسرعة الهواء من رائحة الحرق والتفحم.. وفى لحظة كان الرجال الثلاثة الباقون جالسين ينتظرون سماع ضربات قلوبهم وهي تنخفض وتهبط مرة أخرى.

ساروا حتى جثة الرجل، اعتقاداً منهم بأنهم ربما يتمكنون من إنقاذ حياته.. ولم يصدقوا أنه لا توجد أية وسيلة لمساعدة الرجل.. كان ذلك هو التصرف الطبيعى لمجموعة من الرجال أبوا أن يقبلوا موت أحدهم حتى رأوه يموت ولمسوا ذلك جيداً، ثم استداروا للتخطيط لدفنه

أو تركه هناك فى العراء تحت رحمة الغاية لكى تدفنه خلال ساعة واحدة من تغيراتها السريعة.

كانت الجثة متحجرة كالصلب وملفوفة فى جلد محترق، وبدت كدمية من الشمع قذفها أحدهم فى محرقة ثم أخرجها بعد أنغاص الشمع إلى الهيكل العظمى المتفحم الأسنان فقط كانت بيضاء سقط نصفها من جراء لكمة بقبضة سوداء مميتة.

قالوا جميعهم فى نفس الوقت تقريباً: "ما كان يجب أن يقفز ويركض"، وبينما هم واقفون بجانب الجثة، بدأت تتلاشى، لأن النباتات كانت تزحف عليهم.. أشجار صنوبر ولبلاب صغيرة ونباتات زاحفة ومنسلقة وحتى الزهور للموتى.. ومن بعيد خمدت العاصفة واختفى صواعق البرق الزرقاء.

عبروا أحد الأنهار وقناة وجدولاً صغيراً ثم اثنى عشر نهراً وقناة وجدولاً.. كان أمامهم مشهد أغرب من الخيال.. أنهار تظهر لهم ثم تندفع وتأتى أنهار جديدة، بينما تغير الأنهار القديمة لونها.. أنهار بلون الزئبق وأنهار بلون الفضة واللين.. وأخيراً وصلوا إلى البحر..

البحر الأوحده.. لم تكن هناك سوى قارة واحدة على كوكب الزهرة.. وكانت هذه اليابسة يبلغ طولها ثلاثة آلاف ميل وعرضها ألف ميل، ويحيط بهذه الجزيرة البحر الأوحده الذى يغطى كل الكوكب المطير.. البحر الأوحده الذى شواطئه جرداء تماماً وتكاد تخلو من الحركة.

أوماً الملازم برأسه تجاه الجنوب وقال: "من هذا الاتجاه.. أنا واثق من وجود قبتين شمسييتين فى هذا الطريق".

"عندما كانوا هناك، لماذا لم يبنوا مائة قبة؟"

"يوجد منها الآن مائة وعشرون.. أليس كذلك؟"

مائة وستة وعشرون، حسب تقارير الشهر الماضى.. لقد حاولوا تمرير مشروع قانون الكونجرس^(٥) على الأرض منذ عام، لتوفير الموارد لإنشاء أربع وعشرين آخرين.. لكن لا، أنت تعرف كيف تسير الأمور هناك. إنهم يفضلون زهاب حفنة من الرجال الحمقى إلى هذا الجو الممطر اللعين.. واتجهوا جنوباً، وسار الملام (سيمونز) والرجل الثالث، (بيكارد) فى المطر الذى استمر يهطل بشدة فترة وقليلاً فترة أخرى.. وهكذا استمر حال المطر.. ينهمر ويضرب ولا يتوقف سقوطه على الأرض والبحر والرجال السائرين.

أول من رآها كان (سيمونز) الذى هتف: "ها هى ذى!".

"ماذا تعنى؟"

"القبة الشمسية!".

(٥) الهيئة التشريعية القومية للولايات المتحدة، وتتكون من مجلسى الشيوخ والنواب.
(المترجم).

فتح الملازم عينيه وقفلهما لطرد الماء منهما، ورفع يديه لتجنب الضربات اللاسعة للمطر. وعلى مسافة ما أمامهم ارتفع وهج يرتقالي على حافة الغابة بجوار البحر..

كانت هذه بالفعل القبة الشمسية.. وابتسم الرجال كل منهم للآخر.

"يبدو أنك كنت على صواب أيها الملازم."

"أعتقد أنه الحظ لا أكثر."

أخى.. إن مجرد رؤيتها دب القوة في كل عضلات جسمي.. هيا بنا! آخر واحد كان ملعوناً"، وبدأ (سيمونز) يهرول.. وعلى الفور هذا الآخرون حذوه ألياً وهم متعبون ويشهقون، لكنهم ظلوا وراءه.

وقال (سيمونز) وهو يبتسم لاهئاً: "لكم أريد الآن قدحاً كبيراً من القهوة.. وطبقاً من الكعك بالقرفة.. يا إلهي!.. ثم أتمد هناك وأسترخي تحت أشعة الشمس.. ذلك الرجل الذي اخترع القباب الشمسية، كان لابد أن يستحق ميدالية الإبداع!"

زادوا من سرعة سيرهم، واشتد الوهج البرتقالي.. وأضاف (سيمونز): "أعتقد أن كثيراً من الرجال أصابهم الجنون قبل أن يعرفوا العلاج.. أظن أن هذا واضح!.. وخصوصاً الآن". ونطق (سيمونز) تلك الكلمات بشكل متسق مع ركضه واستطرد قائلاً: "المطر.. المطر.. منذ سنوات مضت وجدت صديقاً لي هناك في الغابة هائماً على وجهه.. في المطر.. يتكلم ويتكلم بلا توقف ويقول: "أنت لا تعرف ما يكفي..

لكى تأتى والمطر يهطل فى الخارج.. أنت لا تعرف ما يكفى.. لكى تأتى
والمطر يهطل فى الخارج.. أنت لا تعرف ما يكفى.. هكذا بدون توقف..
يا له من مسكين معتوه.

”اهدأ يا رجل والتقط أنفاسك“.

وبدأوا يركضون كلهم معاً وهم يقهقهون، حتى وصلوا إلى باب
القبة الشمسية وهم مازالوا يضحكون.

فتح (سيمونز) الباب على مصراعيه بحركة سريعة وقوية وصاح:
”مرحباً! أحضروا القهوة والكعك!“. لم يكن ثمة إجابة. ثم خطوا عبر باب
القبة الشمسية..

كانت القبة الشمسية خالية ومظلمة.. ولم تكن هناك شمس صفراء
صناعية تسبح وسط تيار غازى عال فى منتصف السقف الأزرق. ولم
يكن هناك أى طعام لهم.. كان الجو بارداً كجو قيو أو سرداب.. ومن
خلال ألف فتحة تم فتحها مؤخراً فى السقف تدفق ماء.. المطر يتساقط
منها إلى أسفل ويتشبع به السجاجيد السميكة والأثاث العصري الثقيل
ويتطاير على المناضد الزجاجية. كانت الغابة تنمو كالطحالب فى الغرفة
على قمم خزانات الكتب والأرائك الكبيرة. وأخذ المطر يهطل بقوة على
وجوه الرجال الثلاثة.. وبدأ (بيكارد) يضحك فى هدوء.

”اصمت يا (بيكارد)“.

يا إلهى!.. انظروا إلى ما يوجد هنا لأجلنا.. لا طعام، لا شمس،
لا شئ.. لقد فعلها أهل الزهرة!.. نعم بالطبع هم من فعل ذلك!..

أوماً (سيمونز) برأسه ومازال المطر يهطل على وجهه ..
وجرى الماء فى شعره الفضى وعلى حاجبيه البيضاوين .. وقال: "بين كل
وقت وآخر، يأتى أهل الزهرة من البحر ويهاجمون القبة الشمسية..
وهم يعلمون أنه إذا كان بمقدورهم تدمير القبة الشمسية فبمقدورهم
تدميرنا نحن أيضاً".

- ولكن ألا توجد أسلحة (سيمونز) لحماية القباب الشمسية؟

- "بالطبع .. ثم تنحى (سيمونز) جانباً إلى مكان جاف نسبياً.
وأضاف:

"ولكن لا تنس أنه مرت ثلاث سنوات منذ أن حاول عمل أى شىء..
وبالطبع الدفاع يتراخى مع الوقت، ولا بد أنهم أخذوا هذه القبة
على غرة".

"حسناً .. وأين إذن جثث الموتى؟".

أخذهم أهل الزهرة كلهم وألقوا بهم فى البحر .. إننى سمعت أن
لديهم طرقاً رائعة لكى يفرقوا .. وأنت تحتاج إلى ثمانى ساعات لكى
تغرق بالطريقة التى يتبعونها ..

"نعم، إنها رائعة جداً!".

قال (بيكارد) ضاحكاً: "أراهن أنه لا يوجد هنا أى طعام
على الإطلاق".

حقوق فيه الملازم قليلاً وأوماً إليه حتى يتمكن (سيمونز) من الرؤية..
وهز (سيمونز) رأسه ورجع إلى حجرة بأحد جوانب الردهة البيضاوية.
وجد المطبخ ممتلئاً بأرغفة الخبز المشبعة بالماء ولحم قد نمت عليه
بعض المواد التي تشبه الفرو الأخضر.. كان المطر يسقط من مائة فتحة
بسقف المطبخ.

نظر الملازم عالياً إلى الفتحات وغمغم ساخراً: "رائع!.. لا أظن أنه
بوسعنا سد كل تلك الفتحات ثم ننعم ببعض الراحة والدفء هنا".

قال (سيمونز) مزمجرأ: "بدون طعام يا سيدى؟.. إننى ألاحظ
أن آلة الشمس الصناعية تمزقت بأكملها.. وأرى أن أفضل خيار لنا
أن نشق طريقنا إلى القبة الشمسية التالية.. ما المسافة التي تبعد بها
عنا؟".

ليس كثيراً.. وكما أذكر فقد شيدوا قبتين متجاورتين هنا.. لكن
ربما لو انتظرنا هنا، فربما تحضر إلينا بعثة إنقاذ من القبة الأخرى
أو....".

"الأرجح أنها كانت هنا فعلاً ثم انصرفت منذ بضعة أيام.. وسوف
يرسلون طاقماً لإصلاح هذا المكان بعد حوالى ستة شهور، عندما
يحصلون على الاعتمادات المالية من الكونجرس.. ولا أظن أنه من
الأفضل لنا أن ننتظر".

"حسناً.. إذن سوف نأكل ما تبقى من مخصصاتنا الغذائية ثم نبدأ
فى التحرك إلى القبة التالية".

قال (بيكارد): "لو أن المطر توقف عن الاصطدام برأسي.. ربما استطعت أن أتذكر سعادة المرة عندما لا يكون ثمة ما يضايقه!". ووضع يديه على رأسه وأمسك بها بإحكام واستطرد: "أتذكر عندما كنت في المدرسة كان هناك تلميذ مفترٍ^(٦) يجلس ورائي في الفصل الدراسي ويقرصني باستمرار كل خمس دقائق طوال اليوم، وأخذ يقوم بهذا العمل لأسابيع وشهور،

وأصبحت ذراعاى متقرحتين وبهما بقع سوداء وزرقاء طوال الوقت، وجال بخاطري، أنتى سوف أجن من هذه القرصات المؤلمة، وذات يوم لابد أننى أصبت بشيء من الجنون بسبب ذلك الإيذاء المستمر - استدرت إليه وأخذت مسطرة معدنية، تستخدم فى الرسم لحل مسائل علم المكيانيكا، وكدت أن أقتل ذلك الملعون، بأن أفصل رأسه الحقيقى عن جسمه، وأن أنتزع عينيه من محجريهما! لولا أن زملائى جرونى إلى خارج الفصل الدراسى، وكنت أصرخ "لماذا لا يتركنى وحيداً؟ لماذا لا يتركنى وحيداً؟".

أمسكت يديه بقوة برأسه، وأخذ يرتجف ويريد ضغطه على عظام رأسه. أغلق عينيه وصاح: "ولكن ما الذى أفعله الآن؟ لمن أوجه ضرباتى، وأطلب منه الابتعاد عنى، وأن يتوقف عن مضايقتى، هذه الأمطار اللعينة، إنها مثل القرصات المستمرة التى تصيبك، إنها كل ما تسمع وتحس!".

(٦) من يستعمل قوته لإيذاء الضعفاء افتراء. (المترجم).

"سوف نصل إلى قبة الشمس الأخرى فى الرابعة من بعد ظهر اليوم"^(٧).

"قبة الشمس؟ انظر إلى هذه القبة التى وصلنا إليها! ماذا لو أن كل القباب الشمسية فوق كوكب الزهرة مدمرة؟ ماذا نفعل؟ ماذا لو أن ثمة ثقباً فى كل سقوفها، وأن مياه الأمطار تتسرب منها إلى داخلها!".
"علينا أن نجازف".

"لقد سئمت المجازفة. كل ما أطلبه سقف يحمينى من الأمطار، وبعض الهدوء. أريد أن أكون بمفردى".

"أرجو أن تتماسك، فلم يبق سوى ثمانى ساعات ونصل إلى لقبة الشمس الأخرى".

ضحك (بيكارد) ودون أن ينظر إليهما قال: "لا تقلق. إننى سوف أتماسك دون شك".

قال (سيمونز) وهو يراقبه: "دعنا نأكل".

ساروا بمحاذاة الشاطئ، فى اتجاه الجنوب مرة أخرى. وبعد أربع ساعات، كان عليهم أن يغيروا مسارهم، لكى يلتفوا حول نهر يبلغ عرضه حوالى ميل، ولكن مياهه سريعة الحركة للغاية، حتى أنه غير صالح

(٧) الزهرة ثانى كوكب بعداً عن الشمس، وكثافته وكثافته وحجمه، قريبة من مقاييس كوكب الأرض. (المترجم).

للملاحة بواسطة قاربهم. ومن ثم كانوا مضطرين للسير فوق الجزء
الداخلي من اليابسة، لمسافة ستة أميال، حيث فوجئوا بمعان يتفجر فيها
النهر متدفقاً من الأرض، كما لو كان جرحاً مهلكاً.

وتحت الأمطار القاسية، ساروا فوق اليابسة الصلبة وعادوا إلى
البحر، قال (بيكارد) أخيراً: "يجب على أن أنام" وسقط متهاكاً ثم استطرد:
".. إننى لم أنم منذ أربعة أسابيع، كنت متعباً ولكننى لم أستطع النوم،
الآن سوف أنام هنا".

اشتدت ظلمة السماء، إن ليل كوكب الزهرة حالك السواد، ومن ثم
يكون من الخطورة التحرك فيه.

جثا (سيمونز) والملازم على ركبهم أيضاً، وقال الملازم: "حسناً،
سوف أفكر فى طريقة لتنعيم ببعض النوم. لقد جربناها من قبل،
ولكنى لا أدرى إذا كانت سوف تنجح هذه المرة أيضاً. إن النوم ليس من
الأمور التى يمكن القيام بها فى هذا الجو المروع".

رقدوا بكامل ملابسهم، وهم يسندون رؤوسهم إلى أعلى،
حتى لا تدخل مياه الأمطار إلى أفواههم، وأغمضوا عيونهم.

تشنج^(٨) الملازم ولم يستطع النوم، كانت ثمة أشياء تزحف على
جلده، أشياء تنمو فوقه فى طبقات.

(٨) حركة مفاجئة غير إرادية. (المترجم).

أخذت قطرات المطر تتلامس مع بعضها البعض، تكون تدفقات صغيرة، تتساب على جسمه. وبينما كانت تتحرك عبر الأنسجة الناعمة، أخذت جذور بعض نباتات الغابة، تنمو في ملابسه.

شعر الملازم بأن نبات اللبلاب^(٩) يتشبث به، ويكون رداءً ثانياً فوق جسمه، وأحس ببراعم الزهور الصغيرة تتفتح ثم تتساقط أوراق التويجات، ومازال المطر ينقر بخفة جسمه، وبالتحديد رأسه.

وفي الليل المتألق - إذ إن الحياة النباتية تتوهج في الظلمة - كان بمقدوره أن يرى التكوين المحدد للرجلين الآخرين، وكأنهما جذعا شجرتين قد سقطا، واتخذا لهما غطاءين من العشب والزهور، يشبهان المخمل، ارتطمت حبيبات المطر بوجهه، فغطاه بيديه. ثم ارتطمت برقبته، فاستدار لينام على بطنه في الوحل، فوق النباتات المطاطية. ثم ارتطمت بظهره ورجليه.

فجأة، انتصب واقفاً وبدأ في نقض مياه الأمطار عنه. كانت حبيبات الأمطار تلمسه وكأنها ألف يد، ولكنه لم يعد يتحمل أن يلمسه أى شيء. تحرك بشكل أخرق بارتباك، فتعثر في جسم (سيمونز)، الذي نهض واقفاً تحت الأمطار، وأخذ يعطس بقوة فيخرج من أنفه بخاراً رطباً، ويسعل حتى كاد أن يختنق.

(٩) نبات متسلق دائم الخضرة. (المترجم).

ثم انتصب (بيكارد) على قدميه، وراح يصيح ويدور حول نفسه
باهتياج لا يلوى على شيء.

“(بيكارد)، على رسلك”.

صرخ (بيكارد): “توقف أيها المطر. هيا توقف”.

ثم أطلق مسدسه ست مرات في اتجاه سماء الليل الحالك، وفي
الأثر المغبر الذي أحدثته الطلقات، أمكنهم أن يشاهدوا حشود قطرات
المطر المتكاثفة، معلقة وكأنها داخل كتلة هائلة من الكهرمان الساكن.
بدت لهم قطرات المطر مترددة، وكأنها هي مصدومة من صوت انفجار
طلقات مسدس (بيكارد)، خمس عشرة بليون قطيرة ماء، خمس عشرة
بليون دمعة، خمس عشرة بليون حلية. إنها كجواهر موضوعة على لوحة
عرض من المخمل الأبيض.

ثم بعد أن تلاشى الضوء، كانت قطرات المطر تترقب كما لو أنها
تنتظر من يلتقط لها صورا، وهذا ما أدى إلى تعليق اندفاعها إلى أسفل،
وارتطامها بالرجال الثلاثة، وتلدغهم كما قد تفعل سحابة باردة ومؤلمة،
من الحشرات اللاسعة.

“توقفى أيتها الأمطار! هيا توقفى!”.

“(بيكارد)! اصمت”.

إلا أن (بيكارد) كان يقف الآن، وحيدا. وعندما أضاء الملازم مصباحا
يدويا، وسلطه على وجه (بيكارد) المبلل، كانت عيناه جاحظتين ومنقوختين،

والفمه مفتوحاً، ووجهه مكفهراً، ومن ثم فقد كانت قطرات المطر ترتطم
بوجهه وتتطاير فوق لسانه، وتصطدم بعينييه المتسعيتين فتغمرهما بالمياه،
والشكل فقاعات تزد في سكون فوق فتحتى الأنف.

صاح الملازم: "(بيكارد)!"

بيد أن الرجل لم يرد عليه. بل وقف هناك ببساطة لمدة طويلة،
والفقاعات الناتجة عن قطرات الأمطار، تنبثق من شعره المبيض وتدفقات
متصلة منها تشبه الحلى المتقاطر من رسغيه ورقبته.

"(بيكارد)! سوف نرحل إلى القبة الشمسية الثانية. اتبعنا."

سالت قطرات المطر من أذنى (بيكارد).

صاح الملازم: "(بيكارد)! هل تسمعنى؟"

وكأنما كان يصرخ إلى أسفل بئر.

"(بيكارد)!"

قال (سيمونز): "دعك منه".

قال الملازم: "لن نستطيع الرحيل دون أن يكون معنا".

عبر (سيمونز) عن احتقاره بالبصق، وقال: "وماذا ستفعل، هل
نحملة على أكتافنا. ليس ثمة فائدة منه سواء لنا أو لنفسه. أتعرف ما
الذى ينوى أن يفعله؟ سوف يستمر فى الوقوف فى مكانه، حتى يفرق.
"ماذا؟"

"لابد أنك أصبحت تعرف هذا. ألا تعرف حقيقة الأمر؟ سوف يظل واقفاً هنا ورأسه مرتفع، ويدع قطرات المطر تأتي إلى فتحتى أنفه وفمه. سوف يتنفس الماء".
"غير معقول!".

"لقد وجدوا الجنرال (مندت) فى نفس هذه الحالة، منذ وقت قصير. كان جالساً فوق صخرة ورأسه إلى الخلف، وكان يتنفس المطر وكانت رثاه ممثلتين بالمياه.

أعاد الملازم تسليط ضوء المصباح اليدوى، على وجه (بيكارد) جامد الانفعال، الذى لا تطرف عيناه. وصدر عن فتحتى أنفه المبللتين صوت خافت للغاية.

صفعه الملازم على وجهه: "(بيكارد)! ماذا بك؟".

قال (سيمونز): "إنه حتى لا يشعر بوجودك! إن المرء الذى يتعرض لهذه الأمطار المروعة لعدة أيام، يفقد وجهه ورجليه ويديه".

نظر الملازم إلى يده فى هلع. إنه لم يعد يحس بها!

"لكننا لا نستطيع ترك (بيكارد) هنا".

قال (سيمونز): "سوف أريك ما الذى يمكننا عمله" وأطلق مسدسه.

سقط (بيكارد) فوق الأرض التى تتساقط عليها الأمطار وصاح (سيمونز): "أيها الملازم! لا تتحرك. يمكننى أن أطلق عليك النار أيضاً.

فكر فى الأمر جيداً، كان سىظل واقفاً أو جالساً إلى أن يغرق، إن هذه الطريقة أسرع، لقد عجلت بالأمر.

حذق الملازم فى جسد (بيكارد) وقال: "ولكنك قتلتها".

"نعم، لأنه كان سوف يتسبب فى قتلنا، عندما يصبح عبثاً علينا، لقد رأيت وجهه، إنه وجه مجنون".

بعد هنيهة أوماً الملازم برأسه وهمس: "حسناً".

وسارا تحت المطر المنهمر.

كانت الظلمة حالكة، ولم تستطع أشعة مصباحيهما اليدويين أن تخترق الأمطار إلا لمسافة عدة أقدام فقط. وبعد نصف ساعة كان عليهما أن يتوقفا لشعورهما بالإرهاق، وجلسا حتى انتهى الليل، وكانا يتصوران جوعاً مما سبب لهما الماء. وعندما انبلج الفجر - الذى كثيراً ما انتظراه - كان رمادياً وممطراً باستمرار كما هو الحال فى السابق، وشرعا فى السير من جديد.

قال (سيمونز): "لقد أخطأنا التقدير".

رد عليه الملازم قائلاً: "لا، باقى أماننا ساعة أخرى".

قال (سيمونز): "ارفع صوتك، إننى لا أسمعك" ثم وقف وابتسم ولس أذنيه: "يا إلهى. أذنأى، إننى لا أسمع بهما. إن كل هذه الأمطار التى ترتطم بى، قد وصلت أخيراً إلى عظام الأذنين فافقدتني حاسة السمع".

قال الملازم بدهشة: "ألا تستطيع أن تسمع أى صوت؟"

كانت عينا (سيمونز) حائرتين، وهو يقول: "ماذا تقول؟"

"لا شيء، هيا بنا."

"سوف أبقى هنا، واستمر أنت فى طريقك."

"لا تستطيع أن تفعل هذا."

"إننى لا أسمعك، واصل سيرك وحدك. إذ إننى متعب، ولا أظن أن قبة الشمس الثانية فى هذا الاتجاه. وحتى لو كانت هناك، فربما حدثت ثقوب فى سقفها، مثل القبة الأولى. أظن أنتى سوف أجلس هنا."

صاح الملازم: "(سيمونز)! انهض من مكانك."

وداعاً أيها الملازم."

"إنك لا تستطيع أن تستسلم الآن."

لدى مسدس يؤكد لى أننى سوف أبقى هنا. إننى لم أعد أهتم بأى شيء، ولم أصب بالجفون بعد، ولكننى على وشك أن أفقد عقلى، وبمجرد أن تغادر هذا المكان وتغيب عن نظرى، سوف أطلق الرصاص على رأسى."

"(سيمونز)! عد إلى رشدك."

"لقد نطقت باسمى، لقد استطعت قراءة شفيتك بعد أن أصبحت أصم!"

” (سيمونز) ! هيا قم .

” اسمع، إنها مسألة وقت. إما أن أموت الآن أو بعد عدة ساعات. انتظر حتى تصل إلى قبة الشمس التالية - إذا قدر لك أن تصل إليها - ووجدت أن الأمطار تنساب عبر ثقوب في السقف. ألن يكون هذا أمراً رائعاً؟

انتظر الملازم هنيهة ثم تحرك وسط الأمطار الغزيرة، فتناثرت القطرات فوق جسمه. استدار ونادى على (سيمونز) مرة واحدة، إلا أنه كان جالساً هناك ومسدسه بين يديه. يترقب أن يغيب الملازم عن نظره. هز (سيمونز) رأسه ولوح للملازم وكأنها تحية وداع.

ولم يسمع الملازم حتى صوت المسدس.

وأثناء سيره، اضطر لأكل الزهور. وبقيت في معدته لمدة قصيرة للغاية، ولم تكن سامة ولا زودته باحتياجات جسمه من الطاقة، وسرعان ما تقيأها بعد دقيقة أو نحوها، وشعر بأن هذه الزهور سببت له الغثيان.

جرب ذات مرة أن يقطف بعض أوراق الأشجار، ويصنع منها قبعة له، لكنه حاول ذلك من قبل، إلا أن الأمطار أسقطت القبعة عن رأسه، وكان كلما قطف النباتات، تحللت عضوياً بسرعة بين أصابعه، وتحولت إلى كتل رمادية ذابلة.

كان يتحدث إلى نفسه قائلاً: ”خمس دقائق أخرى. خمس دقائق أخرى. وأسير وسط بحر من مياه الأمطار، ولكنني سأستمر في السير.

إن الأرضيين لا يمكنهم تحمل هذه الأمطار المروعة. ولكن على أن أتحكم
فى أعصابى. نعم يجب أن أتحكم فى أعصابى.

تعثر فى طريقه عبر بحر من الطين الناعم وعناقيد من الأوراق
النباتية ثم وصل أخيراً إلى تل صغير.

وعلى البعد، كانت ثمة بقعة صفراء باهتة، بين الحجب الباردة
لمياه الأمطار.

إنها قبة الشمس الثانية.

ولم الملازم من خلال الأشجار، مبنى أصفر طويلاً ومستديراً،
بعيداً للغاية، ولهنيهة وقف مترنحاً، يتطلع إليه. أخذ يركض ثم تمهل
قليلاً، لأنه كان خائفاً. ولم يشأ أن يصيح ليعلن عن وجوده وجل بخاطره
تساؤلان: ماذا لو كانت هذه القبة الشمسية هى نفسها الأولى التى
زاروها؟ ماذا لو كانت هذه هى القبة المقفرة، التى لا شمس فيها؟

انزلق ثم سقط. وفكر فى أنه من الأفضل أن يرقد هنا، فهذه ليست
قبة الشمس المطلوبة. أرقد هنا. فالموقف يدعو لليأس. تجرع كل ما تشتهى.

بيد أنه تحامل على نفسه وانتصب واقفاً من جديد، وعبر الكثير من
الجدول، وأصبح الضوء الأصفر أكثر سطوعاً. عندئذ راح الملازم
يركض من جديد، وكانت قدماه تهشمان ما يشبه المرايا والزجاج الذى
تكونهما مياه الأمطار فوق التربة، أما ذراعاه فكانتا تضربان بعنف،
قطرات المطر التى تتراعى له وكأنها ماسات وأحجار كريمة.

وأخيراً وقف أمام الباب الأصفر، وكانت اللافتة الموضوعة عليه تقول:
"قبة الشمس". وضع يده، فاقدة القدرة على الإحساس، عليها حتى
لمسها. ثم أدار مقبض الباب ودلف إلى الداخل متردداً، وقف لبرهة يتطلع
لما حوله.. وخلفه كانت الأمطار ترتطم بالباب من الخارج. وأمامه - فوق
منضدة منخفضة - وضع إناء فضي به شيكولاته ساخنة، يتصاعد منها
البخار، وصحن زجاجي يعلى بقطيرة (العضرسى)^(١٠).

وبجانب كل هذا، فوق صينية أخرى، توجد شطائر سميكة ومكتظة
بلحم الدجاج الشهي والطماطم والبصل الأخضر الطازجين، وأمامه
مباشرة، يوجد قضيب معدني أفقي قابل للتمدد، تعلق عليه منشقة
كبيرة خضراء اللون، وتركبة الصنع. وصندوق من الخشب ليلقى فيه
بملابسه المبللة.

وإلى يمينه مقصورة صغيرة، لتجفف جسمك في ملح البصر،
وفوق مقعد، وضع رداء رسمي جديد، ليستبدل به رداءه القديم،
كان في انتظار أى شخص، هو نفسه أو شخص آخر ضال،
يمكنه ارتداؤه.

وعلى مسافة قريبة، توجد قهوة ساخنة يتصاعد منها البخار،
وهي موضوعة داخل أوانٍ من النحاس، كما يوجد حاكي^(١١) تنبعث منه

(١٠) تصنع من الذرة والنشا وترش بالسكر. (المترجم).

(١١) جهاز يستخدم لإعادة أصوات الموسيقى والأغاني المسجلة على أسطوانات. (المترجم).

موسيقى هادئة، وفوق أرفف كتب مجلدة بأغلفة حمراء وبنية من الجلد، وبالقرب من الكتب، سرير خفيف نقال، ناعم بحيث يمكن للمرء أن ينام عليه، عارياً دون غطاء، ويحتسى الشراب الساخن، تحت أشعة ذلك الشيء شديد السطوع، الذي يهيمن على الحجرة الطويلة.

وضع الملازم يديه فوق عينيه. ولمح رجالاً آخرين يتحركون في اتجاهه، تقاطرت مياه الأمطار من زيه الرسمي إلى قدميه، وأحس بها تجف من فوق شعره ومن على وجهه وصدره وذراعيه ورجليه.

كان يتطلع إلى الشمس، وهي معلقة في منتصف الحجرة، ضخمة وصفراء ودافئة. لم يصدر عنها أى صوت، كما لم يكن ثمة صوت في الحجرة، كان الباب مغلقاً وأصبحت الأمطار مجرد ذكرى لجسمه الذي يشعر فيه بوخز خفيف. كانت الشمس معلقة عالياً جداً في السماء الزرقاء للحجرة، دافئة أحياناً وساخنة أحياناً أخرى، صفراء وبالغة الروعة.

سار الملازم إلى الأمام، وهو يمزق ملابسه.

الحريق العظيم

كان الحريق الذى شب فى ذلك الصباح عظيمًا، للدرجة التى لم يتمكن أى شخص فى المنزل من أن يسيطر على النيران، وكان من نتيجة ذلك أن أصيبت (ماريان) ابنة أخت أمى - التى كانت تعيش معنا لسفر والديها إلى أوروبا - هى التى أصيبت بأكبر الأضرار، ولم يتمكن أى شخص من تحطيم زجاج النافذة الصغيرة للصندوق الأحمر الذى يوجد فى الركن، ويجذب الذراع التى تستدعى رجال الإطفاء بخراطيم المياه المتدفقة وقبعاتهم المعدنية المميزة.

جاءت (ماريان) إلى الطابق السفلى وهى محترقة، وكانت تشبه إلى حد بعيد، أوراق السلوفان^(١) وقد أضرمت فيها النيران. وعندما جلست إلى مائدة الإفطار أخذت تبكى وتصدر صرخات عالية تنفطر لها القلوب ثم راحت تنن وتنوح، ورفضت أن تأكل حتى النذر اليسير. تحرك أبى وأمى بعيدًا، وأصبح الدفء فى الحجرة مفرطًا.

(١) مادة رقيقة مرنة من لب الخشب تستخدم للتغليف. (المترجم)

”صباح الخير يا (ماريان).“

ردت (ماريان) قائلة ”ماذا؟“ ثم نظرت متجاوزة الناس إلى بعيد،
وتكلمت بشكل مبهم ”... أوه، صباح الخير.“

”(ماريان)! هل نمت جيداً ليلة أمس؟“

ولكنهما كانا يعلمان أنها لم تنم على الإطلاق، فقدمت أُمي
لـ(ماريان) كوباً من الماء لتشربها، ودار تساؤل في رؤوس الجميع عما
إذا كان الماء سوف يتبخّر في يدها!

راحت الجدة - من فوق مقعدها بجانب المائدة - تتفحص بدقة
عيني (ماريان) الشديديتي الإحمرار، وكأنها قد أصيبت بالحمى. ثم قالت
الجدة: ”أنت مريضة ولكن ليس بسبب ميكروب ما، فلم يجدوا أيّاً منها
تحت المجهر.“

قالت (ماريان) ”ماذا؟“.

قال الأب بتحفظ ”الحب عرّابة“^(٢) الغباء.“

قالت الأم موجهة حديثها للأب: ”سوف تكون في أحسن حال، إن
الفتيات يظهرن كقبيات، لأنهن - عندما يقعن في الحب - لا يستمعن
إلى نصائح الآخرين.“

(٢) أم روحية في عماد الطفل حسب الطقوس المسيحية. (المترجم).

قال الأب: "إن الحب يؤثر في القنويات شبه الدائرية العظمية"^(٣)
ما يجعل البنات يقعن في أحضان أحبائهن، إننى أعرف هذا، فقد كدت
فى يوم ما - أن ألقى حتفى، عندما سقطت إحدى السيدات على،
والى أخبركم بالقصة...".

قاطعته الأم عابسة، وهى تنظر إلى (ماريان) صه! إنها لا تستطيع
تسمع ماذا تقول، فهى غير واعية فى الوقت الحاضر".

تريثت لهنيهة ثم همست للأب، وكان (ماريان) ليست فى الغرفة
له سيأتى ليأخذها معه هذا الصباح، ويستقلان معاً سيارته
عتيقة البالية.

مسح الأب فمه بفوطة المائدة وقال: "هل كانت ابنتنا تتصرف مثل
(ماريان)، يا ماما"^(٤).. "كان يريد أن يعرف، وأكمل "... لقد تزوجت
رحلت منذ زمن طويل، فلم أعد أتذكر، ولكنى لا أذكر أنها كانت بهذه
درجة من الحمق، إن أى شخص لا يريد أبداً معرفة فتاة لها تلك
لأحاسيس، فى هذا الوقت. وإذا لم يفعل فهو رجل أحمق، إنه يقول،
يا لها من فتاة محببة إلى النفس على الرغم من أنها بلهاء، إنها
هبنى، وأعتقد أننى سوف أتزوجها، ويتزوجها بالفعل، ويستيقظ ذات

(٣) ثلاث أنابيب دقيقة للغاية تمتلئ بسائل، توجد فى الأذن الداخلية وتساعد على حفظ
توازن الإنسان. (المترجم).

(٤) لفظ تدليل من الزوج لزوجته. (المترجم).

صباح. ليجد أن كل Dreminess قد ذهب عنها، وعادت إليها قدرتها على الإدراك من جديد، فأخذت تفرغ محتويات الحقائب وتعلق ملابسها الداخلية، في كل أرجاء البيت. وبدأ الرجل في التعثر في الحبال والخيوط، عندئذ يشعر بأنه معزول فوق جزيرة رملية صغيرة، أو في حجرة معيشة ضيقة يبقى فيها وحيداً، في موقع متوسط من عالم بأسره، مع خلايا منحل^(٥) تحولت إلى فخ لأصطياد الدببة، ومع فراشه تحولت بشكل كامل إلى دبور، وسرعان ما يبدأ في ممارسة هواية جمع الطوابع، أو مقابلة الأصدقاء أو...

قاطعت الأم صائحة "كيف تستطيع أن تواصل مثل هذا الحديث؟ (ماريان)، أخبرينا عن هذا الشاب. ماذا كان اسمه، أخبريني عن أخرى؟

هل كان إيزاك قان بلت؟

"ماذا؟ أوه - نعم إن اسمه (إيزاك)".

ظلت (ماريان) تدور حول سريرها طوال الليل، وأحياناً تقلم بسرعة كتب الشعر وتقرأ عدة أسطر لا يمكن تصديقها، وفي بعض الأوقات كانت تستلقي على ظهرها فوق سريرها، وأحياناً أخرى تتمدد على بطنها، تتطلع حاملة إلى مدينة خيالية يغمرها ضوء القمر، ووجدتها

(٥) خلايا سداسية تشكلها النحل لتحتفظ العسل، يقصد بها المؤلف هنا الحياة السعيدة (المترجم).

رائحة الياسمين قد انسابت في حجرة نومها طوال الليل، وكان الزائد لبداية الربيع شديد الوضوح (كانت قراءة مقياس الحرارة خمس وخمسين درجة فهرنهايت^(٦)) وهذا ما جعل (ماريان) مستيقظة طوال الليل. وإذا ما اختلس شخص ما النظر إليها من خلال ثقب الباب، لكانت تبدو مثل عثة تعاني من ألم شديد يوحى بالموت.

وفي هذا الصباح صفت يديها فوق رأسها، بينما كانت تنظر المرأة وجاءت لتتناول إفطارها، وقد تذكرت - في الوقت المناسب - وترتدي ثوباً. وظلت الجدة تضحك طوال فترة تناول وجبة الإفطار، يراً قالت موجهة حديثها إلى (ماريان) "لا بد أن تأكل يا طفلي، أن تتناولي إفطارك".

وراحت (ماريان) تشغل نفسها بقطعة من الخبز المحمص، ولم تأكل نصفها. عندئذ سمعوا صوتاً مدوياً لبوق سيارة كالأوزة البرية! كان (إيزاك)! يقبع في سيارته العتيقة البالية!

أطلقت (ماريان) صيحة تدل على الابتهاج والإثارة "ووب!".

ثم ركضت بسرعة إلى حجرتها بالدور العلوي. وما هو إلا وقت حتى دعى الشاب (إيزاك فان بلت) إلى الداخل، وتعرف على الأب م والجدة.

مقياس أمريكي للحرارة. و ٥٥ درجة فهرنهايت تساوي نحو ١٣ درجة مئوية. (المترجم).

وعندما رحلت (ماريان) أخيراً، جلس الأب يمسح جبهته واسترسل
فى التفكير ثم قال: "إننى لا أفهم شيئاً ألبتة، فالأمور معقدة جداً
بالنسبة إلى".

قالت الأم "لا تنس أنك أنت الذى اقترحت أن تبدأ فى الخروج مع
الشباب".

رد عليها قائلاً: "وكم أنا أسف أننى اقترحت هذا الأمر، لقد ظننت
تزوجنا لمدة ستة شهور، وسوف تستمر فى زيارتنا لستة شهور أخرى
واعتقدت أنها لو قابلت شاباً لطيفاً.....".

قطبت الجدة جبينها وقالت بصوت أجش "ثم يتزوجان.. أليس
كذلك؟ لماذا كان على (ماريان) أن تغادرتنا بهذه السرعة.. هل هذا كل
ما فى الأمر؟

قال الأب "حسناً".

وقالت الجدة "حسناً".

قال الأب "إن الوضع أسوأ مما كان عليه من قبل، إنها تهيم على
وجهها، تغنى وعيناها مغلقتان، وتستمتع إلى إسطوانات أغانى الحب
البغيضة، وتكلم نفسها، أيمكن للرجل أن يتحمل كل هذا، كما أنها أيضاً
تضحك طوال الوقت، هل ينتهى الأمر عادة بالفتيات فى سن الثمانية
عشرة، أن يصبحن طائشات حمقاوات هكذا؟

قالت الأم "إنه يبدو شاباً مهذباً ولطيفاً".

رد الأب بقوله "نعم، إنتى يجب أن نصلى يوماً من أجل هذا" ثم أمسك بكأس خمر صغيرة ورفعها قائلاً: "أشرب هذا من أجل زواج مبكر".

وفى صباح اليوم التالى، وبمجرد أن سمعت (ماريان) البوق العتيق للسيارة البالية اندفعت خارج المنزل كالقذيفة النارية، لدرجة أنه لم يتوفر الوقت للشاب حتى أن يأتى للباب لاصطحابها، ولم تشاهدهما إلا الجدة - من خلال نافذة غرفة الاستقبال - وهما ينطلقان معاً بالسيارة.

قال الأب بينما كان يمشط شاربه بيديه "أخاف أنها قد تكون أشرفت على الجنون!! لقد كانت أن تلقى بى أرضاً أثناء اندفاعها إلى الخارج، ما هذا؟ حسناً".

وعادت (ماريان) إلى المنزل من جديد، بعد ظهيرة هذا اليوم، وتحركت بتأن ورفق عبر غرفة المعيشة إلى مكان وضع إسطوانات الحاكي^(٧). وقامت بتشغيل أغنية تردد صداها فى كل أرجاء المنزل، هى أغنية "هذا السحر الأسود القديم"، لإحدى وعشرين مرة، وأخذت تردد مع الأغنية "لا لا لا"، بينما تتهادى فى الغرفة مغمضة العينين حاملة.

قال الأب: "أخشى الذهاب إلى حجرتى، لقد استقلت من وظيفتى لأتمتع بتدخين السيجار ولأنعم بالحياة، لا أن أعيش مع قريبة لى بلهاء تردد الأغاني تحت ثريا غرفة الاستقبال".

(٧) جهاز يستخدم لإذاعة مادة صوتية مسجلة على أسطوانات. (المترجم).

قالت الأم "صه".

صرح الأب بما يعتمل فى نفسه: "إنها أزمة حياتى، ولكن على الرغم من كل شىء، فهى مجرد زائرة".

ردت الأم قائلة "أنت تعلم حال الفتيات الزائرات. عندما يبتعدن عن منازلهن، يعتقدن أنهن فى باريس بفرنسا، سوف ترحل (ماريان) فى شهر أكتوبر القادم. إن الأمر ليس مروعاً إلى هذا الحد".

أخذ الأب يحسب بالأرقام بتؤدة: "دعينا نفكر معاً. فى شهر أكتوبر - أى بعد حوالى مئة وثلاثين يوماً - أكون قد لقيت حتفى ودُفنت فى مقبرة (جرين لون). ثم نهض فجأة وألقى بجريدته التى كان يقرأ فيها، على الأرض داخل وعاء أبيض صغير.

ثم صاح متفعلاً: "وحق جميع القديسين، أيتها الأم، سوف أتحدث معها عن هذا الأمر، الآن!".

اندفع خارجاً وتوقف عند باب غرفة الاستقبال، يتطلع داخلها إلى (ماريان) وهى تتمايل على نغمات "الفالس"، راحت تغنى مع الموسيقى "لا لا".

سعل الأب بعصبية، ودلف إلى الغرفة.

قال "ماريان"،

كانت (ماريان) تغنى "هذا السحر الأسود القديم...". توقفت وقالت "نعم؟".

راقب يديها تتأرجحان فى الهواء مع الموسيقى ثم التفتت إليه
ووجهت إليه نظرة متقدة تنم عن الغضب الشديد، وبينما هى لا تزال
ترقص مع انسياب نغمات الأغنية.

قال وهو يحكم رباط عنقه: "أريد أن أتحدث إليك".

استمرت (ماريان) فى الغناء "دا دوم دى دوم دى دوم دى
دوم دوم".

سألها "هل سمعتنى؟"

قالت "إنه لطيف للغاية".

قالت "هذا واضح!".

قالت "هل تعلم! إنه يفتح الأبواب كالبواب، ويعزف على
آلة البوق^(٨) مثل (هارى جيمس)^(٩)، وقد أهدانى هذا الصباح باقة من
زهر اللؤلؤ^(١٠)؟"

"إننى لا أشك فى هذا".

نظرت حاملة إلى سقف الغرفة وقالت: "إن عينيهِ زرقاوان".

ولم يجد الأب أى شىء فى السقف، يمكن النظر إليه.

(٨) آلة نفخ نحاسية تصدر صوتاً حاداً. (المترجم).

(٩) عازف أمريكى شهير على آلة البوق (١٩١٦-١٩٨٣). (المترجم).

(١٠) زهر جميل ذو رؤوس صفراء وأوراق بيضاء. (المترجم).

استمرت فى النظر إلى السقف بينما كانت ترقص، اقترب منها ووقف إلى جوارها، وتطلع إلى السقف، لم تكن هناك بقعة ماء ناتجة عن تساقط الأمطار بالخارج ولا تصدع واحد، ثم تنهد وقال "ماريان".
استطردت قائلة: "وتناولنا لحم سرطان البحر فى أحد المطاعم المقامة على ضفة النهر".

"لحم سرطان البحر، أعلم هذا، إننا لا نريد أن نعطلك، أو نسبب لك أى مشكلة، ولكن يوماً ما - وليكن غداً - عليك أن تبقى بالمنزل وتساعدى عمك (ماث) فى عمل مفارش المائدة...".

قالت "نعم يا سيدى" ثم راحت تدور فى الغرفة كالحالة وتبسط ذراعيها على امتدادهما وكأنهما جناحان.
همس قائلاً: "هل سمعتنى؟".

ردت وعيناها مغمضتان "أجل، أوه، أجل، أجل... وراحت تنورتها تتطاير فى خفوت حول جسمها. استطردت قائلة ".. عمى" ثم ألقت برأسها إلى الخلف، يتراخ.

صاح قائلاً: "هل سوف تساعدين عمك فى عمل مفارش المائدة؟".
تمتت حالة ".. فى عمل مفارش المائدة".

جلس الأب فى المطبخ، ثم جذب جريدته على نحو مفاجئ ويعنف، وقال لنفسه: "لقد أبلغتها بالأمر، أعتقد أننى أبلغتها!".

ولكن فى صباح اليوم التالى عندما كان لا يزال عند حافة فراشه، عندما تنهى إلى سمعه الصوت المدوى لمحرك سيارة (إيزاك) العتيقة البالية، وكان بمقدوره سماع صوت (ماريان) وهى تندفع إلى أسفل الدرج، وبقيت لعدة دقائق فى غرفة الطعام تناولت فيها وجبة الإفطار ثم ذهبت إلى الحمام لتقرر عما إذا كانت سوف تصاب بالغثيان، وبعدها سمع صوت انصفاق الباب الأمامى، وضجيج السيارة العتيقة وهى تنطلق جنوباً فى الطريق، وثمة شخصان بداخلها يغنيان بطريقة خارجة عما هو طبيعى ومناسب،

وضع الأب رأسه بين يديه وقال "مقارش المائدة".

تساءلت الأم قائلة: "ماذا تقول؟".

أجاب الأب بقوله "لسوف أذهب إلى محلات (لولى) هذا الصباح".

ولكن محلات (لولى) لا تفتح أبوابها قبل العاشرة صباحاً.

قال الأب على نحو حاسم، وقد أغمض عينيه "سوف أنتظر".

وفى هذه الليلة والليالى السبع الصاخبة التالية، راحت (ماريان)

تشغل نفس الأغنية مراراً وتكراراً.

اختفى الأب فى غرفة المعيشة، فى حالة يرثى لها من الحزن والألم،

بينما كان يدخل بشراهة سيجاره - الذى قيمته عشرة سنتات -

وضوء أحمر فاتح يضىء وجهه الذى ينم عن الأسى المروع.

ظلت (ماريان) تستعيد الأغنية بلا توقف، وكان الأب ينتظر دائماً صوت إبرة الحاكى يعاد وضعها فوق الإسطوانة، لتشغل الأغنية من جديد، فجأة سمع أصواتاً هامسة ناعمة - وكأنها رفرفة أجنحة فراشة - تأتي من الخارج، وضحكات قصيرة غير منتظمة، تكاد لا تحس بوقعها الآذان.

همس الأب بسيجاره وهو يتطلع إليه "سقيفتي! حريتى! منزلى!" وأنصت من جديد لصوت إبرة الحاكى وهى توضع على الإسطوانة.
قال "يا إلهى!"

وذهب إلى مخزن الأدوات الصغير، وظهر فى الشرفة المغطاة التى تكتنفها الظلمة، ويده علبة زيت من معدن صقيل كلاً، لا تنهضى. لا تضايقى نفسك. هنا وهناك" وقام بتزييت الأجزاء المتأرجحة. كان المكان مظلماً، فلم يستطع أن يرى (ماريان)، ولكنه كان بمقدوره أن يشم رائحتها النفاذة، وكاد عطرها القوي أن يلقى به فى شجيرة ورد. كذلك لم يتمكن من رؤية صديقها الشاب.

قال "مساء الخير". ودلف إلى الداخل وجلس ولم يسمع المزيد من صوت إبرة الحاكى. عندئذ، كان كل ما يسمعه الخفقات السريعة غير المنتظمة لقلب (ماريان).

قالت الأم وهى تقف عند باب المطبخ، وهى تنظف أحد الأطباق "لابد أن يكون غتى مهذباً للغاية".

همس الأب "هذا ما أتمناه. وهذا ما جعلنى أترك لهما الشرفه
المغطاة كل ليلة!"

قالت الأم "لقد تقابلا لأيام كثيرة متتالية، إن الفتاة لا تخرج مع
شاب مهذب لكل هذه المرات، إلا إذا كان جاداً".

راودت الأب فكرة سعيدة "لعله يتقدم لطلب يدها الليلة".

قالت الأم "هكذا سريعاً. كما أنها ما زالت صغيرة للغاية".

قال الأب وهو يقلب الأمر فى فكره "ومع هذا يمكن أن يحدث.
بل يجب أن يحدث، كما حدث للورد (هارى)".

بدرت من الجدة ضحكة خافتة - وهى تجلس فى مقعدها المريح
فى الركن - بدت أشبه بصوت تقليب صفحات كتاب قديم!

قال الأب: "ما هو الأمر المضحك؟"

قالت الجدة "انتظر غداً، وسوف ترى".

حرق الأب فى الظلمة، ولكن الجدة لم تصف شيئاً لما قالت.

أثناء تناول وجبة الإفطار فى اليوم التالى، قال الأب "حسن، حسن".

وأخذ يمعن النظر فى البيض الذى أمامه، بعين أبوية متعاطفة وخيرة!

ثم استطرد قائلاً: "... حسن، حسن. أقسم أنه فى الليلة السابقة،

كان هناك الكثير من الهمسات فى السقيفة، ما اسم هذا الشاب؟

(إيزاك)؟ حسن، والآن، لو كان لى أن أحكم على مجريات الأمور، فأعتقد أنه تقدم لـ (ماريان) طالباً يدها، ليلة أمس، أجل.. إننى واثق من هذا!..

قالت الأم "سيكون أمراً طيباً، زواجاً ربيعياً، ولكنه سيكون مبكراً للغاية".

قال الأب بمنطقية "أنصتى إلى. إن (ماريان) من نوعية الفتيات التى تتزوج سريعاً وهى مازالت صغيرة. إننا لا نستطيع أن نقف فى طريق سعادتها، أليس كذلك؟"

قالت الأم: "لأول مرة، أعتقد أنك على صواب، إن الزواج سيكون شيئاً جيداً. زهور الربيع تملأ المكان، و(ماريان) تبدو رائعة فى فستان الزفاف، الذى رأيته بمحل (هايديكر) فى الأسبوع الماضى".

حدقوا جميعاً بقلق فى اتجاه الدرج، منتظرين ظهور (ماريان).

قالت الجدة بصوت محشرج، وهى تتوقف عن أكل خبز الإفطار المحمص "أرجو المعذرة. لكننى لن أتحدث عن التخلص من (ماريان) بعد، لو كنت منكم".

ولم لا.

لأن...

لأن ماذا.

حكّت الجدة بهدوء، وقالت بصوت كحفيف ورق الشجر "أخشى أن أفسد عليكم خططكم.." ثم أومأت برأسها الصغير ووجهها المجعد الذى يشبه كرمة العنب الذابلة. واستطردت قائلة "... لكن بينما كنتما قلقين بخصوص موضوع زواج (ماريان)، كنت أراقبها عن كثب. مرت سبعة أيام الآن وأنا ألاحظ هذا الشاب يومياً، إنه يأتى بسيارته فى الخارج، ويطلق بوقها الذى يشبه صوته صياح الأوزة البرية. الرأى عندى أنه ممثل أو فنان متقلب الأهواء بسرعة، أو شىء من هذا القبيل".

سألها الأب "ماذا؟".

أجابت الجدة بقولها: "إننى أعنى ما أقول. لأنه ذات يوم كان شاباً أشقر، وفى اليوم التالى أصبح فتى طويل القامة أسمر البشرة، ويوم الأربعاء كان رجلاً له شارب بنى، ويوم الخميس كان له شعر أحمر متموج، أما يوم الجمعة فقد صار أقصر قامته ويركب سيارة شيفروليه بها خطوط بدلاً من السيارة الفورد، الذى اعتاد القدوم بها.

جلس الأب والأم صامتين لعدة دقائق، وكأنما ضربهما شخص ما بمطرقة، خلف أذنهما اليسرى تماماً.

وفى النهاية صاح وقد تضرع وجهه بالإحمرار "هل تعنين بقواك هذا! أنك كنت جالسة هناك - أيتها المرأة - ورأيت كل هؤلاء الرجال وأنت...".

قالت الجدة بحدة: "لقد كنتما دائماً مختبئين، حتى لا تفسدا الأمور. ولو خرجتما إلى حديقة المنزل، لرأيتما ما رأيت. إننى لم أقل قط أى كلمة.

إن (ماريان) مشحونة بالعواطف المكبوتة. إنه وقتها للتمتع بالحياة. وكل امرأة مرت بمثل هذه الأيام. إنها أيام شاقة، ولكنهن يتجاوزنها. إن مقابلة رجل جديد فى كل يوم، يحدث عجائب لاعتداد الفتاة بذاتها!

جحظت عينا الأب، وبدا أنه على وشك الاختناق، وانتفحت حنجرتة حتى ضاقت عليها ياقة قميصه، استلقى فوق مقعده، مرهقاً. وراح يرد: أنت، أنت، أنت، أنت، أنت!

أما الأم فقد جلست مشدوهة وكأنها ستفقد وعيها.

هبطت (ماريان) الدرج مسرعة إلى الطابق السفلى، "صباح الخير للجميع" ثم تهالكت فوق أحد المقاعد محدثة جلبة. عندئذ، حدق فيها الأب. وراح الأب يتهم الجدة بالتقصير مرة أخرى قائلاً: "أنت، أنت، أنت، أنت، أنت".

ثم أخذ يفكر على نحو جامح "سننزل إلى الشارع وأصرخ، ثم أكسر زجاج نافذة منذرة الحريق، وأجذب الرافعة، ليأتى رجال الإطفاء بسياراتهم وأجهزتهم وخراطيمهم. أو ربما تكون هناك عاصفة ثلجية متأخرة، فأخرج (ماريان) لتواجهها، حتى تبرد عواطفها.

لكن الأب لم ينفذ أيًا من الفكرتين. زادت الحرارة داخل الغرفة، خرج الجميع إلى الشرفة المغطاة بالحديقة، حيث درجة الحرارة المعتدلة، بينما جلست (ماريان) تحديق فى عصير البرتقال الذى أمامها.

الخواء المروع

آه، ما أجمل الأوقات الرائعة التي أقبلت أخيراً..

ساد الشفق الأحمر عقب غروب الشمس، وأخذت (جانيس) و(لينورا) تجهزان حقائبهما بمنزلهما الصيفي وهما تدندنان بالأغاني وتتناولان بين وقت وآخر القليل من الطعام وتتلاصقان ببعضهما البعض كلما كان ذلك ضرورياً.. لكنهما لم تنظرا قط إلى خارج النافذة، حيث أسدل الليل أستاره الكثيفة وبرزت النجوم من هجوعها وأطلقت أنوارها المتأللة الخافتة.

قالت (جانيس): "أنصتي!".

دوى صوت حاد يشبه صوت قارب بخارى يمخر عباب مياه النهر، لكنه كان في الحقيقة صاروخاً منطلقاً في عتات السماء.. ووراء ذلك، أكانت آلات البانجو^(١) تعزف؟.. لا، إنه فقط صوت صراصير الحقل في تلك الليلة من ليالي الصيف في أحد أيام عام ٢٠٠٢.. وكانت عشرات

(١) آلة موسيقية وثنية لها رقبة ضيقة وجسم دائري مجوف. (المترجم)

الآلاف منها تتنفس فى هواء تلك المدينة الوادعة. وأنصتت (جانيس) ورأسها منحني إلى أسفل.

منذ وقت طويل جداً مضى، فى عام ١٨٤٩، كان هذا الشارع يعج وقتئذ بأصوات الحواة الذين يتكلمون من بطونهم والواعظين الدينيين والعرافين وقارئى البخت والأغبياء والمتعلمين والمقامرين مجتمعين فى نفس مكان الاستقلال هنا بولاية (ميسورى). وكان الجميع ينتظرون أن تجف التربة الطينية وتنمو الأعشاب والحشائش بكثافة تسمح بتحمل مرور ووزن العربات التى تجرها الجياد، وتحمل أيضاً مصائرهم المجهولة وأحلامهم المشروعة.

آه، ما أجمل الأوقات الرائعة التى أقبلت أخيراً،

إننا نحاول باجتهاد الوصول إلى المريح يا سيدى،

والآن ينطلق فى السماء قرابة خمسة آلاف امرأة،

لأن هذا فعلاً وقت بذر البذور فى موسم الربيع يا سيدى!.

قالت (لينورا): "إن هذه أغنية قديمة من ولاية (يومنج)،

غيرى الكلمات وسوف تصبح ملائمة لعام ٢٠٠٣".

رفعت (جانيس) علبة أعواد ثقاب بها بعض حبوب غذائية، وحسبت

إجمالى الأشياء التى تخص كل رجل وكل امرأة والموجودة داخل العربات

العالية الطويلة التى تجرها الجياد.. يا لها من حمولة لا تصدق!..

لحم الخنزير وشرائح لحم الخنزير المقددة وسكر وملح ودقيق وثمار

مجففة ويسكوت ناشف وحمض الليمون وماء وخل وفلفل... إلخ،
يا لها من قائمة طويلة جداً.. ومع ذلك فالآن هنا حبوب يمكن أن توضع
فى ساعة المعصم لتغذيتك ألياً.. ليس من قلعة (لارامى) حتى بلدة
(هانجتاون)، ولكن عبر فضاء هائل مزدان بالنجوم.

فتحت (جانيس) باب حجرتها الضيقة وكادت أن تصرخ.. فقد
وجدت الظلام والليل وكافة الفضاءات البعيدة بين النجوم المتناثرة تحديق
فيها كاشباح مروعة بشكل يبث الرعب فى القلوب.

منذ سنوات طويلة حدث شيئان، أختها أغلقت عليها باب حجرة ضيقة
وتركتها تصرخ بلا مجيب، ثم فى إحدى الحفلات كانت تلعب "الغميضة"^(٢)
مع بعض الأطفال، وجرت عبر المطبخ ودلفت إلى ساحة طويلة مظلمة..
لكنها لم تكن ساحة قط، بل كانت بثراً للسلم يلفها ظلام حالك.. وجدت
نفسها تجرى فى هواء فارغ وحركت ساقها كمن يركب دراجة وصرخت
ولم تلبث أن سقطت!.. سقطت وسط الليل المعتم إلى البدروم.. واستغرق
سقوطها وقتاً طويلاً يعادل دقة قلب!.. كما أنها قبعت داخل الحجرة
الضيقة لوقت طويل جداً دون أن ترى ضوء النهار وبدون أصدقاء وبدون
أحد يسمع صراخها.. وإنما قبعت وسط الظلام الحالك تصرخ،
مثلما سقطت وسط ظلام حالك وهى تصرخ!

(٢) لعبة أطفال يغمض فيها أحدهم عينيه ويبحث عن الآخرين المختبئين. (المترجم).

تداعت لها ذكريات تلك الحادثتين.. أما الآن فمع فتح باب الحجرة الضيقة بالكامل والظلام المحقق يشبه غطاء مخمليا يحوطها من كل ناحية وترتعد يداها وهي تمدهما لتتحسسه.. ظلام يحرق فيها كفهد أسود يتنفس بقوة هناك ويحرق فيها بعينين مختلفتين.. نعم، تدافعت ذكريات الحادثتين الماضيتين في عقلها في نفس الوقت.

فضاء مظلم وسقوط في هوة.. فضاء تم حبسها فيه وهي تصرخ وسقوطها في الظلام وهي تصرخ.. وظلت تعمل هي و(لينورا) بثبات وهما تعبئان حقائبهما. وحاذرتا من النظر إلى خارج النافذة إلى مجرة (درب القبانة)^(٣) المروعة والفضاء الهائل.. ليس ليهما سوى حجرة ضيقة مألوفة لهما وتلك الليلة الخاصة بهما، مما يذكرهما بمصيرهما في المستقبل.

نعم، هذا هو ما سيحدث لهما بعيداً هناك.. وهما على متن صاروخ ينطلق باتجاه النجوم وسط الظلام الحالك. وهما داخل حجرة صغيرة ضيقة تصرخان ولا أحد يسمع لهما.. وهما تسقطان باستمرار وسط الشهب والمذنبات الشريرة المفاجئة.. ولأنهما تهبطان بسرعة في بئر المصعد.. تسقطان في كابوس رهيب داخل أنبوب مائل، كالفحم الساقط من المنجم، إلى الخواء والعدم.

(٣) حشد النجوم الذي توجد فيه مجموعتنا الشمسية. (المترجم).

صرخت، لكن الصراخ لم يخرج من فمها.. إذ إنها اصطدمت في رأسها وصدرها وتكومت على نفسها.. وصرخت وأغلقت باب الحجرة الضيقة بقوة!.. واستندت بجسمها عليه!.. وأحسست بأن الظلام يعوى ويولول ويدفع الباب ولذلك ضغطت على الباب بكل قوتها وعيناها تدمعان.. ووقفت هكذا لمدة طويلة حتى اختفت الرعدة، وهي تراقب (لينورا) تعمل، وتبددت حالتها الهستيرية تدريجياً حتى اختفت تماماً، ودقت ساعة معصمها بصوت واضح وسط الحجرة.

تحركت أخيراً إلى النافذة كما لو كانت بئراً عميقة وقالت: "ستين مليون ميل^(٤).. لا أكاد أصدق أن رجالاً على المريخ يقومون في هذه الليلة ببناء مدن تنتظر وصولنا".

"الشيء الوحيد الذي يجب أن نهتم به الآن هو اللحاق بصاروخنا غداً".

رفعت (جانيس) ثوباً أبيض اللون كالشبح وسط الغرفة وقالت: "شيء غريب حقاً أن تتزوج الفتاة على كوكب آخر".

"كفى ثرثرة يا عزيزتى، لنخلد الآن إلى النوم".

"لا!.. المكالمات ستأتينى فى منتصف الليل.. لا يمكننى أن أنام وأنا أفكر كيف أخبر (ويل) بأننى قررت ركوب الصاروخ المتجه إلى المريخ.. أوه،

(٤) الميل يساوى ١,٦٠٩ كيلو متر. (المترجم).

يا (لينورا) فكرى فى هذا، صوتى ينتقل لمسافة ستين مليون ميل بواسطة الهاتف الضوئى إليه هناك.. لقد غيرت رأىى سريعاً.. لكننى خائفة!

"لا غرابة فى ذلك.. هذه آخر ليلة لنا على كوكب الأرض".

الآن تفهمتا الأمر على حقيقته وتقبلتاه.. إنهما على وشك السفر إلى بعيد جداً، وربما لا تعودان أبداً إلى هنا.. إنهما تتركبان بلدة (إندبندنس) بولاية (ميسورى) بقارة أمريكا الشمالية التى يحوطها محيطان هما الأطلنطى والهادى، وبالطبع لا يمكن وضع أحدهما فى إحدى حقائبهما!.. وانكمشتا فى نفسيهما بعد معرفتهما بهذه الحقائق التى تواجهانهما، وفقدتا الإحساس من هول تلك الصدمة.

"أطفالنا لن يكونوا أمريكيين، ولا حتى من أهل الأرض أصلاً.. سوف نصبح كلنا مريخين فيما تبقى من أعمارنا".

صاحت (جانيس) فجأة: "لا أريد أن أذهب!.. وشعرت بأنها ستتجمد من فرط الخوف.

"أنا خائفة!.. خائفة من الفضاء والظلام والصاروخ والشهب!.. لقد فقدنا كل شئ!.. ما الذى يدفعنى للذهاب إلى هناك؟".

أمسكت (لينورا) بكتفيها واحتضنتها وأخذت تهزها فى حنان وقالت: "إنه عالم جديد. مثل الأيام الماضية الرجال أولاً ثم النساء بعدهم" صاحت (جانيس): "لماذا يجب أن أذهب، أخبرينى".

قالت (لينورا) أخيراً بهدوء وهي تجلسها على حافة السرير:
"لأن (ويل) موجود هناك بعيداً في الفضاء".

كان وقع اسمه جميلاً فعلاً.. وهدأت (جانيس) من روعها
وارتاحت أعصابها.

أردفت (لينورا): "هؤلاء الرجال يصعبون الأمور للغاية.. فقديماً
كانت المرأة عندما تسافر مائتي ميل للقاء رجلها، كان عملها هذا يُعد
أسطورة أو شيئاً خارقاً.. ثم زادت تلك المسافة إلى ألف ميل.. أما الآن
فقد بعدوا عنا كوناً بأكمله.. غير أن ذلك لن يوقفنا، أليس كذلك؟".

"أخشى أن أتصرف بحماقة ونحن على متن الصاروخ".

نهضت (لينورا) وقالت: "على الأقل سوف تكون حمقاوين معاً..
والآن لنتمشى قليلاً في البلدة لكي نرى كل شيء بها لأخر مرة".

حدقت (جانيس) في البلدة وقالت: "غداً مساء سوف يبقى كل هذا
هنا أما نحن فسوف نكون بعيدتين جداً.. سوف يصحو الناس وياكلون
ويعملون وينامون ويصحبون مرة أخرى وهكذا، أما نحن فلن نعرف شيئاً
عن ذلك كله، كما أنهم لن يفتقدونا".

دارت (لينورا) و (جانيس) حول نفسيهما كما لو كانتا لا تجدان
الباب.

"هيا بنا الآن".

فتحتا الباب وأطفأنا الأنوار وخرجتا من الغرفة وأغلقتا الباب وراءهما..
كانت السماء مزدحمة بحركات الوصول.. حركات كثيفة للغاية..
صفارات قوية واضطرابات عديدة وعواصف تلجية تهب على المكان
بأكمله.. الحوامات، كسف الجليد الساقطة تهبط بهدوء.. كانت النساء
تصل إلى هنا من كل الاتجاهات.. وطوال الليل كنت ترى الحوامات
تهبط كالسيل المنهمر.. كانت الفنادق ممتلئة تماماً، لدرجة أن المنازل
الخاصة كانت تستضيف الناس القادمين.. وأقيمت مدن من الخيام وسط
المراعى والمروج كالزهور الغربية القبيحة.. وكانت البلدة والبلاد كلها
دافئة بأكثر مما يكون لإحدى ليالى الصيف.. دافئة بالوجوه النضرة
للنساء ووجوه الرجال التى لفحتها أشعة الشمس وهم يراقبون السماء..
وراء الجبال كانت الصواريخ تختبر محركاتها، وتصدر منها أصوات
مدوية كما لو كان هناك من يعزف على أرغن عملاق مع ضغطة على
مفاتيحه كلها فى نفس الوقت.. لدرجة هزت كل نافذة بلورية وكل عظمة
فى جسد إنسان.. كنت تشعر بهذا الضجيج فى فكك وأصابع يديك
وقدميك.. كل شىء يرتعد ويهتز.

جلست (لينورا) و(جانيس) فى صيدلية^(٥) وسط مجموعة من النساء
غير المألوفات عليهما. وفجأة قال الرجل الذى يبيع المشروبات:
"سيدتى، أنتما جميلتان جداً ولكن من المؤكد أنكما حزينتان".

(٥) تباع فيها الأدوية وبيع أخرى (المترجم).

قالت (لينورا) وهى تبسم: "قدحاً شيكولاتة باللبن وظلت (جانيس) صامته..

وحدقتا فى قدحى الشيكولاتة كما لو كانا لوحتين نادرتين فى أحد المتاحف.. وجال بفكريهما أن شعير البيرة سوف يكون نادراً لسنوات طويلة على المريخ.

عبثت (جانيس) بكيس متعلقاتهما وأخرجت منه ظرفاً بتردد ووضعت على الطاولة الرخامية أمامهما.

"هذا الخطاب جاعى من (ويل).. وقد وصلنى متن صاروخ البريد منذ يومين.. وهذا الظرف هو الذى جعلنى أقرر أمرى بالذهاب.. لم أخبرك وقتئذ، ولكننى كنت أريدك أن تريه الآن.. هيا، اقرئى الرسالة القصيرة".

"أخرجت (لينورا) الرسالة من الظرف وقرأتها بصوت عال: "عزيزتى (جانيس)، هذا هو بيتنا إذا قررت المجيء إلى المريخ - (ويل)".

هزت (لينورا) الظرف وسقطت منه صورة ملونة تتلألأ على الطاولة. كانت صورة منزل.. منزل كان جميلاً مريحاً معتماً وقديماً بلون الكراميل الأسمر وتنمو حوله الطحالب، وتحوطه زهور حمراء ونباتات السرخس ذات اللون الأخضر الهادئ، وتنمو بمدخله نباتات اللبلاب ذات الزغب بشكل قبيح.

"ولكن يا (جانيس)، هذا غريب جداً!".

”ماذا تعنين يا عزيزتى؟“

”هذه صورة منزلك هنا على الأرض فى شارع (إلم) الذى تقيمين به“.

”لا، انظرى جيداً“.

نظرتا مرة أخرى معاً، وعلى كلا جانبي المنزل المعتم المريح ومن خلفه بدت مناظر ليست أرضية على الإطلاق.. التربة كانت ذات لون بنفسجى غريب و الأعشاب كانت مائلة قليلا إلى اللون الأحمر، والسماء متوهجة كقطعة رمادية من الماس.. كما أن هناك شجرة ملتفة عجيبة الشكل نمت على أحد جانبي المنزل وتبدو كامرأة عجوز تتلألأ بعض البلورات فى شعرها الأبيض الكثيف.

قالت (جانيس): ”هذا هو المنزل الذى شيده لى (ويل) على المريح.. أظن أنه من المفيد النظر إليه.. حدث ذلك يوم أمس عندما أتيحت لى الفرصة بمفردى وكنت وقتها وجلة وخائفة.. نعم، أخرجت هذه الصورة ونظرت إليها“.

نظرت كلتاهما إلى الصورة مرة أخرى.. إلى المنزل المعتم المريح الذى يبعد مسافة ستين مليون ميل.. ويذا مألوفاً وغير مألوف.. قديماً وفى نفس الوقت حديثاً.. وثمة ضوء أصفر يسطع من النافذة الأمامية اليمنى ليهو الاستقبال.

قالت (لينورا) وهى تميل رأسها: ”هذا الرجل (ويل) يعرف ما يفعله بالضبط“.

فرغتا من شرابهما.. وبالخارج كان هناك زحام شديد من الغرباء
المتجولين هنا وهناك.. بينما أخذ الثلج يسقط باستمرار من السماء فى
تلك الليلة من ليالى الصيف.

اشترتا عدداً كبيراً من الأشياء السخيفة التى لا قيمة لها
لتأخذاهما معهما، مثل أكياس من حلوى الليمون ومجلات نسائية جذابة
المنظر فقط وروائح رخيصة.. ثم سارتا حتى دخلتا البلدة واستأجرتا
سترتين بحزام مضادتين للجاذبية وتشبهان العثة أو القراشة.. وبعد أن
لمستا أصوات التحكم فى السترتين شعرتا بنفسيهما تطيران كبثلتين من
الزهور البيضاء فوق البلدة.. وقالت (لينورا): "لا يهمنى المكان الذى
نذهب إليه.. لنذهب إلى أى مكان على الإطلاق".

تركنا الرياح تطيرهما إلى المكان الذى تريده.. وتأخذهما فى تلك
الليلة خلال أشجار التفاح الصيفى والاستعدادات الحارة، فوق البلدة
الحبيبية.. فوق منازل الطفولة وأيام الصبا الأخرى.. فوق المدارس
والشوارع.. فوق الجداول والمروج والرياض والمزارع المألوفة تماماً بحيث
تبدو كل حبة قمح كعملة ذهبية.. طارتا كورقتين تتطيران أمام رياح
عاتية، مع همسات تحذيرية وقرقعات البرق الصيفية بين التلال والجبال
الملتفة.. رأتا الطرق الريفية الترايبية التى انجرفت طائرتاهما الحوامتان
إليها فى ضوء القمر منذ وقت غير بعيد فى التفاف حلزوني وحطتا
بالقرب من جدولين هادئين فى دياجير ظلام الليل، وكان معهما وقتئذ
شابان سافرا وغير موجودين الآن.

حومتا فى الجو وسط رياح شديدة فوق بلدة بدت الآن صغيرة
بسبب تحليقهما بعيداً وعالياً عن الأرض.. بلدة تتراجع وراءهما وسط
نهر أسود هائل ثم تظهر من أمامها فى موجة من الأضواء والألوان..
بلدة أصبحت الآن بعيدة المنال كالحلم.. وبدت ضبابية غامضة، وبدأتا
تشعران بالحنين إلى الوطن والذكريات تتدافع فى رأسيهما حتى قبل أن
تختفى البلدة تماماً عن أنظارهما.. طارتا فى هدوء وهما تدوران وحدقتا
سراً فى مئات الأوجه لصديقات أعزاء لهما تركنهن الآن وراءهن..
أشخاص محجوزون وراء نوافذ انزلقت بسبب الرياح كما يبدو.. والزمن
نفسه يودعهما.. لم تكن هناك شجرة لم يذهبا إليها لحفر عبارات الحب
عليها التى انطمست الآن.. ليس هناك شارع جانبي لم ينزلقا عليه كما
ينزلقان على الجليد.

لأول مرة عرفتا كم أن بلديهما جميلة وأنوارها خلابة وطوب مبانيها
رائع.. وشعرت كلتاهما بأن عينيها تكبران من روعة المشاهد التى
تتمتعان بها الآن.. كل شىء ينتشر أو ينطلق فى عرض مسائى فريد،
فى ظل انطلاقات متقطعة للموسيقى هنا وهناك.. بينما تتصاعد أصوات
وهمهمات من المنازل التى تغزوها كلها التلفازات.

مرت المرأتان كإبرتين تخيطان كل شجرة بالتي تليها برائحة
عطرهما.. كانت عيونهما ممتلئة بما شاهدتا، ومع ذلك ظللتا تحفظان
كل التفاصيل وكل الظلال وكل شجرة بلوط ودردار منفردة تحتها..
كل سيارة تمر فى الشوارع الملتوية تحتها.. حتى تشبعت ليس فقط
عيونهما بل أيضاً رأساها وقلباها.

فكرت (جانيس) فى عقلها: إئننى أشعر بأننى ميتة.. وفى المقبرة فى تلك الليلة الصيفية كل شىء حى ما عداى.. وكل شخص يتحرك وعلى استعداد لمواصلة حياته بدونى.. إن الأمر كما كنت أشعر فى كل ربيع عندما كنت فى السادسة عشرة من عمري وأنا أمر بجوار المقبرة وأبكى عليهم لأنهم فارقوا الحياة لأن ذلك بدا لى ليس عدلاً.. فى ليال هادئة مثل هذه الليلة، كنت فيها أنعم بالحياة.. لقد كنت متهممة بأننى حية.. والآن هنا فى تلك الليلة أشعر بأنهم أخذونى من المقبرة وتركونى أرتفع عالياً فوق البلدة مرة واحدة أخرى فقط لكى أرى كيف يكون المرء مفعماً بالحياة كيف تكون البلدة والناس، قيل أن ينقل الباب الأسود على من جديد.

وبهدوء ورقة، مثل مصباحين ورقيين معرضين لرياح ليلية، تحركت المرأتان عبر عمريهما وعبر ماضيهما، فوق المروج والرياض حيث تتألق مدن الخيام بالطرق السريعة التى تتزاحم فيها الشاحنات وتجري فى كل مكان حتى الفجر.. والخلاصة أنهما حلقتا فوق البلدة كلها لفترة طويلة من الزمن.

دقت ساعة مبنى المحكمة القضائية، الحادية عشرة وخمس وأربعون دقيقة.. وأقبلت المرأتان كعنكبوتين أو كخفاشين قادمين من النجوم.. وحطتا على الرصيف المضاء بضوء القمر أمام منزل (جانيس) القديم. كانت المدينة كلها هاجعة، ومنزل (جانيس) ينتظرهما للمجئ إليه بحثاً عن جسميهما اللذين لم يكونا موجودين به.

سألت (جانيس): "هل هذا نحن هنا؟.. (جانيس سميث)
(لينورا هولمز)، في عام ٢٠٠٣؟".

"نعم، لا شك في ذلك".

لعلت (جانيس) شففتيها وانتصبت واقفة وقالت: "أتمنى أن تكون
هذه سنة أخرى".

تنهدت (لينورا) وتنهدت معها الرياح وهي تدفع الأشجار إلى التمايل
وقالت: "مثلاً ١٤٩٢؟ أو ١٦١٢؟.. الأمر دائماً إما (يوم كولومبوس)^(٦)
وإما يوم الاحتفال بصخرة بليموث^(٧).. وسوف أستحق اللعنة لو كنت
أعرف ما الذي ستفعله النساء في هذا الأمر".

"أن يصبحن عانسات".

"أو أن يفعلن ما نفعله نحن بالضبط".

فتحنا باب المنزل في تلك الليلة الدافئة، وأصوات البلدة تخفت
بالتدريج في أذانهن. وبمجرد أن أغلقنا الباب، بدأ الهاتف يدق.

صاحت (جانيس) وهي تركض: "المكالمة!".

(٦) احتفال يقام في الثاني عشر من أكتوبر، لإحياء ذكرى اكتشاف (كريستوفر كولومبوس)
لأمريكا في عام ١٤٩٢. (المترجم).

(٧) صخرة من الجرانيت توجد بالقرب من البحر بولاية (ماساشوستس) بالولايات المتحدة،
يقال إن فريقاً من المهاجرين الأوائل قد وضعوا أقدامهم عليها في ٢١ ديسمبر ١٦٢٠م.
وتعد في الوقت الحاضر نصباً تذكاريًا ولها أهمية في التاريخ الأمريكي. (المترجم).

دخلت (لينورا) فى حجرة النوم بعدها وكانت (جانيس) وقتئذ ممسكة بالسמاعة وتقول: "مرحباً، مرحباً!" .. وكان عامل الهاتف يهين شبكة الاتصالات الجبارة فى مدينة بعيدة بحيث يربط بين كوكبين.. وانتظرت المرأتان بترقب، إحداهما جالسة وشاحبة الوجه، والأخرى واقفة وشاحبة أيضاً ومنحنية باتجاهها.

سادت فترة صمت طويلة تتصارع فيها المخاوف والآمال.. فترة صمت تختلف تماماً عما حدث طوال السنوات الثلاث الماضية لكتيها.. والآن حانت اللحظة الحاسمة، وجاء دور (جانيس) للتحدث هاتفياً مع شخص يبعد بمسافة ملايين وملايين الأميال التى يتخللها الكثير من الشهب والمذنبات.. فى محادثة تنطلق بعيداً عن الشمس الصفراء مما قد يحرق كلماتها أو يشوه معناها، بيد أن صوتها انطلق كإبرة فضية تتخلل كل شيء لعمل غرز من الكلام فى ليلة هائلة وتردد الصدى من قمرى المريخ. وأخيراً وجد صوتها طريقه إلى رجل موجود فى غرفة على كوكب آخر خلال ٥ دقائق بسرعة موجات اللاسلكى.. وكانت رسالتها ما يلى:

"أهلاً يا (ويل).. (جانيس) تتحدث إليك!" .. ثم بلغت لغايتها.. وأردفت: "إنهم يقولون إنه ليس لدى وقت كثير.. دقيقة واحدة".

أغلقت عينيها وقالت: "أريد أن أتكلم ببطء، ولكنهم يقولون تكلمى بسرعة وقولى ما تريد منه مرة أخرى.. ولذلك أريد أن أقول لك.. لقد قررت.. وسوف أذهب إلى هناك.. سوف أسافر على متن الصاروخ

الفضائي غداً.. سوف أصل إليك هناك بعد كل شيء.. وأنا أحبك.. وأتمنى أن يمكنك سماعي.. أنا أحبك.. لقد مر وقت طويل منذ أن....".

انطلق صوتها في طريقه إلى الكوكب غير المرئي لنا.. والآن بعد إرسال الرسالة، وبعد قولها ما قالتها من كلمات، أرادت أن تستعيدتها وتراجعها وتعيد صياغتها لكي تكون جملة أفضل.. أي تعبر بشكل أروع عن نفسها.. غير أن الكلمات سافرت بالفعل وأصبحت عالقة بين الكوكبين. وجال بخاطرهما أنه إذا حدث نتيجة أي إشعاع كوني انطмас أو تشويه أو حرق للكلمات من جراء أية أعاجيب غامضة هناك، فإن حبها سوف يضيء عشرة كواكب بأسرها ويحول الجانب الليلي المظلم من الأرض إلى فجر يبرز سابقاً لأوانه.. الآن الكلمات لم تعد كلماتها مطلقاً، بل أصبحت تنتمي إلى الفضاء.. لم تعد تنتمي إلى أحد حتى تصل.. وهي الآن تسافر بسرعة ١٨٦ ألف ميل في الثانية الواحدة^(٨) منطلقة إلى وجهتها.

وتساءلت: "ما الذي سيقوله لي؟.. ماذا سيقول في الدقيقة المخصصة له؟.. وعبثت بساعة معصمها ولوتها، وفجأة دق جهاز استقبال الهاتف الضوئي الموضوع في أذنها وتحدث الفضاء معها في اهتزازات ورقصات كهربائية سريعة ومفعمة بالحياة وأشفاق قطبية مسموعة.

(٨) سرعة الضوء. (المترجم).

همست (لينورا): "هل رد عليك؟".

قالت (جانيس): "صهى! وهى تنحنى كما لو كانت مريضة..

ثم جاء صوته خلال الفضاء.. وصاحت (جانيس): "أنا أسمع!".

"ما الذى يقوله لك يا عزيزتى؟".

وصل الصوت من المريخ لينقلها خلال الفضاء السحيق إلى مكان لا

يوجد فيه شروق أو غروب للشمس ولكن يسود دائماً الظلام، أما الشمس

فهى دائماً وسط الظلام الأبدى هناك، ولكن فى مكان ما بين الأرض

والمريخ ضاعت الرسالة كلها، ربما فى اكتساح للجاذبية الكهربائية التى

تدفعها فيضانات عارمة من الشهب أو لعل زخات من الشهب الفضية

اعترضت طريقها، وفى أية حالة منهما تبديت تماماً الكلمات الصغيرة

والكلمات غير المهمة أيضاً بالرسالة.. وأخيراً لم يصل من صوته سوى

كلمة واحدة: "... حبيبتى...".

وبعد ذلك لم يستمر سوى الظلام الحالك لليلة مرة أخرى

وصوت النجوم وهى تستدير والشموس وهى تهمس إلى بعضها

البعض.. ودقات قلبها، كما لو كان كوكباً آخر فى الفضاء،

يملاً سماعات أذنيها.

سألتها (لينورا): "هل سمعت شيئاً منه؟" .. بيد أن (جانيس)

هزت رأسها بعلامة النفى.

صاحت (لينورا): "ما الذى قاله لك؟.. أريد أن أعرف ما قاله لك".

لكن (جانيس) لم يكن بمقدورها أن تقول شيئاً لأحد.. لم يكن هناك شىء جيد يستحق أن تقوله. وجلست تنصت إلى تلك الكلمة الوحيدة مرة تلو أخرى، كما لو أن ذاكرتها تستعيدنها باستمرار، جلست تنصت وتنصت، بينما أخذت (لينورا) الهاتف بعيداً عنها، بدون أن تدري بذلك، ووضعت السماعة على الهاتف.

تمددتا فى فراشهما وأطفأتا الأنوار وأخذت ريح الليل تهب فى الحجرات مطلقّة رائحة الرحلة الطويلة وسط الظلام والنجوم.. وعبر صوتيهما عن المستقبل وأحلامه والأيام القادمة التى لن تكون عبارة عن نهار وليل، وإنما ليل دائم خلال الزمن السرمدى.. غير أن صوتيهما خفّتا إلى نعاس أو تفكير أرق، وتمددت (جانيس) بمفردها فى سريرها.

وتساءلت: هل هذا كان ما يحدث منذ قرن من الزمان، عندما كانت النساء فى الليلة السابقة تستعد للنوم أو لا تستعد فى البلدات الصغيرة فى الشرق.. ثم يسمعن صوت الجياد فى الليل وقرقعة عربات النقل الكبيرة التى تجرها ستة جياد وهى تستعد للتحرك.. والثيران وهى تتوالد تحت الأشجار، وصراخ الصغار التى أصبحت وحيدة قبل مياعدها؟.. كل أصوات المغادرة والوصول إلى الغابات والحقول العميقة، والحدادون وهو يعملون فى ورشهم الحمراء كالجحيم خلال منتصف الليل؟..

ورائحة لحم الخنزير الجاهز للسفر مع السلع الغذائية الأخرى، والشعور
القوى بالعربات كسفن تفرق من كثرة حمولتها من السلع، والماء المعبأ
فى البراميل الخشبية التى تميل وتخوض فى البرارى.. والدجاج المصاب
بحالة من الهستيريا من جراء حبسه فى أقفاص وكراتين مثبتة أسفل
العربات.. والكلاب تعدو خارجة من المنازل إلى البرية أمام العربات وهى
خائفة ثم تجرى عائدة وعيونها تحقق فى الفضاء الخالى.

هل هذا إذن ما كان يحدث منذ زمن طويل؟.. أى كل شىء على
حافة الهاوية.. على حافة هاوية من النجوم؟.. هل فى زمنهم كانت تشم
رائحة البقرة وفى زمننا تشم رائحة الصاروخ؟.. هل هذا إذن حقيقة
ما كان يحدث؟

واتخذت قرارها.. إذ كان النوم يجعلها تحلم، نعم، هذا صحيح..
صحيح جداً ولا يمكن إبطاله.. هذا يحدث كما كان يحدث دائماً
وسوف يحدث إلى الأبد!

المؤلف فى سطور :

راى برادبورى

- ولد فى ٢٢ أغسطس عام ١٩٢٠ فى مدينة (ووكيجان) بولاية (الينوى) الأمريكية.

- وتخرج فى المدرسة الثانوية عام ١٩٤١، وبدأ عمله بائع صحف.

- فى عام ١٩٤١، باع (برادبورى) أول قصصه القصيرة إلى دار نشر اسمها "قصص رائعة من الخيال العلمى"، وعندئذ تفرغ تماماً للكتابة.

- فى عام ١٩٤٧، طبع أول مجموعة قصصية له فى كتاب تحت اسم "الكرنفال الرهيب". ومنذ ذلك الوقت بدأت بعض كتبه تحصل جوائز.

- ظهرت قصته الشهيرة "٤٥١ فهرنهايت" التى تحولت فيما بعد إلى فيلم سينمائى لاقى نجاحاً مذهلاً. وسرعان ما بدأ يكتب للراديو والتلفاز.

- وفى عام ١٩٥٧، تم طبع قصته "نبذ الهندباء البرية" المستقاة من طفولته بولاية (آلينوى)، كما كتب سيناريو الفيلم السينمائى (موبى ديك).

- فى عام ١٩٦٨، تم اختياره مؤلفاً يصلح للقراءة فى المدارس والكليات، أى أنه أصبح واحداً من الكتاب الذين جعلوا الخيال العلمى مجالاً محترماً.

- تتميز أعمال (برادبورى) بالتنوع الكبير، وعموماً هو يكتب قصصاً قصيرة من نوعيات كثيرة متباينة: قصص الحياة العادية - قصص الاضطرابات النفسية العميقة والمروعة - قصص الأطفال - قصص رحلات الفضاء التى تتميز بالرعب والمرح والخيال - قصص الغموض والأسرار - قصص الفانتازيا والخيال العلمى.

- أسلوب (برادبورى) يعاثل أسلوب الشعر، فهو دائماً واضح ومبدع، كما أنه دقيق للغاية فى اختيار أسلوبه وصوره، وهو أسلوب يزخر بالكثير من الأحداث المثيرة، ويتسم بالبلاغة والتميق وينمط قصصى وأفكار متفردة خاصة به فقط.

- توفى راي برادبورى فى ٥ يونيو ٢٠١٢ عن عمر يناهز الواحد والتسعين عاماً.

المترجم فى سطور :

رؤفأ وصفى صبحى

- ولد فى القاهرة.

- عمل بالتدريس بجامعات مصر والعراق والكويت.

- نال جائزة تبسيط العلوم - أكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا

وجائزة الثقافة العلمية - أكاديمية البحث العلمى

والتكنولوجيا .

- عضو اتحاد الكتاب.

- ترجم العديد من الكتب العلمية وفى مجال الخيال العلمى منها:

"الروبوت" و"الحاسب الآلى" و"كوكب الأرض" و"مذنب هالى"

و"مؤسسة الكويت للنقدم العلمى" - ومسرحيات من الخيال العلمى

(وزارة الإعلام - الكويت).

- وقام بترجمة "ثلاث رؤى للمستقبل" و"حرب العوالم" (طبعتان)

و"الرجل الخفى" و"بشر كالآرباب" و"القصص الكاملة

لـ هـ.جـ.و ويلز" (أربعة أجزاء) للمركز القومى للترجمة.

كذلك ترجم مقالات علمية بمجلة الثقافة العالمية.

- شارك في العديد من الندوات منها "ندوة الخيال العلمي"،
وقام بإعداد البرنامج التلفازي "سؤال وجواب" وتقديمه بتلفزيون
الكويت، ومسلسل "الخيال العلمي" (إذاعة الكويت).
- نشرت مقالاته وقصصه في عدد كبير من الصحف والمجلات
العربية، منها: جريدة الأهرام وجريدة الأخبار ومجلة العلم
(مصر) ومجلة العربي الكويتية والعربي العلمي، ومجلة التقدم
العلمي (مؤسسة الكويت للتقدم العلمي)، ومجلة دبي الثقافية
(الإمارات).
- أحد رواد أدب الخيال العلمي والثقافة العلمية بالوطن العربي.
- المنسق العام لرابطة كتاب الخيال العلمي العرب.
- حاصل على شهادة تقدير وميدالية من نقابة العلماء.
- محاضر بالدورات التدريبية لإعداد المترجمين -
المركز القومي للترجمة.
- نال جائزة مؤسسة هانز زايدل الألمانية.
- ترجمت بعض قصصه إلى اللغة الإيطالية.



تتميز أعمال "راى برادبورى" وقصصه بالتنوع الكبير، وعموماً فهو يكتب قصصاً قصيرة من نوعيات كثيرة متباينة: قصص الحياة العادية - قصص الاضطرابات النفسية العميقة والمروعة - قصص الأطفال - قصص رحلات الفضاء التى تتميز بالرعب والمرح أو الخيال - قصص الغموض والأسرار التى تتطوى على توجيهه أخلاقى أو شرح موضوعات غيبية أو خارقة.

أما عن الخيال العلمى، فلا شك أن حماس "برادبورى" له، يغزو عالم المستقبل ذاته، فهو يشعر بأنه مطالب بتحذير الناس من أية كوارث محتملة، وبث الرغبة فى تحقيق المجد والفخر، مادام ذلك فى الإمكان. وأسلوب "برادبورى" يماثل أسلوب الشعر، ويتسم بالدقة فى اختيار أسلوبه وصوره؛ إذ يتسم بالبلاغة والتنميق وينمط قصصه، وبأفكار متفردة خاصة به فقط.